الجمهـــــــورية الجـــــــزائرية الديـــــــــمقراطية الشـــــــعبيـــــة

وزارة التعليـــــم العالي والبحـــث الـــعـــــلمي

جـــامـــعـــــة جيلالي ليابس

سيدي بلعباس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الحياة الثقافية في بايلك الغرب

خلال القرنين:18م19م

رسالة مرشحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالب:

بونقاب مختار

تحت إشـــراف الأستاذ الدكتور:

مكحلي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

مجاود محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
مكحلي محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
هلايلي حنيفي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مناقشا
فغرور دحو	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشا
دادة محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مناقشا
تليلي العجيلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة منوبة – تونس	مناقشا

السنة الجامعية: 2015–2016

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى عائلتي

إلى أساتذتي

أهدي ثمرة هذا العمل

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل: الأستاذ الدكتور "مكحلي محمد" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه. ولمسنا عنده الصدر الواسع من خلال تشجيعاته ومساعداته.

نشكره على صبره وعلى الدعم الذي لقيناه من قبله لإتمام هذا العمل.

كما أشكر مسبقا السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تحملهم مشقة قراءة وتصويب ما جاء في هذه الرسالة.

أتوجه بالشكر لكل من ساهم في هذا البحث من قريب أو من بعيد.

ولله الفضل من قبل ومن بعد.

مقدمة

مقدمة:

إن دراسة تاريخ الجزائر الحديث ومحاولة تكوين فكرة شاملة ودقيقة عن ماضيها لا يتحقق دون معرفة الحياة الثقافية التي شهدتها في تلك الفترة أي خلال العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي وما عرفته من تأثيرات وآثار تبدت بجلاء في مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية على وجه الخصوص.

لقد حظيت الجزائر خلال هذه الفترة بالعديد من الأبحاث والدراسات حول الحياة الثقافية بصفة عامة، وأهم التغييرات والتحولات التي عرفتها سواء في أواخر العهد العثماني أو مع بداية الاحتلال الفرنسي بخصوص فئة العلماء والمثقفين، المؤسسات العلمية والثقافية، بلوحتى سياسة التعليم ومناهجه.

إن موضوع الحياة الثقافية في الجزار الحديثة، لا يزال محل تجاذب اتجاهين رئيسيين على الأقل:أحدهما يجعل منها قبلة المثقفين والطلبة والمتعلمين ويعتبرها منارة إشعاع علمي وفكري ثقافي، والآخر يصفها بالجمود الفكري وينعتها بالركود الثقافي.

رغم إهتمام السلطة العثمانية في الجزائر بالشؤون السياسية وأمور الحكم، إلا أنه لا يمكننا أن نجد تلك الثقافة الذاتية الأصيلة التي مثلها جيل من العلماء كان لهم الباع الطويل والصيت الكبير لاسيما في بايلك الغرب، أسهموا بكتاباتهم وأفكارهم في تحريك الفعل الثقافي ودفع عجلة الفكر عن طريق عملية إحياء تراثنا المجيد، وبالتالي لا يختلف إثنان في إلتماس وتحسس تلك الحركة النوعية في ميدان العلوم والآداب والكتابات التاريخية .

هذه الحركة التي شاء لها أن تعايش المرحلة المتأخرة من التواجد العثماني بالجزائر، ولم تكتمل بعد الاحتلال الفرنسي لتأثرها بسياسته وأنظمته الجديدة.

على ضوء ذلك جاءت مساهمتنا هذه الموسومة ب" الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18م و19م" لإبراز أهم مظاهر الحياة الثقافية خلال الفترة المدروسة، ومدى إسهامات علماء بايلك الغرب في الحركة الثقافية الفكرية والأدبية عامة.

قد يكون أساس هذا العمل، دوافع ذاتية مصدرها ميول شخصية للتعرف على بعض أوضاع بايلك الغرب خلال فترة حرجة وحساسة إتسمت بتحولات عدة في مختلف المجالات، إلا أن الأسس العلمية لم تكن بعيدة عن هذا الهدف، ومن أهمها نذكر:

- العمل على إبراز مظاهر الحياة الثقافية في بايلك الغرب مع التركيز على مؤسساتها ومراكزها الدينية والعلمية، ومدى مساهمتها في تعليم وتثقيف الشعب الجزائري.

- المقارنة بين المستوى الثقافي بمؤسساته، وأعلامه، ومناهجه ووسائله وإنتاجه خلال العهد العثماني وأثناء بداية الاحتلال الفرنسي.

- التعريف ببعض أعلام بايلك الغرب الجزائري وإنتاجهم وإنجازاتهم لوضعهم في مكانتهم الحقيقية.

- التعرف على الدور البارز الذي لعبه الباي محمد بن عثمان الكبير سياسيا وثقافيا باعتباره صاحب مشروع حضاري كان له الأثر الطيب والحسن في تاريخ المنطقة.

- السعي لإظهار دور أهم الطرق الصوفية في بايلك الغرب ومدى تأثيرها في الحياة السياسية والاجتماعية باعتبارها سلط دينة وزمنية كثيرا ما تجاوزت أدوارها ووظائفها الجانب الروحي التربوي والمجال الديني العقائدي.

تتجلى أهمية هذه الدراسة من خلال محاولة الوقوف على المرحلة المفصلية التي أوجدتها ظروف إنتهاء الحكم العثماني بالجزائر وما عرفه من أوضاع وأحوال خلال القر ن 18م وبداية القرن 19م من ناحية، وبروز الاحتلال الفرنسي وما شهده من مستجدات وتحولات لغاية نهاية القرن 19م. فالمرحلة مرحلة مخاض وحراك مستمر مس مختلف مناحي الحياة.

لقد جاء الموضوع للإجابة عن هذه الإشكالية: وعن مجموعة من التساؤلات أهمها:

- ما هي أهم الأحداث والوقاع التي ميزت الجزائر عامة وبايلك الغرب خاصة خلال الفترة المدروسة؟

- ما مدى مساهمة المؤسسات الدينية الثقافية في العملية التثقيفية للمجتمع الجزائري في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي؟

- فيما تمثل دور الباي محمد بن عثمان في تشجيع الحركة العلمية الثقافية، وإلى أي مدى وصل مشروعه الحضاري؟

- لماذا لم تتحول المؤسسات العلمية بالجزائر إلى مستوى ومركزالزيتونة والقرويين على سبيل المثال؟

- ما أهم الأدوار التي لعبتها الطرق الصوفية ورجالها خلال الفترتين العثمانية وبداية الحقبة الفرنسية، وم أهم التغييرات والتحولات التي شهدتها من حيث وظائفها ونشاطها؟

- ما مدى تأثير وتأثر علماء بايلك الغرب الجزائري في الحياة السياسية الاجتماعية والثقافية سواء في الفترة العثمانية أو خلال الإحتلال الفرنسي؟

- هل صحيح أن فرنسا دخلت الجزائر لتحريرها من العثمانيين والمساهمة في تحضيرها كما تدعي المدرسة الاستعمارية؟ أم أنها عملت على نشر الجهل والأمية والتخلف؟ وكيف تم ذلك؟

للإجابة عن هذه التساؤلات وأخرى: إعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي الإستنتاجي، وذلك بالاعتماد على النصوص التاريخية المستمدة من مصادرها، وتحليلها ثم مقارنتها ببعضها البعض.

غير أن مجموعة من الصعوبات إعترضت إنجاز هذه الدراسة في مقدمتها:

- تشعب الموضوع باعتباره يدخل في إطار التاريخ الثقافي، وتناثر مادته التاريخية ما بين طيات المصادر والمراجع.

- صعوبة الحصول على أهم المخطوطات والوثائق الرسمية المتعلقة بالفترة المدروسة سواء لضياعها أو لامتناع أصحابها عن تزويدنا بها بحجة أنها تتعلق بتاريخ العائلة يجب أن تبقى كتراث عائلي.

- شح المادة التاريخية وعدم كفايتها فيما يتعلق ببعض عناصر الموضوع، كدور الطرق الصوفية والعلماء في بداية الاحتلال الفرنسي مثلا.

- تشابه المادة التاريخية إذ كثيرا ما كنا نلمس التكرار والتشابه، بين مؤلف وآخر.

- إهتمامات الكتابات الأجنبية خصوصا الفرنسية ببعض جوانب الموضوع كثورات الطرق الصوفية، ترجمة لبعض العلماء مع إهمال الجوانب الأخرى.

مع ذلك جاءت بعض المصادر والمؤلفات، والتي ساهمت إلى حد كبير بمادة تاريخية غطت جوانب متعددة من الموضوع المدروس كالأتي :

المصادر المحلية:

ـ بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر: لعبد القادر المشرفي وهو مصدر أساسي لأن صاحبه تحدث عن العلاقات المشينة التي جمعت الإسبان وكثيرا من القبائل في بايلك الغرب حتى تحولت إلى خادمة لهم، ويبين موقف الشرع من أفعالها، ويحذر الناس أن يحذوا حذوها.ومن هنا تكمن أهمية هذا المصدر .

ـ رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري: رافق صاحبها ابن هطال الباي محمد الكبير خلال إنتقاله إلى عين ماضي لتأديب أتباع الطريقة التيجانية، وسجل تفاصيل هذه الرحلة، بدقة، وتكمن أهمية المصدر في كونه نقل إلينا صورة عن حالة البلاد التي سادها خروج كثير من القبائل في الريف على طول الطريق بين معسكر وعين ماضي عن سلطة البايلك برفضها دفع الضريبة، وهو الوضع الذي عزم الباي على تغييره .

ـ الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني: لابن سحنون الراشدي الذي كان ملازما للباي محمد الكبير مكلفا بتأديب ولده وولي عهده عثمان، وتكمن أهمية المصدر في أنه ركز على حياة الباي والمناصب التي تقلدها قبل توليه مسؤولية البايلك، وعلى دوره في تنظيم الرباطات التي إنتهت بتحرير مدينة وهران وطرد الإسبان منها نهائيا عام 1792.

ـ عجائب الأسفار ولطائف الأخبار: لأبي راس الناصري وقد ضمن تأليفه هذا أخبارا هامة تتعلق بالحصار والتحرير والعلماء المشاركين فيه والقبائل المتعاونة مع الإسبان، إضافة إلى مواضيع أخرى متشعبة بعيدة عن موضوع الفتح. والملاحظ إنتصار أبي راس للبايلك في كتاباته التي لم تخل

من مدح البايات وسياستهم، ومن ذم المعارضين لهم خصوصا درقاوة التي ألف فيها كتابا ما زال في حكم المفقود معنون ب "درء الشقاوة في حرب درقاوة".

ـ مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر: وهو مصدر عايش صاحبه كثيرا من الأحداث التي عرفتها الإيالة خلال خمسين سنة الأخيرة من عمرها، وتكمن أهميته في أنه أطلعنا على تار يخ الدايات المتأخرين، وأهم ما ميز فترة حكم كل واحد منهم. وفي خضم ذلك جاء ذكر أحداث سياسة كثيرة لها علاقة بباياك الغرب كالحروب مع الإسبان. ولكن الأهم من هذا بالنظر إلى موضوع دروستنا هو بيان مراسيم تقديم الدنوش، والمبالغ التي تخصص لذلك، والتكاليف التي يتحمل أعبائها سكان الأهالي. هذا إضافة إلى الحديث عن ثورة درقاوة، وحركة الطريقة التيجانية، والملاحظ هو عدم انسياق الزهار وراء التيار الرافض لكن هذه الثورات حيث لم ينعتها بنعوت سيئة، بل ذكر أصحابها ببعض الخير، فقد وصف الوالد التيجاني بالصلاح، وأقر بزيارته هو لزاوية التيجاني بفاس سنة 1259ه- 1843.

ـ أنيس الغريب والمسافر:لمسلم بن عبد القادر، وهو من أهم المصادر التي عالجت تاريخ بايات وهران، وفصلت الحديث عن بعض الأحداث التي عرفتها هذه الفترة خصوصا ثورة درقاوة.

ـ المرآة: لحمدان خوجة، الذي يعد مصدر هام أرخ لإيالة الجزائر وقدم إحصاءات هامة عن الأرض والسكان والضرائب، كما تحدث عن الإدارة وعلاقتها بالقبائل المختلفة، وعن البايات خصوصا أواخر العهد العثماني، ومن ذلك مثلا حديثه عن الباي حسن بن موسى ودوره في سقوط وهران في يد الاحتلال الفرنسي.كما تكمن أهمية هذا المصدر في كونه فصل الحديث عن سكان الجهة الغربية حيث تحدث عن صفات سكان تلمسان، مليانة، وهران، ومعسكر، وعن أخلاقهم وعاداتهم ونشاطاتهم الاقتصادية، ضف إلى ذلك حديثه عن بايلك الغرب الذي اعتبره أقل خصبا وأقل اتساعا من بايلك الشرق.

ـ القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم: للطبيب بن المختار الغريسي، وقد مكننا من معرفة قبائل الوطن الغريسي، بل وكثير من قبائل الجهة الغربية، وفي خضم هذه التعريفات والتراجم أورد

المؤلف حقائق تاريخية كثيرة عن أواخر العهد العثماني ودور الحشم خاصة في التحولات السياسية التي عرفها البايلك حين ظهور الثورات الدينية.

ـ دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران:للزيانيوهو مؤلف هام خصصه صاحبه للحديث عن وهران وباياتها، والثورات التي إندلعت ضدهم، وقد فصل الحديث عن ثورة درقاوة تفصيلا دقيقا، وبين تأثر سكان الريف بها .

الوثائق الأرشيفية:

ونعني بها مجموعة الوثائق التي حصلنا عيها عن طريق الدكتور جاكر لحسن والدكتور بشير بلمهدي علي من مركز أرشيف ما وراء البحار ب" اكس أون برفونس": حول الطرق الصوفية والزوايا والمساجد، حضورها ونشاطها خلال فترة أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، والتي إعتمدنا عليها في إحصاء الطرق والزوايا مثلا.وكذا أعلام بايلك الغرب خلال الفترة المراد دراستها وأهم نشاطاتهم العلمية الثقافية والدينيةوقد كانت كالتالي:

_C.A.O.M 16 H35

_C.A.O.M 2U 23

_C.A.O.M 2U 08

المراجع:

ـ تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (16م- 20م): لأبي القاسم سعد الله، الذي يعد عملا ثقافيا موسوعيا، لأهميته بخصوص المؤسسات الدينية، ورجالاتها ومدى تأثيرهم في الحياة الثقافية والسياسية للجزائر عامة وبايلك الغرب خاصة، إضافة إلى الطرق الصوفية تاريخها ونشاطها والذي كان بنوع من التفصيل والتدقيق.

ـ أعلام الفكر الثقافة في الجزائر المحروسة: ليحي بوعزيز والذي يسعى لترجمة بعض أعلام الجزائر أو الأسر العلمية مع التركيز على أدوارها الدينية والعلمية بما فيها بايلك الغرب.

ـ إضافة إلى كتابات ناصر الدين سعيدوني كالجزائر في التاريخ العهد العثماني ألفه مع المهدي البوعبدلي، والذي يسلط الضوء على كثير من نقاط موضوعنا هذا .إلى جانب كتاباته الأخرى عن الوقف والأحوال الاقتصادية، خلال الفترة المدروسة.

ومن الكتابات الأجنبية نذكر:

Les confréries religieuses musulmanes

Octave depont ،xaviercoppolani

l.Rinn ،Marabauts et khouan

وكذا بعض المقالات التي ضمتها المجلة الإفريقيةالتي وفرت لنا المادة التاريخية حول الموضوع.

ضمت طيات هذا الموضوع أربعة فصول:

كان فيها الفصل الأول حول الأوضاع العامة للجزائر خلال أواخر العهد العثماني مع التركيز على بايلك الغرب، لما شهدته من أحداث ووقائع إنعكست إيجابا وسلبا على الوضع الثقافي خلال الفترة المدروسة.

أما الفصل الثاني فقد خصص للمؤسسات الدينية والثقافية بالجزائر خلال القرنين 18م و19م: الأشكال والوظائف ونسبة مساهمتها في نشر التعليم وتثقيف المجتمع الجزائري والنهوض به.

بينما الفصل الثالث فيستعرض أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في بايلك الغرب خلال الفترة موضوع الدراسة: الحضور والأثر مع التركيز على القادرية، الدرقاوية، والتيجانية.

وفي الفصل الرابع: تناولنا أهم علماء بايلك الغرب خلال القرنين 18م 19م تأثرهم بالأوضاع السائدة آنذاك ونسبة تأثيرهم ومساهمتهم الثقافية والسياسية على حد سواء.

وقد ختمنا الموضوع بخاتمة جمعت نتائج البحث.

ولله الفضل من قبل ومن بعد.

الفصل الأول

الجزائر أواخر العهد العثماني: بايلك الغرب

1. **الإطار الجغرافي والتاريخي لبايلك الغرب:**
2. **الحياة الاقتصادية.**
3. **الحياة الاجتماعية:**

1-الإطار الجغرافي والتاريخي لبايلك الغرب:

كانت الدولة التركية عاجزة عن وضع جميع القطر الجزائري تحت يد حاكم واحد، وخوفا من عموم الفوضى وكثرة التمرّدات، قسم القطر الجزائري إلى أربع ولايات، إحداها تحت تصرّف الباشا مباشرة.[1] وقد إستخدم لفظ البايلك للدلالة على الإقطاعات التي تؤخذ منها الضرائب، ثم أصبح يستخدم للحديث عن الحكم الإداري العثماني في البلاد.[2] وتتمثل الولايات العثمانية بالجزائر كالتالي:[3]

- ولاية الجزائر: ويدخل تحتها خمس مدن بضواحيها، هي: الجزائر، البليدة، القليعة، شرشال، ودلس. وكانت هذه الولاية تعرف "بدار السلطان" وهي تحت تصرّف الباشا أو الداي مباشرة.
- ولاية الجنوب: وهي التيطري. أسست سنة 947هـ/ 1540م. وهي أصغر ولاية في الأيالة الجزائرية، وأولى ولاية بعد ولاية الجزائر العاصمة.
- ولاية الغرب: أسست سنة 970هـ/ 1563م[4] وعاصمتها أولا مازونة ثم معسكر، وأخيرا وهران.
- ولاية الشرق: أسست سنة 974هـ/ 1567م، وعاصمتها قسنطينة

وعن بايلك الغرب يذكر المزاري: "... وفي الحقيقة أنّه (بايلك الغرب) هو الثاني في المرتبة لكون الترك تولّوا الجهة الغربية، وجعلوا فيها بايا قبل الجهة االشرقية، وقاعدته وهران... وكان (البايلك)

---

[1]- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائر: ش.و.ن.ت 1972 . ص: 35.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائرفي العهد العثماني، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 2000 ص: 241.

[3]- محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص، ص : 35- 36.

[4]- يحدّدها مبروك مهيرس بسنة 1562م. يراجع مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، دبلوم الدراسات المعمقة لعلم الآثار، جامعة الجزائر، 1981- 1982، ص، ص 15- 16.

منوعا على نوعين أحدهما مازونة، وثانيها تلمسان... ثم جمع لواحد وصارت القاعدة قلعة بني راشد، ثم صارت المعسكر، ثم صارت وهران في الفتح الأوّل، ثم صارت مستغانم، ثم صارت المعسكر..."[5]

وفي نفس السياق يذكر الزياني: "لقد شكّلت كل من معسكر، مازونة، وهران العواصم والقواعد الهامة للبايلك، حيث أنّه في المرحلة الأولى – أي قبل القرن 18م- شكّلت مدينة مازونة عاصمة للبايلك، وكانت تلمسان قاعدته الهامة. لكن لم يبق الوضع على حاله، بل تغيّر الوضع السياسي بعد ذلك خلال القرن 18م، فأصبحت بذلك معسكر عاصمة للبايلك سنة 1701م، ثم وهران في الفتح الأوّل سنة 1708م، تليها مستغانم سنة 1732م لينتقل بعد ذلك إلى معسكر ثانية سنة 1737م. وليستقرّ نهائيا بوهران بعد الفتح الثاني سنة 1792م".[6]

والجدير بالذكر، أنّ عواصم البايلك كانت تتغيّر وتنتقل بسبب الغزو الإسباني. كما أنّ حدوده لم تكن ثابتة. كان البايلك الغربي يمتد ما بين المملكة المغربية غربا، وبايلك التيطري ودار السلطان شرقا، وما بين البحر المتوسط شمالا، والصحراء جنوبا، وهو ما يعادل حاليا القطاع الوهراني.

لم يتأثر بايلك الغرب مباشرة بالحكم المركزي بمدينة الجزائر، على عكس دار السلطان التي كانت بحق مقاطعة مركزية خضعت لتنظيم محكم وتسيير مركزي لقربها من مقرّ السلطة، ولخضوعها مباشرة للداي. وإذا كان بُعد بايلك الغرب لم يعفه من الخضوع لتنظيم إداري مشابه لذلك السائد في دار السلطان، فإنه حال دون تبلور الأنظمة الإدارية فيه، وأبعد سكان الأرياف عن المراقبة الفعلية والمباشرة رغم حضور البايات القوي على الساحة السياسية.[7]

---

[5]– بن عودة المزاري، طلوع سعد السعودفي أخبار وهران وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة :يحيى بوعزيز، بيروت :دار الغرب الإسلامي، 1990 ج1، ص، ص 270- 271.

[6]– محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الجزائر، ش. و. ن. ت 1978، ص، ص 192- 193.

[7]– ناصر الدين سعيدوني، ورقات... المرجع السابق، ص 273.

مثّل الباي السلطة التنفيذية، وقد ساعده في أداء مهامه الإدارية وإصدار أوامره وتعليماته ديوان خاص يتشكّل من موظفين سامين، بينما كان يقوم بتنفيذ هذه الأوامر مجموعة كبيرة من الموظفين الذين كانوا بدورهم يشكّلون الديوان الكبير لبايلك الغرب، والذي يجتمع أعضاؤه في المناسبات الرسمية، والمواسم الدينية.[8]

تظهر علاقة البايلك وتبعيته للسلطة المركزية من خلال تعيين الباي والخليفة الكبير من مدينة الجزائر، وكذا تبعية آغا الدايرة مباشرة للداي، كما تعد الضرائب دلالة على ولاء الباي لدار السلطان، وذلك مقابل أن تتكفّل السلطة المركزية بتوفير الجيوش للبايلك عند الحاجة، وتقديم المساعدات في حال وقوع كوارث طبيعية. ولا ننسى مسألة أمن البايلك الخارجي الذي يندرج ضمن سيادة البلاد، فقد كانت الإيالة تتكفّل مثلا بالمفاوضات مع الإسبان حين تعلّق الأمر بتحرير وهران، كما لم تغب دار السلطان عن مسألة الصراع بين بايلك الغرب والمغرب الأقصى.[9] وقد جمع البايلك الوظائف التالية:

– **الباي:** هو صاحب السلطة السياسية على البايلك، وهو المسؤول الأول أمام الحكم المركزي، تعيّنه السلطة المركزية، ويكون عادة من كبار الموظفين بدار السلطان، وغالبا ما يكون مقرّبا من بعض الموظفين الكبار، ويحظى بسمعة طيّبة في مجلس الديوان، وقد يكون من الذين شغلوا منصب خليفة باي سابق، أو منصب قايد. كما يتم الحصول على هذا المنصب عن طريق اللّجوء إلى دفع الأموال، وهذا ما حدث مع الحاج خليل عند وفاة الباي إبراهيم.[10]

يتمتّع الباي بسلطة مطلقة في بايلكه بهدف تسهيل تأدية مهامه المتمثلة في التالي:

---

[8]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ – العهد العثماني– الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 16.

[9]– كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني، دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013– 2014، ص: 40.

[10]– راجع كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 42. و صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي: 1514 – 1830، الجزائر: دار هومة للطبع والنشر، 2005، ص 282.

- تسيير شؤون الإقليم.
- الإشراف على القوات العسكرية.
- التكفّل بدفع أجور موظفي البايلك.
- توفير الأمن.
- جمع الضرائب.
- إصدار العقوبات، وتولي قيادة الجنود في المعارك.

وفي هذا السياق، يذكر سعيدوني: "... فالباي في كلّ بايلك كان يقوم بالمحافظة على الأمن، وإقرار الهدوء، والحيلولة دون إنتفاضة أو عصيان القبائل بالأرياف مع الإهتمام بالمرافق العامة بالمدن الكبرى التابعة له، وتأمين الطرق وإبقاء الإتصال بمركز السّلطة بالجزائر".[11]

كان بايات بايلك الغرب مطالبين بالتوجّه إلى دار السلطان مرّة كل ثلاث سنوات لتسليم عائدات البايلك وتقاريره الخاصة بأوضاعه الداخلية، فيوفّر بذلك موارد إضافية لخزينة الأيالة، إلى جانب الدنوش الصغير الذي يبعثه الباي مرّتين في السنة مع خليفته.

– **ديوان البايلك:** كان للباي عدد من الموظفين والمساعدين المحليين تتشابه مهامهم وصلاحياتهم . وقد كان أعضاء ديوان الداي كالتالي:

أ– الخليفة: كان للباي خليفتان:

خليفة الشرق: سمي كذلك لنفوذه على منطقة سهول الشلف، شرق مازونة. يختاره الباي ويعيّنه الداي، ينوب عن الباي في الخروج إلى الرعية، ويمثّله في مدينة الجزائر.[12]

[11]– ناصر الدين سعيدون والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص : 20.

[12]– ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ج1، ص: 271.

خليفة الكرسي: ينوب عن الباي في قاعدته حين غيابه بالجلوس على الكرسي، كما قد يرافق الباي في رحلته إلى مدينة الجزائر لنقل الدنوش.[13]

ب- الخزندار (الباشخزناجي): هو المسؤول عن جميع الخدمات المالية، أي أنّه المسؤول الأول عن مداخيل البايلك ونفقاته، إضافة إلى مراقبة جمع وتسليم الضرائب أو الجباية.[14]

ت- آغا الدايرة: هو أحد قادة المخزن، من مهامه الإشراف على فرسان البايلك العرب، له رايات خاصة. يستشيره الباي في شؤون الرعيّة بعد أن ينقل إليه شكاواها ومطالبها. قد يكلّف أحيانا بحملات صغيرة ضد القبائل المتهمة. هذا إضافة إلى مهام أكثر خطورة، حيث تحول إلى عين السلطان على الباي، بل منفذ لأمره بعزل الباي والحلول محلّه في إنتظار وصول الباي الجديد.[15] وعن ذلك جاء في كتاب الجزائر في التاريخ أنّ آغا الدايرة كان يتلقى أوامره مباشرة من الداي، ويقوم بعزل أو إعدام أو تعيين البايات الجدد بالبايلك عندما تصدر له الأوامر بذلك، كما كانت تخضع لأوامره فرسان المخزن، وهذا ما مكّنه من التصرّف في الأرياف، ومراقبة البايات في تعاملهم مع السلطة المركزية.[16] ونشير إلى أنّ منصب الآغا كان يشترى بمبالغ باهظة.[17]

ث- الباش كاتب: يعد بمثابة الكاتب العام، أو كبير الكتّاب، أو كاتب الباي الخاص الذي يحفظ دفاتره الإدارية المحلية، ويشرف على مراسلاته وسجلاته العقارية.

---

[13]- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص: 44.

[14]- ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص :20.

[15]- يراجع صالح عباد، المرجع السابق، ص: 296، ويحيى بوعزيز، مدينة وهران... ص :49.

[16]- ناصر الدين سعيدوني، ورقات... المرجع السابق، ص :243.

[17]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص، ص :20- 21.

ج- باش المكاحلية: وهو قائد الحرس الشخصي للباي، يحمل سلاحه في الحفلات العامة والتظاهرات، ويقود المكاحلية فرسان النخبة الذي يشكلون الحرس الشخصي للباي.[18] كان للباي خمسة عشر مكاحلية يحملون البنادق، مهمتهم حراسة خزائن الباي بالتعاون مع الشواش المكلفين بحراسة خيمته.[19]

ح- الباش سراج: أو الباش سايس، وهو المسؤول عن إصطبلات البايلك وحيواناته، بحمايتها والإعتناء بها، وهو القائم بتجهيز حصان الباي عند السفر، كما يعد قائد عمال الحظائر، يمسك لجام حصان الباي حين يمتطيه.[20]

خ- قائد المدينة: يجب أن يكون من أصل تركي، وظيفته غير وراثية. له مكانة مرموقة، وبخاصة على مستوى المدن الهامة. تحرسه فرق الانكشارية.[21]

د- شيخ البلد: يصبح المسؤول الأول عن البلد في غياب الباي، يتكفل بأجور الجند ومؤونتهم. كما توكل إليه بعض المسائل الحساسة، كسرية العقوبات حيث تحبس في بيته، وتعاقب سريا النساء اللاتي تنحدرن من عائلات معروفة وترتكبن مخالفات.[22]

ذ- الباش علام: وهو الذي يحمل شارات الحامية التركية ببايلك الغرب.

ر- قائد السوق: أو صاحب الشرطة، مهمته مراقبة السوق حسب أحكام القضاء والإفتاء. كما يعاين نوعية وكمية المعروضات، ويفرض الإلتزام بتحديد الأسعار، وضبط المكاييل والموازين.[23]

---

[18]- قدور بوجلال، العلم والعلماء في بايلك الغرب، 1711- 1830. معسكر ومازونة نموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2008- 2009، ص : 11.

[19]- صالح عباد، المرجع السابق، ص :296.

20 -Esterhazy, Walsin, de la domination turque dans l'ancienne regence d'alger, paris : librarie de charles gosselin , 1840 ،p 246.

[21]- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص، ص : 44- 45.

[22] -Laugier de Tassy ،Histoire du Royaume Dalger ,Amesterdam,Henri du sautet ،, 1725 p 236.

ز- قائد القصبة: يسهر على أمن المدينة، وبخاصة أثناء اللّيل، ويطبق الأحكام الصادرة في حق المجرمين، ويراقب السجون، وينفذ العقوبات الجسدية وحكم الإعدام بأمر من الباي.

هذا إضافة إلى مجموعة من الموظفين في الأرياف، حدّدهم كمال بن صحراوي كالتالي:[24]

أ- الآغا: هو في بايلك الغرب بمثابة الوزير، مهمته المحافظة على حقوق الأتراك والكراغلة في المدن التي لا يسكنها البايات.

ب-القايد: هو المشرف على مجموعة من الدوائر تعرف بالوطن. أو المشرف على عمل شيوخ القبائل فيما يخص جمع الضرائب، الفصل في الخلافات...

ت- شيخ القبيلة: يشرف على تنظيم المعاملات الإجتماعية والقضائية والإقتصادية.

ث- الدلال:الذي ينادي في الأسواق بسلعة ما مقابل سهم من ثمن بيعها. كما يتوسّط بين البائع والمشتري.

ج- البرّاح:الذي ينادي في الأسواق والساحات العامة لتبليغ النّاس الأوامر الصادرة عن السلطة.

ح- قائد العشور: يشرف على تحديد مبلغ العشور الذي تدفعه كلّ قبيلة.

خ- القوات العسكرية: أدرجناها في الجدول التالي، وعرفناها إعتمادا على مجموعة مؤلّفات:[25]

---

[23]- قدور بوجلال، المرجع السابق : ص 14.

[24]- كما بن صحراوي، المرجع السابق، ص، ص :46- 50.

[25]- يراجع:

Esterhazy ،de la domination Turque… op ،cit ،pp 237- 246.

- كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص، ص : 50- 52.

- بوجلال قدور، المرجع السابق، ص، ص 14- 20.

القوات العسكرية	نوعية القوات
النوبة	حراسة المدن وبعض المراكز
الزنبطوط	يشكّلون مقدمة قوات غزوات الباي
القوم	رجال القبائل المساندة للباي
الصبايحية	قوات الجند من الفرسان
المحلة	القوة العسكرية الخاصة بتحصيل الضرائب والغرامات
قوات المخزن	المجنّدون الأهالي بشكل رسمي

بايات الغرب:

ليس من السهل علينا إحصاء كل بايات الغرب لغياب بعض المعطيات والحقائق التاريخية من جهة، ولإختلاف أراء المؤرخين وأقوال الباحثين بخصوصهم من جهة أخرى. إذ في الوقت الذي حصر عددهمالزياني في 33 بايا، مع العلم أنه أسقط محمد العجمي من القائمة بينما يدرجه ضمنها غيره كـــ أستوازي، وبالتالي نصل إلى أن العدد 34، وهذا ما يجعلنا أمام احتمالين: الأول يقضي بعدم إحتساب حسن بن خير الدين ضمن القائمة والثاني يقضي بكون المجهولين تسعة لا عشرة[26].

وقد بدأنا حديثنا عن بايات الغرب بالباي مصطفى بوشلاغم التي بدأت فترة حكمه سنة 1696 وهو ما يتزامن مع الإطار التاريخي لهذا الموضوع.

ـ الباي مصطفى بوشلاغم المسراتي 1696- 1737:

خلف الباي شعبان، ويعد أول بايات وهران جمعت له المقاطعة الغربية إذ تولى على مازونة وتلمسان بأمر من الداي محمد بكداش، وفي هذا السياق يذكر المزاري: وأول بايات وهران مصطفى أبو شلاغم ابن يوسف بن محمد ابن اسحاق المسراتي، الذي جمع له في توليته بين الإيالة

[26]- بن صحراوي كمال، المرجع السابق، ص :54.

الشرقية والغربية.تولى بايا على مازونة وتلمسان، فهو أول من جمعت له الإيالة الغربية بتمامها سنة ثمانية وتسعين وألف"[27].

تربى بوشلاغم في قصر الداي محمد بكداش، الذي كان يكن له محبة كبيرة وعينه على أمر وهران لمضايقة الإسبان بها، لذلك جاء إلى الحكم وهو كله حزم وعزم لإخضاع البايلك الغربي لسطلته والإنتقام من الإسبان لقتل الباي شعبان الزناتي[28]، عرف بايلك الغرب مع الباي بوشلاغم عهدا جديدا حيث قام سنة 1701 بنقل مقر البايلك من مازونة إلى معسكر وجعل هذه الأخيرة قاعدته لموقعها الإستراتيجي وتوسطها ما بين مازونة وتلمسان، ولقربها من وهران التي كان الباي يسعى لفتحها على ما يبدو.

قام الباي بوشلاغم بعدة إنجازات وبخاصة في الفترة الممتدة من عام 1708 إلى 1732 من حكمه، فإضافة إلى إسترجاع مدينة وهران سنة 1708، تميز عهده بالأعمال العمرانية الهامة التي شهدتها معظم مدن بايلك الغرب مثل برج الترك بمدينة مستغانم، وبعض المنشآت الحضرية[29].

في 1732 قام الإسبان بمهاجمة المنطقة، فانتقل الباي إلى مستغانم وأصبحت مدينة وهران ثانية تحت السيطرة الإسبانية[30]، وقد فشلت محاولات الباي في الدفاع عن وهران ضد الإسبان، وظل بوشلاغم في مستغانم لغاية وفاته سنة 1737 ودفن بالمطمر القريبة منها.

ـ الباي يوسف المسراتي (1737- 1738):

بعد وفاة والده سنة 1737 إختار داي الجزائر يوسف بن مصطفى بوشلاغم[31]بايا جديدا على الغرب، وأمره بنقل العاصمة إلى معسكر بصفة نهائية، لكن هذا الأخير لم يكن يتمتع بقوة

---

[27]- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص، ص :274- 275.

[28]- قدور بوجلال، المرجع السابق، ص :33.

[29]- يحي بوعزيز، مدينة وهران المرجع السابق، ص57.

[30]- مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم :رابح بونار، الجزائر :ش.و.ن.ت. 1973، ص:20.

[31]- الأوقاف من حمامات ومحلات تجارية، لمزيد من المعلومات راجع:

- الزياني المصدر السابق، ص14.

- المزاري: المصدر السابق، ص275.

وحزم أبيه، فقد عرف عهده بعض الإضطرابات كتمرد كراغلة وحضر تلمسان سنة 1738 وطردهم القايد المعين من قبل البايلك[32]، كان الخليفة محي الدين المسراتي يسيطر على الباي الذي فر إلى تلمسان وتوفي هناك[33].

_ الباي الأحمر المسراتي (1738- 1748):

عمل الخليفة محي الدين المسراتي على تعيين إبنه مصطفى الأحمر المسراتي خلفا ليوسف المسراتي، ويعتبر المزاري مصطفى الأحمر أخا لبوشلاغم[34]، وبقي في الحكم عشرة سنوات إلا أن قتل مسموما من قبل عائلة زوجته بمستغانم التي دفن بها[35].

_ الباي بوطالب المجاجي (1748- 1757):

وهو محمد أبو طالب المجاجيالمسراتي، تولى الحكم مكان أخيه مصطفى الأحمر، بقي في الحكم لمدة سبعة سنوات، ومات مقتولا سنة 1757[36]، وعنه قال يحي بوعزيز:"لم نجد أثرا لأعماله فيما راجعناه من مصادر"[37].

_ الباي قايد الذهب المسراتي (1757– 1763):

جاء بعد أخيه محمد بوطالب المجاجي، ولقب بقايد الذهب لشدة كرمه وكثرة سخائه، وعطائه للناس[38]، كما أطلق عليه إسم باي المحال نسبة إلى قبائل المحال[39]، ولم تدم مدة حكمه

---

[32]– مسلم بن عبد القادر الوهراني، المصدر السابق، ص :19.

[33]– يذكر المزاري أن يوسف المسراتي أخو الباي مصطفى يبوشلاغم وليس . إبنه انظر المزاري المصدر السابق، ج1، ص :278.

[34]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص :19.

[35] –Es terhazy ،dominationTurque.op cit ،P174.

[36]– المزاري، المصدر السابق، ج1، ص :278.

[37]– راجع الزياني، المصدر السابق، ص :194.

Estehazy ،,op ,cit ,P145

- ومسلم بن عبد القادر، المصدر السلبق، ص :20.

[38]– أنظر يحي بوعزيز:مدينة وهران...، المرجع السابق، والمزاري، المصدر السابق، ص :280.

طويلا بسبب صهره عثمان بن ابراهيم الذي ضار ضده، فلجأ إلى الإسبان بوهران، ومنها إلى تونس أين بقي مدة إلى أن توفي بها[40].

_ الباي عثمان بن براهيم (1763- 1771):

وهو جد العصاصمنة[41]، تولى حكم بايلك الغرب، بعد أن كان في فترة سابقة حاكما على تلمسان، سيطر على تلمسان بعد أن ثارت عليه وإرتكب في حق أهلها أعمالا قاسية، لكن ذلك لم يمنعه من القيام ببعض الإنجازات العمرانية كبناء الجامع الأعظم بمعسكر، والقبة والدار التي بقربه والتي دفن بها عند وفاته، لذلك تعرف لدى الناس بقبة الباي إبراهيم .تزوج من إحدى بنات الباي بوشلاغم المسماة خروفة وكانت متسلطة تسير البايلك، ويأتمر زوجها بأمرها حتى سماها الناس خروفة الباي[42].

_ الباي حسن (1771– 1774):

بقي في الحكم لمدة ثلاث سنوات وأثناء تأديته إيصال الدنوش إلى مدينة أهانه الباشا[43]، فغضب من الاستقبال الذي حظي به، وأحس بنوع من التقصير فخاف من الانتقام وبالتالي فر إلى تلمسان، ثم إلى وهران، فإسطنبول ويضف* إلى القاهرة حيث توفي[44].

_ الباي إبراهيم المليانى (1774– 1783):

تمكن من فرض الأمن والهدوء في البايلك بعد أن وضع حدا لقبائل المحال المتمردة .كان محبا للعلماء والفقهاء ويكثر من مجالستهم والمذاكرة معهم[45].

---

[39] -Mar chelBadin ،L’agrément d ulecrutenotice h ist or iquesu r lesarabessoumi saux espagnols pendant leur occupationd’ Oranpar siAbdelkader ElMecherfiinrevu e Africaine. T65- 1924- PP193- 260.

[40] -Esterhazy ،...opcit ،P 178- 182.

[41]- الزياني، المصدر السابق، ص :194.

[42] -Est erhazy ،Opci t ،P182.

[43]- المزاري، المصدر السابق، ص :285.

[44] -Esterhaz y ،opcit ،P184.

[45]- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص :21.

ومن آثاره العمرانية برج معسكر بمعسكر، وإستمر حكمه لمدة عشر سنوات إلى أن توفي سنة 1783، ودفن في القبة التي بناها الباي عثمان للشيخ عبد القادر الجيلاني الملاصقة للجامع الأعظم[46].

_ الباي الحاج خليل (1783– 1784):

قام بحملة ضد الإسبان وغزا الشيخ أباترفاس صاحب الزاوية الشهيرة بالعين الكبيرة نواحيندرومة، واعتدى، وفرق طلبته ثم عفا عنه[47]. في أيامه تمرد الدرقاوي سيدي محمد بن علي بناحية تلمسان، فاتجه نحوه للقضاء عليه، وأثناء هذه الحركة توفي ودفن بقبة سيدي محمد السنوسي[48]، يشاع عنه أنه كان مبغظا للعلماء والأولياء.

_ الباي محمد بن عثمان الكبير (1784– 1799):

لقب بالأكحل لسواد بشرته، وكان فصيحا بليغا جسيما، محبا للعلماء والصلحاء، قام بأعمال وإنجازات هامة وكبيرة مجدت إسمه كاسترجاع مدينة وهران وتحريرها ثم فتحها سنة 1792م، وأعاد بناؤها بعد زلزال 1790م الذي أصابها وجعل منها إحدى أكبر مدن البايلك الغربي[49]، بنى بوهران جامع الباشا، وبدأ بناء مسجد الرحبة، إضافة إلى مسجد ابن ناصف بمعسكر، وقلعة البرج الأحمر، والمدرسة الجليلة بخنق النطاح التي بها ضريحه بوهران[50].

كان زمن المجاعة يستورد الحبوب من أوربا ويبيعها للناس بأسعار زهيدة كما وزع الكثير منها مجانا على الفقراء، وأعفى الفلاحين من دفع ضريبة العشور. مثل عهد الباي محمد الكبير قمة

---

[46]– المزاري، المصدر السابق، ج1، ص :286.

[47]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص :22.

[48]– يذكر أن سبب وفاته هو دعاء ثلاثة من الصالحين عليه، فقد كان لا يحب العلماء والأولياء وقد اعتدى على الكثير منهم أنظر:بن صحراوي كمال، المرجع السابق، ص :61.

[49]– صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر، من العهد الفنيقي إلى خروج الفرنسيين: 814 ق م – 1962، الجزائر :دار العلوم للنشر والتوزيع، 2002، ص :107.

[50]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص :24.

الازدهار والتقدم لبايلك الغرب خلال العهد العثماني. وقد توفي في سنة 1799 أثناء تأديته لعملية إيصال الدنوش إلى العاصمة.

_ الباي محمد عثمان (1799– 1802):

تولى الحكم بعد وفاة أبيه، ونقل القصبة من البرج الأحمر إلى القصبة، التي هي بأعلى الساحة من ناحية مرجاجو[51]، إهتم ببناء المعالم المرونقة، وإشتغل بالعمارة وتشييد القصور وإجراء المياه، لكنه ركن بعد ذلك إلى حياة اللهو والترف. هذا ما يؤكده المزار حينما يذكر أنه أراد أن يشته في ذلك كما يقول بن مسلم بن عبد القادر الوهراني بملوك بني العباس[52]. يعزز ذلك المزاري حين يكتب: " وإشتغل ببناء المعالم المرونقة والغرف المعدة المزوقة... وأعرض عن المملكة باللب، ... وإتخذ مجلسا للخلوة بإحكام فصار لا يخرج منه للحكم إلا بعد مرور أيام، وصرف أمر رعيته إلى من شاء من أرباب دولته، فإنتفعوا نفعا كثيرا، ونالوا من الرعية مالا عزيزا"[53].

الملاحظ أن محمد عثمان لم يتبع سيرة والده فبدأ ملكه يتزعزع وأمره يتراجع، أما سبب عزله فيرجع إلى شرائه جارايتين جميلتين من تونس، فلما بلغ خبره الداي غضب منه وعزله[54]، لكنه بعدما عزل ونهب ماله، نقل مقيدا إلى البليدة، ثم عينبايا على قسنطينة أين خرج عليه إبن الأحرش الدرقاوي فهزمه ثم قتله.

[51]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص :26.

[52]– نفسه . أنظر كذلك المزاري، المصدر السابق، ص :298.

[53]– المزاري، المصدر السابق، ج1، ص، ص :299–300.

[54]– بن الصحراوي كمال، المرجع السابق، ص :65.

_ الباي مصطفى العجمي (1802– 1808):

كان رجلا عاقلا حكم البايلك في فترة عرفت الكثير من المشاكل والإضطرابات إذ لم يتمكن رغم حملاته من القضاء على الدرقاويين الذين هزموه في معركة فرطاسة[55]، الأمر الذي أدى إلى عزله سنة 1806 وإستبداله بالباي محمد بن محمد المقلش، الذي حقق بعض الإنتصارات على الدرقاويين، لكنه أعيد تعيينه سنة 1807 ليستمر في محاربة الدرقاويين الذين ألحق بهم هزائم كبيرة إلى غاية أن عين خزناجيا من طرف السلطة المركزية بوهران[56].

_ الباي محمد بن عثمان أبو كابوس (1808– 1813):

هو محمد بن عثمان الكردي، كانت له عدة ألقاب: الصغير، تمييزا له عن أخيه محمد الكبير فاتح وهران، الرقيق لنحافة جسمه، بوكابوس، لأنه كان يحمل مسدسا كابوس البشطول طوال الوقت فلا يفارقه، أو لأنه قتل به السايح بن خضرة زعيم قبلية سويد، المسلوخ لأن عمر آغا سلخ رأسه وهو حي[57].

عمل طول فترة حكمه على محاربة درقاوة لأن نهايته كانت بسبب خلافه مع الدايومن ثم محاربته له، لرفض الباي المشاركة في حملة ضد تونس وبذلك حمدان خوجة أن الداي إعتبر الباي أبو كابوس وباي تونس إخوة بما أنهما من الكراغلة لذلك عمل على معاقبته[58]. وهناك من يرجع سبب مقتله سنة 1813 إلى نيته في الثورة على داي الجزائر والبيعة لملك المغرب، إذ يقول مسلم بن عبد القادر:"...وصل الخبر إلى الجزائر، فغضب الباشا كثيرا، وعاد الباي إلى وهران. وبينما كان يتهيأ لدخول المدينة إذ وصلت سفن الأتراك من الجزائر مشحونة بالعساكر، ثم أذعن وسلم نفسه فكبل... وتولى عمر آغا قتل الباي السابق بنفسه، وسلخ رأسه وهو حي، وعذبه عذابا

---

[55]– لمزيد من المعلومات حول ثورة درقاوة، راجع: بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة وهران 2001– 2002، الفصل الثالث .

[56]– قدور بوجلال، المرجع السابق، ص :41.

[57]– كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص، ص :66-67.

[58]– حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب :محمد العربي الزبيري، الجزائر: ش، و، ن، ت، 1975 ص:172.

أليما، وملأه بعد سلخه قطنا، ثم أرسله إلى الجزائر. وقتل أولاده الصغار وذلك سنة 1228ه-1813م.[59] أما الزهار فيذكر أن سبب ذلك كله كان وحشة بين الباي وبين عمر آغا لأن الباي قتل أخ عمر قبل أن يتولى آغا"[60].

_ الباي قارة بغلي (1813- 1816):

حينما بعث الداي عمر آغا لقتل بوكابوس، بعث قفطان تولية علي قارة بغلي، وهو صهر لبوكابوس. تمكن الباي الجديد من القضاء على الطريقة الدرقاوية وأخضع القبائل المتمردة، لكن حدوث ثورة على عمر باشا بالجزائر وإنتهائها بتعين علي باشا دايا للإيالة الجزائرية، جعله يختلف مع قارة بغلي كون خليفة الغرب الذي كان يتولى من باي المقاطعة الغربية، أصبح يوليه الداي بنفسه.

إن مخالفة الباي قارة بغلي لهذا الأمر أدت إل مقتله، إذ يذكر مسلم بن عبد القادر، فغضب عليه الباشا، ولما ذهب إلى الجزائر مدنشا ووصل إلى أبي خرشفة بأسفل مليانة أرسل إليه الباشا من عزله ثم قتله[61].

_ الباي حسن بن موسى(1816- 1831):

كان طباخا لدى الجيش، ثم صار بائعا للتبغ بعد أن إنتقل إلى وهران، وقد مر عليه الباي بوكابوس ذات مرة فأعجبه منظره وحسن نظافة دكانه، فطلب معلومات عنه ثم دعاه وزوجه إبنته بدرة[62] وقربه إليه، وأسند إليه قيادة قبائل فليتة، ففتحت الطريق أمامه لتوصله إلى قصر البايلك. إمتاز في بداية عهده بالعطف والشفقة على اليتامى، والضعفاء، والمرضى وبتقربه إلى

---

[59]- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق:ص28- ويؤكد ذلك المزاري حين يذكر أن الباي خرج قاصدا تونس لكن نفسه حدثته بالخروج عن طاعة الترك والدخول في طاعة سلطان المغرب، أنظر: المزاري المصدر السابق، ج1، ص :335.

[60]- الشريف الزهار أحمد، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر_1766 .1791 _تقديم:أحمد توفيق المدني، الجزائر :دار البصائر، 2009، ص :107.

[61]- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص :29.

[62] -Esterhazy ،opcit ،P216.

الصلحاء والعلماء[63]. وقد أثنى عليه صاحب المرآة بقوله:" كان يحكم بعطف أبوي فلا يفرض على الشعب إلا ضرائب قليلة، ولا يستعمل العنف ضده أبدا، ولأجل ذلك إزدهرت المقاطعة إزدهارا كبيرا، وكان الناس يعترفون له بالجميل[64].

وقعت في عهده الثورة التيجانية سنة 1826 فقاتل الثوار، وأرغمهم على الإنسحاب، كما قاتل القبائل الخارجة عن نطاق سلطة البايلك لكن سيرته فسدت بعد ذلك، إذ قتل العديد من العلماء كالحاج محمد البوشيخي، والشيخ فرقان الفليتي، وخرب زاوية إبنالقندوز التجاني.

ومع الحملة الفرنسية على الجزائر، عجز الباي حسن عن الدفاع عنها، فسلمها لهم بل وحكم باسمهم سبعة أشهر، ويقدم محمد العربي الزبيري صورة عن شخصية الباي قائلا:" دفعته ثروته وشيخوخته إلى الإستسلام دون مقاومة، ولقد حكم مدة 07 أشهر باسم الفرنسيين. وفي نهاية الأمر إضطهد فاضطر إلى الفرار إلى الإسكندرية، ومنها إلى مكة حيث قضى أيامه الباقية"[65].

مدن بايلك الغرب:

مثل بايلك الغرب باعتباره في مركز وسطي بين بايلك الشرق وبايلك التيطري مركزا نابضا ودورا فعالا لكل أقاليم الجزائر في إطار التقسيم الإداراي العثماني. وفي هذا الصدد يذكر الآغا بن عودة المزاري في الحقيقة، إنه هو الثاني في المرتبة أي بايلك الغرب، كون الترك تولوا على الجهة الغربية وجعلوا فيها بايا قبل الجهة الشرقية، وقاعدته وهران، وهذا الثالث كان منوعا على نوعين أحدهما مازونة، وأول باياتها حسن بن خير الدين باشا، ثم جمعا في الثامن وتسعين وألف لواحد، وصارت القاعدة قلعة بني راشد، ثم صارت معسكر ثم صارت وهران في الفتح الأول ثم صارت مستغانم ثم صارت معسكر ثم صارت وهران في الفتح الثاني..."[66].

---

[63]– المزاري، المصدر السابق، ص :347.

[64]– حمدان خوجة، المصدر السابق، ص :172.

[65]– نفسه، ص: 187.

[66]– الاغا بن عودة مزاري، المصدر السابق، ص :270.

أحدثت الإدارة العثمانية بالجزائر أربعة أقسام إداريةتسيهلا للحكم، وذلك في عهد حسن باشا بن خير الدين[67]، أولها دار السلطان[68] وثلاثة بايليكات: هي بايلك التيطري، وبايلك الشرق، وبايلك الغرب الذي أسس سنة 1563م. فظهور بايلك الغرب يعود إلى النصف الأول من القرن 16م حينما أصبحت مازونة عاصمة له، وتولى الحكم فيها الباي إبن خديجة الذي عينه حسن آغا، وبذلك يعتر بمثابة الباي الأول للبايلك نظرا لعمله على إقامة تنظيم إداري[69].

برز في بايلك الغرب خلال العهد العثماني عدد من المدن التي عدت مراكز ثقافية وحضارية ساهمت في الحياة السياسية من خلال الأدوار التي لعبها حكامها أو أهاليها أهمها:

مازونة:

تأسست سنة 567ه- 1172م على يد بني منديل أمراء مغراوة الذين إتخذوها قاعدة لإمارتهم[70]، وقد أختلف في تسميتها فقيل هي إسم لقبيلة ماسون كما قيل أن إسمها مشتق من مزنة أو موزونة[71].

تعد مازونة من المدن الهامة في بايلك الغرب الجزائري لموقعها الجغرافي بين معسكر وتنس من ناحية، ولمكانة مدرستها الفقهية ومسجدها الذان أسسهما الشيخ محمد بن سيدي الشارف من ناحية ثانية، ضف إل ذلك إحتضانها لعاصمة بايات الغرب فترة من الزمن.

كانت مازونة مركزا دينيا هاما، محاطا ببنيات وحدائق مما أفضى عليها طابعا جماليا خاصا.يبدو أن المدينة عرفت تطورا حيث لم تكن على ذات الحال في قرون سبقت، فقد وصفها الحسن الوزان

---

[67]- حسن باشا بن خير الدين1540- 1544- : وهو ابن خير الدين بربروس، ويعد أول من وطد دعائم الحكم العثماني بالجزائر سنة 1551، كما انتهج سياسة مضادة للدول الأجنبية.

[68]- دار السلطان هي أصغر المقاطعات، وأكثرها تمييزا، تتبع رأسا للسلطة المركزية المتمثل في الباي أو الباشا أو الحاكم العام.

[69]- بن صحراوي كمال، المرجع السابق، ص :19.

[70]- ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، المرجع السابق - ص191.

[71]- اسماعيل بركات، دراسة وتحقيق الدرر المكنونة في نوازل مازونة، من مسائل الطهارة غلى مسالة النزاع بين طلبة غرناطة، رسالة ماجستير جامعة منتوري قسنطينة 209- 2010- ص124.

بأنها تشمل مساحة واسعة لكن دورها قبيحة فقيرة بسبب التخريب التي تعرضت له كثيرا... حتى لم يبق فيه كثير من الناس، وهم يزاولون النسيج والفلاحة، وأراضيهم خصبة تعطي غلة حسنة[72].

ذلك بالرغم من بعض المؤلفات التي كانت تصف مازونة بأنها مركز المنطقة، وأن معظم ساكنيها كانوا ميسوري الحال، ويظهر ذلك من خلال وصف المساكن الجميلة والمزارع والبساتين، ومن التجارة التي كانت نشطة بها حث توحي معروضات سوقها الأسبوعية بأن التجار كانوا يتوافدون عيها من مختلف المناطق[73]. ويمكننا إرجاع وصف الحسن الوزان لها بذلك إلى عملية التخريب الذي تعرضت له في بعض الفترات التاريخية .

معسكر:

ترجع بعض الدراسات بناء مدينة معسكر إلى البربر الذين أسسوها على آثار المدينة الرومانية القديمة فيكتوريا[74]، ومما زاد في أهميتها تشييد الموحدين بها فيما بعد قلعة حصينة لحراسة المناطق المحيطة بها، وتنصيب الزيانيين حاكما عليها يستخلص الضرائب من منطقة غريس.

تقع مدينة معسكر على أحد السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس بالقسم الغربي لجبال بني شقران[75]، تتميز بكثر مزروعاتها وتنوعها مما أبعدها عن شبح المجاعة زمنا طويلا.

تعرف معسكر القديمة بجبل الذهب كما تعرف بالكرط نسبة لقبيلة بربرية بنت مساكنها بالمنطقة، وبسبب إستقرار الجنود الأتراك بها زمن الباي مصطف بوشلاغم أصبحت تسمى أم العسكر[76].

تأثرت منطقة معسكر سلبا بعديد الأحداث والوقائع السياسية التي عرفتها الإيالة عموما وبايلك

---

[72]- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة : محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت : دار الغرب الاسلامي 1983 ج2- ص36.

[73]- من اهم من كتب عن جمال مازونة، الادريسي في نزهة المشتاق في اختراق الأفاق .والمازوني، في الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج1- دراسة وتحقيق قندوز ماحي، الجزائر دار الإمام ملك، ج1- 2012- ص34-35.

[74]- فتيحة الوليش، الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993 _1994، ص :50.

[75]- عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، الجزائر :دار الخلدونية، 2005، ص :08.

[76] -Esterhazy ،op cit ،p:171.

الغرب على وجه الخصوص، إذ أن القنصل الفرنسي دوماس الذي كان يعيش فيها وحاشيته زمن الأمير عبد القادر، كانت تأتيه المؤونة من وهران كل ثلاثة أو أربعة أسابيع[77].

أما مسألة إختيار معسكر عاصمة بايلك الغرب فتعود لموقعها الإستراتيجي وتحكمها في المسالك التجارية، إضافة إلى القبائل الهامة التي كانت تحيط بها والتي كانت موالية للسلطة كبني راشد، إلى جانب قربها من وهران، وهو ما كان يسمح دوما بمراقب الوجود الإسباني والتضييق عليه، يؤكد ذلك استرازي حين يقول أن مصطفى بوشلاغم حين عين بايا على الغرب أحس أن مازونة بعيدة عن مركز الأحداث لبعدها عن قبائل الجنوب، فقرر إنشاء مركز عسكري جديد في منطقة وسطى من البايلك، ولذلك إختار الكرط وهي المدينة التي كانت تحتفظ حتى ذلك الوقت بآثار فيكتويا الرومانية[78].

أما مع دخول الفرنسيين للمنطقة، فقد إتخذ الأمير عبد القادر من مدينة معسكر مركزا لتنظيمه الإداري والعسكري منذ 1832، لكنها تعرضت للتدمير والتخريب من طرف الجيش الفرنسي في9 ديسمبر 1835، إذ حول الجنود الفرنسيين قصر الباي بمعسكر إلى أنقاض بعدما كان بناية مهمة فيها رواق صغير، جدرانه مغطاة بالخزف الذي نزعه هؤلاء الجنود[79].

وهران:

تختلف التفسيرات وتتباين حول محاولة إيجاد مفهوم واحد للدلالة على إسم وهران، فمنها من يجعله معرب عن الإسم البربري الزناتي اران وهو جمع لكلمة آر بمعنى أسد، وأصل التسمية حسب الإعتقاد السائد أن الأسود كانت كثيرة بالغابة المجاورة للمدينة، فسميت باسمها ثم طرأ تغيير على نطق الكلمة فصارت وهران بكسر الواو ثم وهران بفتحها[80].

---

[77]- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، الجزائر: م.و.ك، ط1، 1989، ص :129.

[78] -Esterhazy ،de la domination turque ،op cit P:170.

[79]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص150.

[80]- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص06-07.

ومن هذه التفسيرات أيضا أن معنى كلمة وهران في اللغة العربية تعني الرجل الخائف" حيث جاء رجال مغراوةيحفرون أساس المدينة فوجدوا غارا به ثعلب خائف، فقالوا هذه مدينة وهران أي مدينة خائف[81].

كانت وهران مجرد قرية بربرية صغيرة تابعة لتلمسان فإختط بها محمد بن عون ومحمد بن عبدون وجماعتهما الأندلسية مدينة عام 290ه- 903م، بينما يرجع باحثون آخرون بناءها إلى خرز بن حفظ صولان المغراوي[82]، وقد وصفها الزياني بما يلي:" هي مدينة من مدن المغرب الأوسط ساحل البحر الرومي عظيمة، ذات مساحة وفخامة جسيمة، وبساتين وأشجار، ومياه عذبة وأطيار، وحبوب عديدة وفواكه وخضر جديدة، وبروج مشيدة وقصور متعددة، من طبقتين فأعلى هكذا ببناء التحكيم، ... وسور فخيم وفنادق وحمامات وشوارع ـــ، ومدافع وأبراج، وسبل فجاج، وأكية وغنى لكل محتاج، متبحرة في العمران، وسارت بأخبارها الركبان، معدودة من أمصار المغرب التي عن نفسها تدافع ولا تدافع، ومن أحسن معاقله التي تطاع ولاتنازع"[83].

خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني صارت وهران عامرة بسكان معسكر وبني ميزاب والأمازيغ والمغاربة واليهود، ونظرا لوضعها الجغرافي ولاهتمام الباي بها، إحترف أهلها التجارة. بقربها يقع المرسى الكبير الذي ترسوا به مئات المراكب والسفن نظرا لإتساعه ولأمانه من العواصف والأعاصير وعنه يذكر بربروجي:" وهو أهم ميناء على سواحل الجزائر خصوصا بالنسبة للإسبان، نظرا لوقوعه على بعد 27 مرحلة من إسبانيا، ولذلك عملوا على إحتلاله لأنهم إعتبروه عشا خطيرا يلجأ إليه القراصنة"[84].

---

[81]- لمزيد من المعلومات حول أصل تسمية مدينة وهران، راجع: محمد بن ميمون، في التحفة... ص317- 318.
وعبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تنحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر: تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم بيروت: دار مكتبة احياء ط1- 1972- ص11.

[82]- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر: ش.و.ن.ت، ط2، 1981، ص :46.

[83]- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص :25.

[84] -Bergrugger A ،Reprise d'Oran par les Espagnols e 1732 Revue Africaine Vol N° 8- 1864- P14.

مستغانم:

وهي مدينة ساحلية تقع ما ين تنس وأرزيو، غرب نهر الشلف، أختلف في تسميتها، فقيل مشتى غانم، وقيل مسى غانم، وقيل مسك الغنائم[85]، وقد كانت ذات أعين وبساتين ومياه. بها ميناء جميل تحميه قلعة حصينة تشرف أيضا على المدينة بهدف حمايتها[86]، وإلى جانب نشاطها الفلاحي والصناعي التقليدي، تمتعت مستغانم بازدهار ثقافي ديني واسع بفضل مساجدها وزواياها. نظرا لمكانتها الهامة، تعرضت مستغانم لهجمة إسبانية أخضعتها وأجبرت سكانها على توقيع معاهدة 26 ماي 1511م والتي نصت على أن يكونوا في خدمة ملك إسبانيا، إضافة إلى مجموعة شروط لخصها عبد القادر فكاير في التالي[87]:

- أن يدفعوا لأمين خزينة وهران الضرائب والرسوم التي كانوا يدفعونا سابقا لمملكة تلمسان.
- أن يطلقوا سراح الأسرى المسيحيين.
- أن يلتزموا بتزويد وهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية وغيرها من السلع بأسعارها العادية.

[85]- عبد الله حشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، تونس: المطبعة التونسية، ط1- 1929- ص :100.

[86] -Laugeir de Tassy ،op ,cit ; P: 152.

[87]- فكار عبد القادر، الغزو الإسباني للساحل الجزائرية وآثاره، 1505- 1792، الجزائر دار هومة، ط1- 2012- ص60.

لكنها بعد ذلك خرجت مستغانم عن طاعة الإسبان، ولكي يتم تثبيت سلطة البايلك بالمنطقة بعث باي مازونة ابن خديجة بعد هذه الحادثة بسنوات قليلة إلى مستغانم أول قائد وكان من عرب مجاهر يسمى ابن قطاط، وكان رجلا حكيما له مكانة بين قومه، وكلفه بجمع ضريبة الخزينة"[88].

بعد نجاح المسلمين في تحرير وهران عام 1708 إنتقلت إليها العاصمة من معسكر، غير أن الإسبان جهزوا حملة أخرى لإحتلال المدينة وقد نجحوا في ذلك عام 1732، وعن ذلك يقول الزياني:" فدخلوها عنوة وذلك بعد موت الباشا بكداش رحمه الله. وفي حياة مصطفى بوشلاغم وقد انتقل منها بسبب ذلك إلى مستغانم وصيرها دار ملكه"[89].

تلمسان:

وأصل الكلمة أمازيغي، وهي لفظة جمع لكلمة تلمسين، بكسر التاء وسكون اللام وكسر الميم، ومعناها الينبوع، فهي تعني مدينة الينابيع[90]. بينما يرى الحسن بن محمد الوزان الفاسي أنها جمع لكلمة تلمسي ويذكر أن الرومان سموها*** بعد أن استقرا بها وهي تسمية تعني الحدائق والبساتين[91]. وقيل أيضا أن كلمة تلمسان تتألف من شقين أو كلمتين بربريتين هما: تلم بمعنى تجمع وسان ومعناها إثنان وبذلك يكون معنى الكلمة المركبة تجمع إثنين، والمقصود بهما التل والصحراء[92].

ذكر حمدان خوجة أن سكانها عرب وأتراك أشداء ذو خلق حسنة شجعان يحبون المجد لكنهم عنيدون ومغترون، ورغم ذلك فهم طيبون إجتماعيون. أما وضعها الطوبوغرافي فجعل منها منطقة

---

[88] -Esterhaey ، ،op cit, P165.

[89]- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص :162.

[90]- ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تقديم: عبد الرحمن طالب الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1981- ص09.

[91]- الحسن الوزان، المرجع السابق، ج2- ص17.

[92]- يحي بوعزيز: مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009- ص13.

ثرية مزدهرة خصوصا وقد أنشأت فيها معامل الصوف، ومحازم تنسج نسجا متينا وتباع في كامل أنحاء البلاد[93].

مليانة:

مثلت ميانة أبعد نقطة على حدود بايلك الغرب الشرقية، وقد كانت تابعة له خلال القرنين 16 م و17م، حين كانت عاصمته مازونة، وخلال القرن 18م صارت تابعة لدار السلطان، وتحت حكم الباشا مباشرة، ثم عادت من جديد إلى بايلك الغرب أوائل القرن 19م ليضمها الإستعمار بعد ذلك إلى عمالة الجزائر[94]. مارس سكانها الفلاحة، ولم يعرفوا من الصناعة غير تجفيف الفواكه وصناعة نوع من المعجون من عصير العنب واللوز يمكن الإحتفاظ به طول السنة على حد قول حمدان خوجة[95].

ذكر الحسن الوزان أن مليانة مدينة كبيرة جدا وقديمة، بناها الرومان وأطلقوا عيها إسما كنانة، لكن العرب حرفا هذه الإسم، وهي تقع في سفح الجبل... المليء بالعيون ومكسوا بأشجار الجوز... يكاد يكون سكانها كلهم صناعا، نساجين، ويصنع هؤلاء أواني من خشب في غاية الحسن، ويشتغل كثير من السكان كذلك بالفلاحة، وقد عاشوا كلهم أحرارا حتى جاء بربروس فأخضعهم وفرض عليهم الضرائب[96].

أما خلال الفترة الإستعمارية فقد صارت مليانة مدينة خططها الفرنسيون وفصلوها حسب ذوقهم وجعلوا منها حاضرة خاصة لهم على طراز مدنهم في جنوب فرنسا، فخطوا أزقتها بالخيط خطا مستقيما، وجعلوها متقاطعة بزاوية مستقيمة، وأحدثوا حولها الشوارع، ووضعوا بها السياج، فنما نموا عجيبا، ومنحها محيطا من الظل والبرودة مرموقا[97].

---

[93]– حمدان خوجة، المصدر السابق، ص95.

[94]– ودان بوغوفالة، ص220.

[95]– حمدان خوجة، المصدر السابق، ص94-96.

[96]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2- ص34-35.

[97]– محمد حاج صادق، مرجع سابق، ص57.

ندرومة:

ذكر الحسن الوزان أن الرومان بنوها على بقعة واسعة في سهل، ويمر بها نهر قليل الأهمية، وجعلوها بناءها ندا لمدينة روما، وبذلك أخذت إسمها من كلمتين: تد بمعنى امثيل وروما المدينة[98] غير أن ذلك يبقى مجرد رأي لا يوجد ما يؤكده من الشواهد .

تعتبر ندرومة من المدن العتيقة في إقليم تلمسان، وهي تقع على سفح جبل طرارة غير بعيد عن ميناء مدينة الغزوات، وقد إستقطبت عددا من العلماء من المغرب والأندلس، كما أنجبت الكثير من طلبة العلم والمثقفين، وفيها المسجد الجامع الذي أقامه المرابطون بحي التربيعة[99].

كان سكان ندرومة فلاحين وصناعا وتجارا في الوقت نفسه، وقد إمتدت علاقاتهم التجارية حتى فاس وطنجة، أما أراضيهم فلم تكن لتكفيهم لممارستهم الكثير من الصناعات كغزل الصوف ونسج الحياك، وصناعة الفخار، قد استحوذت أخيرا على 17 ورشة. أما يهود المدينة فكان أغلبهم تجارا لكن بعضهم مارسوا حرفا مختلفة حيث كان 09 منهم إسكافيين، و06 صانعي مجوهرات، 02 صانعي أسلحة، أما التجارة فلم يختص فيها سوى يهودي واحد[100].

[98]- الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2- ص13.

[99]- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر:المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، 2004، ص177.

[100] -Gilbert Grandguillaume une médina de l'ouest algérien ،Nédroma revue de l'ocident musulman et de la méditeranée N° 10- 1971- P64.

2-الحياة الاقتصادية.

من الطبيعي أن تتأثر الحياة الإقتصادية في بايلك الغرب بالأوضاع الداخلية والخارجية للبايلك خاصة، والجزائر عامة. فالثورات والتمرّدات من ناحية، وسوء الأوضاع الإجتماعية من ناحية أخرى كان له دوره في ركود الأوضاع الإقتصادية وتأزّمها، وقد أشار صالح فركوس إلى ذلك حينما ذكر أنّ تلك الثورات والتمرّدات أنتجت إضطرابات في الحالة الاقتصادية، إذ أهملت الفلاحة وحدثت المجاعات من كثرة الأهوال والفتن، وإهتزّ المجتمع، وتوقّف الحرث لدرجة أنّه أغلقت الأسواق مخافة قطّاع الطرق. بالإضافة إلى الزلازل التي ضربت الكثير من مدن الغرب الجزائري.[101] وفيما يلي أهم القطاعات الإقتصادية.

الزراعة:

لقد تحكمت عوامل طبيعية وأخرى تاريخية في مسألة ملكية الأرض، نحددها في التالي:

العوامل الطبيعية: أشار سعيدوني في دراسته إلى تأثير الظروف الطبيعية في تحديد نوع الملكية، من خلال مظاهر السطح من سهول واسعة أو ضيقة وهضاب ومدى إتصالها بالمؤثرات الصحراوية الحارة في الجنوب أو وقوعها ضمن نطاق المؤثرات المتوسطية الرطبة في الشمال، ومقدار الأمطار التي تتلقها كل منطقة من هذه المناطق .كلها عوامل تعكس مدى تباين أنماط حياة الناس عنها من تباين في أشكال ملكية الأرض من منطقة إلى أخرى[102].

العوامل التاريخية: على ضوء علاقة السلطة بالمجتمع الجزائري تحددت الملكية والنظام الضريبي المرتبط بها حيث ظلت ضرائب ورسوم القطاع الريفي خاصة أراضي العرش أو الأراضي التابعة للقبائل المستعصية على نفوذ البايلك إما لصعوبة تضاريسها أو وقوعها خارج حدود سيطرة السلطة

[101]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 127.

[102]- نفسه، ص:14-19.

المركزية قائمة على العلاقة بين مالكي الأرض والفلاحين[103]. فظهرت أنواع من ملكية الأراضي وهي:

الأراضي المشاعة: تختلف تسميتها من منطقة إلى أخرى، ففي الجهات الشرقية من الجزائر تعرف بأراضي العرش، أما في بعض الجهات الغربية فتعرف بالأسبيقة[104] وهي عبارة عن ملكيات قبلية يتم إستغلالها بشكل جماعي ويتم تحديد نصيب كل فرد حسب قدراته.[105] وللقبيلة الحرية في التصرف في الملكية تحت إشراف شيخ الدوار وتنقسم إلى قسمين: القسم الأكبر يخصص للأنشطة الرعوية، ويتم إستغلالها من قبل كامل أفراد القبيلة . والقسم الثاني يخصص للأنشطة الزراعية التي توزع على العائلات وفي حالة تخلي أحد الأفراد أو إهماله لحصته يتولى أعيان الجماعة تسليم الأرض لمن يخدمها تحت إشراف شيخ القبيلة، تخضع هذه الأراضي إلى نوع من الضرائب في شكل غرامة سنوية تدفع في غالب الأحيان نقدا، كما يمكن أن تشملها ضرائب أخرى كاللزمة والمعونة تؤخذ حسب المحصول السائد، إضافة إلى الضرائب الفصلية التي يجبر السكان على دفعها وتأخذ عدة تسميات ضيفة الدنوش، حق البرنوس، كان عبئها ثقيلا في أواخر العهد العثماني دفعت الكثيرين إلى التخلي عن خدمة الأرض[106].

أراضي الوقف (الحبوس): تشكل أحد أشكال التنازل عن الأرض لمؤسسة دينية كالجوامع، أو الزوايا[107]. وهي غير قابلة للتصرف ولا تخضع لقوانين البيع والشراء ولا تورث، غير خاضعة للنظام الضريبي، لا تدفع عليها أي رسوم .توجه إيراداتها للإنفاق على الأمور الخيرية، وقد إنتشر هذا النوع

---

[103]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص:18.

[104]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية والوقف، والجباية :الفترة الحديثة، بيروت : دار الغرب الاسلامي ص:59.

[105]– محمد عليو، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين 1701– 1830– مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2008– 2009– ص:49.

[106]– نفسه، ص:49.

[107]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في الملكية...المرجع السابق، ص:53.

من الأراضي في جميع أنحاء الجزائر ولا سيما نواحي قسنطينة، بسكرة، عنابة، وتشكل أحد أهم أصناف الملكيات الزراعية الشائعة[108].

أراضي الخواص: وهي ملكيات أراضي خاصة يستغلها أصحابها مباشرة ولا يتوجب عليهم نحو الدولة سوى فريضة العشور الزكاة .

أراضي المخزن: هي أراضي تمنح للجالية العسكرية يسلمها الداي أو الباي لكل مواطن جندي في المخزن، فهو معفى من دفع الضرائب بشرط أن يبقى وفيا ومطيعا لحكامه. فهي تمنح كمكافأة لكل جندي بغرض جلب عدد كبير من الجنود تحسبا لأي طارئ يستوجب التجنيد للدفاع عن الدولة وإذا أخل أحدهم بالتزاماته تنتزع منه الأرض مباشرة[109].

أراضي الموات: وهي الأراضي التي تركت بدون إستغلال أو التي كانت غير صالحة للزراعة، ورغم إمكانية إستغلالهاوالإنتفاع بها شريطة إحيائها إلا أن الأهالي بالأرياف لم يقبلوا على إستثمارها لاسيما أواخر العهد العثماني[110].

أراضي البايلك: نعني بها الأراضي التي تعود ملكيتها للدولة وهي في كثير من الأحيان أراضي خصبة تتنازل عنها الدولة لصالح القبائل والأشخاص لغرض الإنتفاع منها دون أن يكون لهم الحق في التملك. وتبقى ملكية الرقابة للدولة وكان تسيير هذه الأراضي مستند إلى موظف سامي يدعى خوجة الخيل[111]. أغلبها توجد بدار السلطان ووهران وقسنطينة[112]

---

[108]– محمد عليو، المرجع السابق، ص:49.

[109]– الطاهر ملاخسو، نظام التوثيق في ظل التشريعات العقارية بالجزائر 1830– 1962 أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، 1830–1962 منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007– ص26.

[110]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات تاريخية في ملكية والوقف والجباية...، ص55.

[111]– الطاهر ملاحسنو، المرجع السابق، ص26.

[112]– يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، الجزائر : دار الحضارة 2007، ، ص:17.

أما الإنتاج الفلاحي فتمثل في التالي:

الحبوب: تعد الحبوب من المواد الإستهلاكية الأساسية للسكان بإعتبارها مادة ضرورية لهم خاصة القمح، أما الشعير فيقدم كأعلاف للمواشي، وما يلاحظ عن مادة القمح في أواخر العهد العثماني أنها كانت محتكرة من طرف الحكام العثمانيين واليهود، والشركات الأجنبية، ونخص بالذكر الشركة الملكية الإفريقية[113]. ويعني ذلك أنه كان يشترى من الفلاحين بأثمان رخيصة مقابل إعادة بيعه للدول الأخرى بأثمانغالية . كان مردود الحبوب متذبذبا وذلك لإرتباطه بمياه الأمطار، أما في أوقات توفره فكان يصدر جزء منه إلى الخارج خاصة إلى موانئ مرسيليا.

كما كانت الجزائر تنتج كميات من الأرز إلا انه لم يكن كافيا لسد الحاجيات المحلية مما أدى إلى إستيراد كميات منه من مصر لتزويد الجنود الانكشاريين[114].

الأشجار المثمرة: إشتهرت الجزائر عامة بوفرة الأشجار المثمرة كأشجار الزيتون، والمشمش واللوز[115]، التي إرتبطت بالمناطق الجبلية كما تعتبر المناطق السهلية من الأراضي التي إشتهرت بإنتاج البرتقال والعنب، الذي كان يصدر جزء منه إلى الخارج[116]، والملاحظ أن حالات نقص الإنتاج كان سببها عدم الإعتناء بالأشجار ونقص الأسمدة الآزوتية، أما المناطق الصحراوية اشتهرت بإنتاج التمور[117].

المزروعات ذات الطابع التجاري: وهي المنتوجات التي يمكن تصديرها إلى الخارج وأهما الكتان الذي كان الدايات يرسلونه إلى قسنطينة عبارة عن هدايا، كذلك نجد زراعة التبغ وكان من أجود

---

[113]– يمينة درياس، المرجع السابق، ص:197.

[114]– عبد القادر حليمي علي، الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830– دراسة جغرافية للمدن، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، بيروت، 1982– ص249.

[115]– يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج1– دار الهدى، الجزائر، دون تاريخ، ص487.

[116]– أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982– ص142.

[117]– محمد العربي الزبيري، مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الجزائر : ش .و.ن.ت.1981 ص107.

الإنتاج في العالم ويصدر إلى تونس[118]، رغم أن هناك كمية ضئيلة لتصديره، إلا أن مداخيله إلى الخزينة كانت ضعيفة وعليه فإن الجزائر خلال أواخر العهد العثماني لم تكن تهتم بالمنتوجات ذات الطابع التجاري، وإنما إقتصر إهتمامها على زراعة معاشية لتحقيق الإكتفاء المحلي.

أدى تنوع أشكال الملكية إلى خلق علاقات إنتاجية تعكس طبيعة الروابط القائمة بين صاحب الأرض سواء كانت تابعة للبايلك أو المالكين الخواص في الحضر أو الريف أو الملكيات العائلية أو ملكية العرش، وقد اعتمدت الزراعة الجزائرية خلال عهد الدايات على عدة أنماط من طرق الاستغلال المباشر وغير المباشر.

أما الأسلوب المباشرفكان يسود الملكيات الخاصة يقوم صاحب الأرض باستغلالها بشكل مباشر ولا يخضع أصحابها لأي إلتزام ضريبي اتجاه الدولة باستثناء فريضتي العشور والزكاة كما أشار إليه سعيدوني ويقع معظمها قرب المدن وفي المناطق الجبلية تستحوذ عليها بعض الفئات البرجوازية الميسورة في المدن من الأتراك والكراغلة والحضر[119] ويجمع هذا الأسلوب بين:

نظام الخماسة: يعتبر من أكثر الأساليب المعتمدة في إستغلال الأرض، يقوم على عقد عرفي بين مالك الأرض أو أصحاب الملكيات الخاصة فالخماس في أراضي البايلك يستفيد من وسائل الإنتاج كالأرض، المحراث والحيوانات والبذور التي يكون توفيرها على عاتق الدولة مقابل الحصول على خمس الإنتاج[120].

نظام السخرة: اعتمد البايلك على أعمال السخرة القائم على إرغام قبائل الرعية على التطوع للعمل لصالح الدولة وهو إجباري، ويعرف عند الفلاحين بالتويزة[121].

---

[118]– محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص:107.

[119]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر خلال الفترة العثمانية 1800 – 1830، الجزائر : ش ون ت، ص :80.

[120]– أحمد حسين السليماني، نزع الملكية العقارية للجزائريين، 1830– 1817– المصادر، العدد 06– محرم 1423– مارس 2002– ص:115.

[121]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، ص:93.

بينما الأسلوب غير المباشر يقوم على كراء أراضي الدولة من خلال وسطاء يقيمون في غالب الأحيان في المدن، وتسمح لهم إمكانياتهم المادية بكراء أراضي البايلك لحسابهم، ثم يقوم هؤلاء بإعادة كرائها لصغار الفلاحين والقاعدة السائدة في كراء أراضي البايلك تقوم على تحديد مسبق لحصة الدولة وذلك بأخذ 12 صاعا من القمح و12 صاعا من الشعير على الجابدة الواحدة بغض النظر عن مردود الأرض الفعلي.

عرفت الزراعة أواخر العهد العثماني تأخرا كبيرا بسبب الأساليب العتيقة المتبعة، والتجهيزات البدائية المستعملة في خدمة الأرض، وكذا الصعوبة التي كان يعيشها الفلاح جراء تعرّضه للحملات العسكرية، وتهديداته من قبل قبائل المخزن المسلّحة، وكذا الأمراض والأوبئة الفتاكة.[122] وفي الوقت نفسه يتحدّث صالح فركوس عن وفرة الإنتاج الفلاحي، فيقول: "... حيث كانت (إيالة الجزائر) تصدّر كميات وافرة من الحبوب إلى الخارج، كما كانت البلاد تتوفّر على ثروة حيوانية كبيرة جدّا، بدليل ما كانت تصدّره سنويا من العدد الهائل من الجلود إلى الخارج".[123] يعزّز هذا الرأي نوشي في سياق حديثه عن تنوّع المحاصيل الزراعية في المدن، فيذكر أنّه على مقربة من مدينة معسكر، كانت الحدائق كثيرة، وبها الخضر والكروم والفواكه، والتين والزيتون واللّوز والسفرجل.[124]

يبدو أنّه بالرّغم من سوء أوضاع الفلاحين في بايلك الغرب على وجه الخصوص، وقلّة إمكاناتهم، إلا أنّ تمسّكهم بالأرض، وإصرارهم في الحصول على لقمة العيش، جعلهم يوفّرون إنتاجا زراعيا متنوّعا. ذلك باستثناء حالات الحروب والتمرّدات أو الكوارث الطبيعية، وهي الحالات التي ينشغلون فيها عن خدمة الأرض، وهو ما يفسّر إزدواجية تأخّر الزراعة من جهة، ووفرة الإنتاج من جهة ثانية.

---

[122]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي... ص، ص: 33– 34.

[123]– صالح فركوس، المرجع السابق، ص: 123.

[124]– اوندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة : اسنطبولي رابح ومنصف عاشور، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية، 1984 ص: 187.

الصناعة:

كان في الجزائر أواخر العهد العثماني صناعات عدة أهمها:

صناعة السفن: كانت صناعتها ضعيفة مقارنة بالفترة العثمانية الأولى وذلك نتيجة إعتمادها على اليد الأجنبية من الأسرى والإشراف الفني الأجنبي عليها[125]. وبعد إنقطاع التجهيزات البحرية التي كانت تتعهد بتقديمها الدول الإسكندنافية في نطاق الأتاوات والهدايا الإلزامية كالأخشاب والأشرعة وعدة استغلال المواد المتوفرة للبلاد كالحديد والزنك والأخشاب[126].

صناعة الأسلحة : تتمثل في صنع البنادق وسبك المدافع وتحضير البارود، كانت تصنع بالمدن الكبرى، كقلعة بني راشد وقسنطينة.

أما الصناعة التحويلية من تحضير مواد البناء وصناعة العملة، فقد كانت من نصيب مدن عدة كالجزائر التي تميزت في صنع القطع الحديدية، كما نلاحظ أن معظم الصناعات الجزائرية أواخر العهد العثماني كانت عبارة عن صناعة إستخراجية.

الصناعة النسيجية وصناعات أخرى:إختصت بها بعض المدن كقلعة بني راشد التي إشتهرت بصناعة الأحذية نتيجة توفرها على الثروة الحيوانية، كما إشتهرت بصناعة الصابون والشمع الذي يستخلص من مخلفات معاصر الزيتون أما مستغانم ومازونة نتيجة تموقعها قرب الساحل وتمركز الجالية الأندلسية بها فقد إشتهرت بصناعة القطيفة أو ما يعرف بالمخمل[127] كما عرفت صناعة الشاشية التي تعرضت صناعتها في أواخر القرن الثامن عشر إلى الإنكماش فانحطت نوعيتها وتناقص المشتغلون بها و لم يعد يقبل على ارتدائها إلا عامة الناس ـــ، كما أن الشاشية التونسية عرفت رواجا

[125]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص:65.

[126]– نفسه، ص:65.

[127]– محمد عليو، المرجع السابق، ص :65.

لها في الأسواق الجزائرية[128]. أما أشغال التطريز فكانت تتم بإستعمال خيوط الذهب والفضة لتطريز القفاطين وغيرها من ملابس القطيفة والحرير[129].

هذا إضافة إلى وجود ورشات لدباغة الجلود ومعامل لصناعة النسيج وكانت هذه الصناعات تستوعب نسبة معتبرة من اليد العاملة[130]. كما إشتهرت بصناعة الأحجار الكريمة التي كانت محتكرة من طرف اليهود[131]، وتميزت تلمسان بصناعة النسيج والخشب والحديد[132].

كان للأندلسيين تأثير على الصناعة الجزائرية تمثل في إقامة المشاغل وإنشاء الورشات لمزاولة مختلف المهن والصناعات اليدوية كالحدادة والنجارة والخياطة ومعالجة الخزف والجلد والحرير، وقد اشتهرت مصانع الحرير الأندلسية بمدن الجزائر القليعة بجودة إنتاجها الذي كان يغطي حاجة المدن الرئيسية ويصدر جزء منه إلى الأقطار المجاورة كتونس[133].

اتصفت الصناعة الجزائرية بعدة خصائص عامة تتمثل حسب سعيدوني فيما يلي[134]:

- كانت تعتمد أساسا على المواد الأولية المتوفرة في البلاد كالأصواف والجلود وقد اشتهرت الونشريس بمناجم الرصاص والفضة، وبنو سليمان بجرجرة اشتهروا بمعادن الحديد، كما عرفت مناطق الجنوب إنتاج الفضة.

- لم تتجه الصناعات الجزائرية إلى التصدير الخارجي وإنما اقتصرت على تلبية حاجات السكان المحلية.

---

[128]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص:70.

[129]- عميراوي أحميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البحث قسنطينة، 2002- ص34.

[130]- عبد الله شريط، محمد مبارك الميلي، مختصر في تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1958- ص:189.

[131]- عمارة عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من ماقبل التاريخ الى 1962، الجزائر : دار المعرفة 2007، ص106.

[132]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، الجزائر : ش.و.ن.ت .ط3، ص:144.

[133]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، بيروت : دار الغرب الاسلامي 2003، ط1- ص32.

[134]- ناصر الدين سعيدوني، والمهدي البوعبدلي، الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المرجع السابق، ص:70-71.

- اتصفت بكونها صناعة كمالية ترفيهية في المدن تتميز بدقة الصنع ورقة النوع كالحزمة، والشواشي والحلي، والجوارب، والأقمشة الحريرية المطرزة، والمنادل المذهبة أو المفضضة.

- كما اتصفت ببساطتها وخشونة أسلوبها بالنسبة لصناعة الأرياف فهي موجهة لسد الحاجيات الضرورية وإرضاء متطلبات العيش كالأدوات الفخارية والخشبية والطينية والأنسجة الصوفية كالجلابة والبرنوس والحايك.

- استمدت طرق صنعها ومواصفاتها من تقاليد الماضي البعيد حتى أصبحت في أغلبها ذات طابع وراثي سواء في المدن والأرياف وعكست عادات وتقاليد القبيلة.

- تسببت في انخفاض مستوى معيشة سكان الأرياف في الوقت الذي ارتفع فيه دخل سكان المدن، وذلك لغلاء المواد المصنعة وانخفاض أسعار المواد الأولية الزراعية التي كانت المصدر الرئيسي للفلاحين.

عرفت الصناعة معظم المهن والحرف السائدة آنذاك، ووفّرت إنتاجا متنوّعا. اكتسبت من خلاله بعض مدن وحواضر بايلك الغرب شهرة واسعة، إذ عرضت بأسواق المنطقة مصنوعات محليّة شملت الزرابي والأواني، والأغطية والجلود والصابون... وهو ما يذهب إليه صاحب قلعة بني راشد في معرض حديثه عن سوق السبت بهذا الإقليم، أنّه كانت تباع فيه الصوف والكسوة، والزربية والكتان، والعطرية والصابون والزيت...[135]

ووقفت المنافسة الأجنبية عائقا أمام نهضة صناعية حقيقية، لذلك بقيت المصنوعات في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني صناعات يدوية تقليدية في عمومها، بالرّغم من وفرة المواد الأولية اللازمة لها، إلا أنّ السفن والمواد الغذائية، والمنسوجات... كانت تستورد من الخارج.[136]

[135]- محمد بوركبة، "جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمران بن عثمان القلعي" المجلّة الجزائرية للمخطوطات، جامعة وهران، العدد الأول، 2003، ص: 116.

[136]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي... المرجع السابق، ص: 37.

التجارة:

وتنقسم إلى داخلية وخارجية :

أما التجارة الداخلية فتمثلت في المبادلات بين الريف والمدينة وبين المناطق الجبلية والسهلية، بين التل والجنوب.وتتم أساسا في الأسواق الأسبوعية أو الفصلية أو السنوية . ونظرا لأهمية التجارة الداخلية وانعكاساتها على الفرد ساهم يهود الجزائر في التحكم فيها وذلك لما تحققه من أرباح جاهدين على فعل كل ما بوسعهم من أجل ذلك إذ كان اليهود يزودون الأهالي بما يحتاجون إليه من أقمشة حريرية وخردوات وسكر وشاي وتوابل، وكانت التجارة تتم سلعا بسلع، ولم يقتصر اليهود على المناطق الشمالية بل وصل نفوذهم إلى تخوم الصحراء وتزويد كل قبيلة بنما تحتاجه من سلع[137].

بينما عرفت التجارة الخارجية كذالك مساهمة أفراد الجالية اليهودية بالجزائر أثناء العهد العثماني كانت تقاليدها في حد ذاتها أحد العوامل المساعدة على ازدهار التجارة[138]، وذلك بتوسيع نفوذهم على الصعيد الخارجي على غرار سيطرتهم على التجارة الداخلية إذ حقق اليهود أرباحا هائلة من خلال تجارتهم غير القابلة للاستهلاك محليا مثل الخمر واللحوم وبيعها للدول الأوربية، كما كانوا يتاجرون بالمواد الأولية كالمرجان، الصوف، الجلود، والمواد الغذائية كالقمح والشعير والمواد المصنعة مثل الحايك والبرانيس، بحيث تمثلت وارداتهم في الأقمشة الحريرية، الخيوط، الفلفل، الأحجار الكريمة، ...[139]. وقد اشتهروا من خلال شركة بكري[140] وبوشناق[141] التي احتكرت ثلثي التجارة الجزائرية وتولت تزويد الأسواق الفرنسية بالحبوب عملا بالاتفاق الجزائري الفرنسي الذي أبرمه

---

[137]– كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص:41.

[138]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص:72.

[139]– فوزي سعد الله، يهود الجزائر المجهولون، دار الأمة، الجزائر، 2004– ص202.

[140]– بكري اسمه الحقيقي يوسف بوخريص، جزائري الأصل استقر بمدينة ليفربون الإيطالية واطلق على نفسه بكري، أنظر يحي بوعزيز، العلاقات الجزائرية نمع دول ومماليك أوربا 1500– 1830– ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص109.

[141]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص: 77

الداي بابا حسان، الذي نالت بموجبه فرنسا تسهيلات تجارية لشراء الحبوب، وقد تمكنت الشركة اليهودية من تصدير كميات هائلة من الحبوب إلى فرنسا طيلة فترة الممتدة من 1793-1800[142]

شهدت التجارة خلال هذه الفترة سيطرة العنصر اليهودي الذي لعب دور الوساطة أو السمسرة في معظم المبادلات التجارية، سواء الداخلية أو الخارجية، وفي هذا السياق يذكرسعيدوني أنّه عرفت التجارة الجزائرية أواخر العهد العثماني، سيطرة اليهوديين "بكري" و"بوشناق" اللّذان عملا كلّ ما في وسعهما لجعلها تابعة للعنصر اليهودي، وقد كان لإمساكهما بزمام التجارة الخارجية الجزائرية، أثر سيّء أدى إلى دخول البلاد مرحلة إقتصادية حرجة جرّتها إلى حرب كانت فيها الخاسر الأكبر.[143] وما قضية الديون وحادثة المروحة إلا دليل على ذلك.

وفي الوقت الذي اقتصرت فيه التجارة الداخلية على الأسواق المحلية– اليومية أو الأسبوعية أو الفصلية- كانتّ التجارة الخارجية في خدمة المصالح الأوربية.

تعرضت الجزائر أواخر العهد العثماني إلى جملة من الصعوبات والأزمات أهمها الجفاف وغزو الجراد مما أعكس سلبا على الوضع الإقتصادي، فانتشر الفقر والمجاعات الشيء الذي أدى إلى تراجع الإقتصاد .

3-الحياة الاجتماعية:

شكّل التمايز الواضح بين مختلف فئات مجتمع بايلك الغرب خلال الفترة المدروسة إخلالا بالتوازن من حيث المستوى المعيشي على أساس الثروة. كما عرف البايلك أواخر العهد العثماني إقطاعا كبيرا من طرف الأعيان التابعين لرجال المخزن الذين كانوا يملكون أغلبية الأراضي، [144] وفي ذلك

[142] -N acerddineSaidouni ،l'algérie rural à la fin de l'époque ottomane 1791-1830. 02H. A.A.M Page 303.

[143]- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي... المرجع السابق، ص 37.

[144]- ناصر الدين سعيدوني، "تدعيم الحكم التركي بالجزائر"، الأصالة، العددان: 1، 2، أبريل 1976، ص، ص 54، 63.

يذكر أبو القاسم سعد الله أنّ التنظيم العثماني اتخذ شكلا هرميا مما أدى إلى ظهور الطبقية التي تحكّمت فيها مختلف الظروف.[145] فكان المجتمع فسيفساء من التباين في الأصول والفئات حسب نمط المعيشة، وأساليب العيش، ومصادر الرّزق. وعليه يمكننا تقسيم مجتمع بايلك الغرب إلى سكان المدن، وسكان الأرياف.

– سكان المدن: ويتشكّلون من الفئات التالية:

* **الأتراك:** يمثلون الفئة الأولى التي يتشكّل منها مجتمع مدن البايلك، يتواجدون في قمة الهرم السكاني، يتألّفون من جنود الانكشارية الذين استقروا في الثكنات والحصون، حيث ظلت أعدادهم ضئيلة لفترات طويلة، واستمر الوضع كذلك إلى نهاية الحكم العثماني إلا أنّ قلة عددهم لم تمنعهم من لعب الأدوار الريادية، حيث كانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة جدّا.[146]وعليه فقد بات الأتراك طبقة أرستقراطية بيدها الوظائف العليا وقيادة الجيش، كان نشاطهم عاملا من عوامل ازدهار الحياة الاجتماعية للبايلك عن طريق عاداتهم وتقاليدهم التي نشروها في أوساط المجتمع، وبخاصة فيما يتعلق بمجال الطبخ والملبس، إضافة إلى الفن المعماري والموسيقى. كما ساهموا في تشجيع الطرق الصوفية؛ وذلك رغم بقائهم بعيدين عن السكان، إلا أن سعد الله يصفهم على أنّهم (الأتراك) كانوا منعزلين عن بقية السكان، معروفين بالفساد والانحراف وقوة البدن والخشونة في الطبع، وحب الجندية والفروسية.[147]

* **الكراغلة:** نعني بهم المولودين نتيجة زواج أفراد الجيش الانكشاري بنساء البلاد. بدأ ظهورهم في المدن التي تقيم بها الحاميات التركية، ثم تكاثرت أعدادهم، وبخاصة في المدن الكبرى خوفا من

---

[145]– أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الجزائر: دار البصائر، 2007، ص 147.

[146]– عبد الحق، شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895: حياته وأثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2006– 2007، ص 42.

[147]– أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 153.

سيطرتهم على شؤون البلاد. أبعد الكراغلة عن المناصب العليا، و لم تكن علاقتهم بالأتراك دائما حسنة.[148]

لقد حاول الكراغلة الإرتقاء إلى المرتبة الأولى في المجتمع، لكن الحكام العثمانيين منعوهم من ذلك باعتبارهم أبناء عبيد، ولأن وجودهم في مناصب الدولة أو الجيش يشكّل خطرا على مصالحهم بحكم الانتساب إلى أهالي جزائرية.[149] مع مطلع القرن 19م، أصبحت معظم المهام الإدارية من اختصاصهم، كما كانوا طبقة وسطى تمارس العديد من الوظائف كالتجارة، والمهام الإدارية المتوسطة، سرعان ما إرتفع عددهم، وزاد نفوذهم؛ كما شهدت العلاقات بينهم وبين الأتراك نوعا من التقارب، مما أدى إلى نفرة الشعب منهم، وسخطهم عليهم إلى درجة أصبح فيها الكرغولي في نظر كلّ جزائري يشابه إلى حدّ كبير الأتراك في جورهم وظلمهم.[150]

* **الحضر**:تضم هذه الفئة كل العلماء والتجار، وأصحاب الحرف والصناع والكتّاب، والإداريين. تتألّف أساسا من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن بشكل عام ودائم. كانت هذه الفئة تتكوّن في الغالب من العائلات المتأصلة في البلاد، ومن مهاجري الأندلس. مارس الحضر نشاطاتهم العادية، واهتموا بتنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم أحسن استغلال، واستثمار مزارعهم الواقعة بالقرب من المدن، وهو ما جعلهم يؤلّفون أعلى الطبقات في المدن الصغيرة والتي عرفت بخضوعها للبايلك، كما أنّهم لم يتطلّعوا إلى الرياسة والزعامة بالرّغم من تولي بعض أفرادها لمناصب الافتاء والكتابة.[151]

---

[148]– ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر، المرجع السابق، ص، ص: 43، 44.

[149]– أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص: 143.

[150]– عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص 42 نقلا عن مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1974– ص 48. لكنه حينما رجعنا غلى المصدر السابق الذكر لم نجد هذا الحكم.

[151]– عبد الحق، شرف، المرجع السابق، ص 42.

شكّل الحضر ما كان يعرف بالطبقة البورجوازية لما كان لها من أدوار إدارية وتعليمية.[152] وفي هذا السياق، تذكر فتيحة الوليش أنّ فئة الحضر شكلّت طبقة اجتماعية ميسورة، حيث اشتغل أفرادها بالمهن الصناعية المختلفة، كما ظهر في هذه الطبقة صنّاع مهرة وتجار، وأعضاء السلك القضائي وفقهاء، وعلماء بارزون متمكّنون.[153]

* **فئة البرانية:** يعرّفهم سعيدوني على أنّهم جماعات هاجرت إلى المدن الكبرى قصد الحصول على مناصب شغل، وظلوا ينتسبون إلى موطنهم الأصلية.[154] أما وليام شالير، فيعتبرهم من سكان الأرياف الذين يتوافدون على المدن للعمل، ولا يقيمون فيها بشكل دائم لارتباطهم بمواطنهم الأصلية.[155] ارتفع عددهم، وزاد نزوحهم بالانتعاش الاقتصادي، والرخاء الاجتماعي الذي كانت تشهده مدن البايلك.عند وصولهم كانوا يشكّلون جماعة سكانية حسب موطنهم الأصلي، اشتغلوا في مهن متواضعة كالتنظيف وحمل الأثقال، وخدمة المنازل والحراسة، والبناء... عرفوا بمواطنهم الأصلية كجماعة بني ميزاب، والبساكرة، والجيجيليون، والأغواطيون، وغيرهم.

* **فئة اليهود:** سمح العثمانيون لليهود بالعيش في أرض الجزائر وممارسة نشاطهم التجاري، وذلك مقابل دفعهم ضريبة الجزية وضرائب أخرى، إضافة إلى الهدايا التي كانت تقدم للشخصيات الكبيرة في الأعياد وبعض المناسبات، والتي كانت تعد ترضيات غالبا ما يلجأ إليها أغنياء اليهود لكسب ود الحكام والتقرب إليهم من جهة، وسعيا وراء الحصول على الامتيازات التجارية من جهة أخرى.

---

[152]– قدور، بوجلال، العلم والعلماء في بايلك الغرب، 1711– 1830، معسكر ومازونة نموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة معسكر، 2008– 2009، ص 78.

[153]– أنظر:فتيحة الوليش، المرجع السابق.

[154]– ناصر الدين، سعيدوني، النظام المالي... المرجع السابق، ص: 45.

[155]– وليام شالير، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816– 1824، تعريب وتقديم إسماعيل العربي، الجزائر، ش. و. ن. ت، 1982، ص: 117.

لقد كانت الجالية اليهودية تتألّف من فئات اجتماعية مختلفة المستويات، حيث نجد من لهم ممتلكات تجارية كبيرة، إلى جانب اليهود المنتميين إلى الطبقة الوسطى. حيث كان منهم الحرفيون والتجار.[156] ويشير عمار بوحوش إلى أنّ فئة اليهود كانت أحسن حالا اقتصاديا واجتماعيا من الطبقات السابقة، حيث تحصّلوا على ثروات ضخمة نتيجة ممارستهم للسمسرة والمراباة، والقيام بدور الوساطة في كل العمليات التجارية مهما كانت بسيطة أو تافهة، فكان العربي لا يستطيع أن يبيع دجاجتين دون وساطة اليهودي.[157] هذا وقد اكتسب اليهود عادات وتقاليد الأهالي، واتخذوا اللّغة العربية كأداة تعبير في معاملتهم اليومية، وطقوسهم الدينية.[158]إلا أنّ ذلك كلّه جعلهم محل سخط الشعب وغضبه، فتعرّضوا لعدّة مضايقات جرّاء المكانة الاقتصادية المرموقة التي حصلوا عليها، وضدّ تدخلهم في شؤون السياسة والحكم.[159]

* **الفئة المسيحية**: وهم العناصر الأجنبية عن المجتمع الجزائري، مثل: التجار الأجانب، والقناصل الأوروبيين، ورجال البعثات الدينية والإرساليات التبشيرية، وجماعات الأسرى المسيحيين الذين كانوا يؤلّفون الأغلبية الساحقة من هذه العناصر الدخيلة، ويعرفهم سعد الله أنّهم الفئة الأجنبية عن المجتمع الجزائري الإسلامي، وهم لا يرقون في الأهمية بالنسبة للطبقات الأخرى وتحدد هذه الفئة التجار الأجانب، والقناصل ورجال البعثات الدينية.[160]

وينقسمون إلى أحرار وأسرى:

---

[156]– ناصر الدين، سعيدوني، المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ... المرجع السابق، ص 84.

[157]– عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 م، بيروت:دار الغرب الاسلامي، ط1، 1997، ص 74.

[158]– راجع ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 103.

[159]– كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر... ص، ص 40، 54.

[160]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1–، المرجع السابق، ص 150.

- **الأحرار:** يقصد بهم الممثلون القنصليون الذين كانوا في مدينة الجزائر، وكذا التجار ورجال الدين الذين كانوا يعيشون بمعزل عن باقي السكان، ولا يخضعون للمعاملات اليومية، والأحكام القضائية والقوانين المعمول بها في البلاد.[161]

- **الأسرى:** غالبا ما كانوا يعملون في ورشات بناء السفن، ومقالع الحجارة ومصانع الأسلحة، أو في المنازل والمقاهي، والحانات. ويتقاضون مقابل ذلك علاوات شهرية وهدايا متنوّعة في المواسم والأعياد، ولا يحدد من حريتهم سوى قضاء اللّيل في سجون البايلك المخصّصة لذلك.[162] فقد تمتّع الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال العهد العثماني بنوع من الحرية، إذ سمح لهم بالاحتفالات في الأعياد والمناسبات الدينية، كما خصّصت لهم أماكن لدفن موتاهم، والكثير منهم عاملهم أسيادهم معاملة خاصة لدرجة أنّ بعضهم كان يجلب إلى مائدة الطعام لتناول الطعام مع سيده.[163]وهذا ما ينفي أنّ إيالة الجزائر كان يعامل بها كل الأسرى معاملة قاسية، بل أنّ نمط حياتهم كان يتم وفق من يتعاملون معهم، و لم يكن هناك قانون ينظم العبودية، ولعلّ خير دليل على ذلك، تمكّن بعضهم من الارتقاء إلى أعلى المراتب السياسية، مثل: "تدينا" الذي وصل إلى منصب خزندار الباي محمد الكبير.[164] وهو ما يعترف به لوجي دوتاسي Laugien de tassy حينما يذكر أن طبيعة معاملة الأسرى هي ما دفعت بالكثير منهم باعتناق الإسلام، فأصبحوا من الأعلاج، كما استطاع الكثير منهم الارتقاء إلى أعلى المراتب السياسية والعسكرية بعدما سمح لهم الانخراط في فرقة الانكشارية... وتمتعهم بنفس الامتيازات التي تمتّع بها الأتراك.[165]

---

[161]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 105.

[162]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص:150.

[163]-Venture de paradis Tunis et Alger aux VIII siecle bib Arabe Sandbad Paris. 1983. P 157 .

[164]- عميراوي أحميدة، الجزائر في ادبيات الرحلة والأسر خرل العهد العثماني، تدينا نموذجا، الجزائر، دار الهدى، 2003، ص 58.

[165] -Laugien de tassy ،Histoire du royaume d'Alger .op ,cit , p: 57 .

- **سكان الأرياف:** لا زالت الدراسات الخاصة بأوضاع الريف الجزائري خلال العهد العثماني يكتنفها الغموض والاهمال، وذلك بالرّغم من الأهمية التي تمثلها باعتبارها تمثل السواد الأعظم من سكان البايلك الغربي، وإيالة الجزائر عامة. كما أنّها كانت تمثل القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها التطوّر السياسي والوضع الاقتصادي للجزائر العثمانية.[166]

وعليه يمكننا تقسيمهم حسب صلتهم بالحكام إلى التالي:

1- **قبائل المخزن:** هي مجموعات بشرية تتعامل مع الأتراك مقابل فوائد مادية ومعنوية، اتخذت غالبيتها تسميات محلية وألقاب خاصة استمدتها من مواطنها الجديدة، أو اشتقتها من الوظائف التي كانت تمارسها والمهام التي كانت تقوم بها، أو استعارتها من نوع السلاح الذي كانت تحمله.[167] وفي ذلك يذكر سعيدوني أنّ هذه القبائل اتخذت مع مرور الوقت نوعا من الاستقلالية الذاتية كالزمالة والدواوير، أو تكوّنت نتيجة ظروف تاريخية في مجموعات عرقية.[168]

عمل الأتراك على الاستفادة من خدمات هذه القبائل في استخلاص الضرائب، ومعاقبة المتمردين، ثم وسعوا صلاحياتها، فأصبحت تشارك في الحملات الفصلية والحملات البعيدة المدى، كما يوكل إليها أمر تنفيد أوامر البايلك ومراقبة تنفيذ تعليماته. أصبحت قبائل المخزن بعد انضمام العشائر القوية إليها توفّر للبايلك قوة محاربة.[169] يؤكد ذلك المزاري حين يكتب: "... والمخزن في دائرة وهران أعراش... الدواوير، الزمالة، الغرابة، البرجية، المكاحلية، فهم نجوع شداد في الحرب، ولبعضهم بعضا متوالية، وكلمتهم تحت كلمة واحدة لا مخالفة، فهم أهل جرأة ورأي وتدبير.[170] ويعزّز ذلك ابن سحنون حينما يتحدّث عن بأس وقوة جند الباي محمد الكبير في إخماد

---

[166]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 97.

[167]- مخزن المكاحلية عرف بذلك لنوع السلاح الذي اشتهرت به فرسانه.

[168]- سعيدوني، النظام المالي. المرجع السابق، ص:45.

[169]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ...المرجع السابق، ص: 106.

[170]- المزاري، المصدر السابق، ص: 331.

التمردات: "... –أيّده الله– لذلك وخرج مبادرا في جنده الكثيف، فلما سمعوا بانتدابه إليهم، وكانوا يعلمون من سطوته وشدّة بأسه وقوّته ما كان ذكره، فتفرّقوا في البلاد... فجاست خيوله تلك الغابات والجبال..."[171] وبالتالي يمكننا القول أن أدوار قبائل المخزن ومهامهم متعدّدة تشمل جمع الضرائب، وفرض الأمن وكذا حراسة الأبراج والحصون، والممرات الصعبة، وأماكن العبور، والمسالك الرئيسية الواصلة بين مراكز البايليكات، وعند الطواحن الهوائية، والأسواق الموسمية، ونقاط التقاء المحلات الفصلية عند توجهها لجمع الضرائب.[172]

2– **قبائل الرعية:** ونعني بها القبائل الخاضعة للسلطة العثمانية، والتي كثيرا ما دفعتها الصراعات حول المراعي وعيون المياه إلى الإستنجاد بالسلطة العثمانية والدخول تحت رعايتها. عرفهم حمدان خوجة كالتالي: "... مهنتهم كلّها فلاحة، مسكنهم الخيام المصنوعة من الوبر، ليس لهم مكان مستقرّ ينزلون حيث يجدون المرعى لماشيتهم، ونظرا للأهمية التي يولونها للزراعة، ولما يريدونه من حماية لغللهم وضمان لأملاكهم، فإنّهم يدفعون طواعية ضريبة لرئيس الإيالة".[173]

تعرّضت قبائل الرعية للاضطهاد والإكراه، والتعسف المدمر من طرف رجال البايلك، وفرسان المخزن، فاستخلصت منها الضرائب الثقيلة، وأرغمت على بيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة، ومنع عليها الاتصال بالقبائل المعادية للبايلك أو الممتنعة عن نفوذه، كما حضر عنها شراء البنادق واقتناء البارود، ووضع على رأسها – أي القبائل الكبيرة– قياد من الأتراك أو الكراغلة، وشيوخ

[171]– الراشدي، ابن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي البوعبدلي، الجزائر، منشورات وزارة التعليم 1973، ص 314.

[172]– ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 314.

[173]– حمدان خوجة، المصدر السابق ص 114– 64.

من العائلات المتعاملة مع البايات.[174] ويشير آيت حبوش إلى بعض قبائل الرعية التي تمّ ترقيتها إلى مصاف قبائل المخزن، ونذكر على سبيل المثال الحشم في بايلك الغرب.[175]

كانت قبائل الرعية في بايلك الغرب مقسّمة إلى عدّة مجموعات، منها: المجموعة التي تخضع مباشرة للباي، وهي تتألّف من عشيرتي بني عامر ومجاهد. أما القبائل الأخرى، فيتقاسم الإشراف عليها عدد من القادة.[176]

3- **المجموعات السكانية المتحالفة (الأحلاف)**: وهي مجموعة السكان التي كانت تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها، إذ يعرفهم سعيدوني والبوعبدلي بالمجموعات السكانية التي تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني أو كفاءتهم الحربية، أو أصالة نسبهم.[177] ويفسّر سعد الله علاقة الأحلاف بالبايلك، حين يذكر أنّ الشيوخ والمرابطين، والقوّاد والحلفاء، وغيرهم من أصحاب الحكم والنفوذ الذين كانوا يتلقّون مسؤولياتهم من البايات، أو من ممثليهم في الأقاليم، وقد نجح العثمانيون في تدعيم سلطتين في الريف الجزائري الأولى: تتمثل في لجوئهم لأهل الصلاح والخير وأهل الطرقية والتصوّف. يتزلّفونهم ويحمونهم، ويطلبون بركاتهم وعونهم على الرعيّة. والثانية: سلطة دنيوية وتتمثل في شيوخ القبائل وقوّاد العشائر الذين كان العثمانيون يمدّونهم بالسيف والبرنس، ويقطعونهم الأراضي.[178]

يبدو أنّ البايلك حاول التقرّب من الشيوخ والمرابطين مقابل بعض الخدمات كتشجيع الطرق الصوفية، وجمع الضرائب، وكذا التوسّط ما بين البايلك والقبائل التي يصعب إخضاعها. إلا أنّه

---

[174]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص، ص 107- 108.

[175]- آيت حبوش، المرجع السابق، ص، ص 140- 141.

[176]- ناصر الدين سعيدونين المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 108.

[177]- ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 108.

[178]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 157.

كثيرا ما كانت السلطة تشجع النزاعات القبلية، بل وتشن الحملات التأديبية والانتقامية ضد هذه المجموعات حين محاولة تمردها ورغبتها في التخلص من رقابة البايلك. فمع مستهل القرن التاسع عشر، بدأ الحكام الأتراك يتحوّلون بأنظارهم إلى داخل البلاد لإيجاد مصادر دخل قارة، أحدث نوعا من التوتر في علاقة الحكام الأتراك برجال الزوايا الذين ازداد التحامهم بالأهالي، وأصبحوا في بعض الأحيان المتكلّمين باسمهم والمعبرين عن موقفهم، والمدافعين عن مصالحهم.[179]

4- **القبائل الممتنعة:** تتألّف في أغلبها من القبائل التي كانت تعيش في المناطق الجبلية الحصينة، أو تجوب الهضاب الوهرانية. عاشت هذه المجموعات في مناطق بعيدة عن نفوذ الحكام، كما أنها لم تعترف بسلطتهم، وفي ذلك يقول سعيدوني: ظلّ سكان هذه القبائل ممتنعون عن السلطة التركية بأراضي الجنوب، حيث كان غالبيتهم ينتمون لمجموعات قبلية اعتمدت في الأساس على فرض نفوذها بالسلطة الرّوحية أو بالكفاءة الحربية.[180] وكثيرا ما كان البايلك يلجأ إلى مهاجمتها والاستيلاء على أراضيها وذلك عند عجزه عن مراقبتها وإستمالتها.

الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي في بايلك الغرب:

لعلّ أهم ما يميّز المرحلة الأخيرة من حياة الإيالة الجزائرية، هو سوء الحالة الصحية وتدهور الأوضاع المعيشية، مما أثّر سلبا على نمو السكان وأضرّ بوضعهم الاجتماعي، وتذكر عائشة غطاس ما يلي: " شهدت الجزائر أواخر العهد العثماني أوضاعا اقتصادية واجتماعية صعبة للغاية، وقد تميّزت بظهور المجاعات المهلكة بين الفينة والأخرى، وساعد ذلك بدوره على تردي الأوضاع الصحية، فانتشرت الأوبئة الفتّاكة التي كان لها أسوأ الآثار على البلاد والعباد على حدّ سواء".[181]

---

[179]- ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 38.

[180]- سعيدوني، النظام المالي... المرجع السابق، ص 49.

[181]- عائشة غطاس، أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني، المجاعات والأوبئة 1787- 1830. المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، العددان 17- 18 سبتمبر 1998. ص 361.

ويرى سعيدوني، أنّ سبب سوء الحالة الصحية يعود إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة، وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر الأبيض المتوسط وانفتاحها على أقاليم السودان، وعلاقتها بالبلاد الأوربية، وارتباطها بالمشرق العربي...ومنها انتقلت مختلف الأمراض كالكوليرا، والتيفوس والجدري، والطاعون، والدمل والسلّ.[182] فالأمراض والأوبئة كانت تتسرّب إلى الجزائر من البحر، والرحلات إلى الحج وعن طريق الرحلات التجارية والعلمية.

يبدو أنّ صلة الجزائر بالعالم الخارجي، وكذا انتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول بعض المدن الداخلية، وكذا انعدام التدابير الوقائية، والجهل النسبي بالقواعد الصحية. كانت تلك هي العوامل التي ساعدت في الانتشار الواسع والسريع لمختلف الأوبئة والأمراض.

يعزّز هذا الرأي سعيدوني قائلا: "وقد ساعد على توطّن هذه الأمراض الموسمية والأمراض المعدية، انتشار المستنقعات... وعدم إلتزام السكان بالقواعد الصحية... كما نلاحظ أنّ الأدوية والعقاقير المحضرة كانت غير متوفّرة، أو كان يجهل مواصفاتها". ويواصل قائلا: أنه مما زاد في سوء الحالة الصحية، أنّ الحكام كانوا لا يهتمون بأمور الصحة، ولا يولونها العناية اللائقة بها. فهم لم يتخذوا أي إجراء وقائي ضد الأمراض، ولم يلجأوا إلى نظام الكرنتينة، بل إعتبروها طبيعية وغضبا إلهيا.[183]

ظهر الوباء الكبير سنوات 1787م- 1797م الذي أعتبر أخطر وباء عرفته الإيالة، وسمي بالكبير نظرا لما خلفه من ضحايا، جاءت به سفينة قادمة من أحد الموانيء العثمانية، وسرعان ما انتشر الوباء في المناطق الداخلية، وصادفت هذه الكارثة زيارة الرحالة المغربي الزياني الذي سجّلها، فكتب: "... وكان عاما في العمائر التي بينها (تلمسان) وبين الجزائر، فما نزلنا منزلا إلا وجدنا

[182]- ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، ج1، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان 1986، ص 432.

[183]- ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي... المرجع السابق، ص 432.

أهله يدفنون موتاهم.[184] هذا ما يفسّر انتشاره الواسع في بايلك الغرب، ومدى تأثيره على الوضع الصحي والديمغرافي في المنطقة.

يؤكد ذلك مسلم بن عبد القادر حين يذكر: وحدث في أيامه (الباي محمد الكبير) الطاعون الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبل ذلك قط، مات به الجلّ من النّاس، وخرج الباي بأهله ومخزنه فارا منه، وضعنوا ضغون الأعراب البادية زمنا طويلا.[185] في نفس السياق يقول سعيدوني: أنّ الباي عصمان حاكم وهران عام 1794م تخوّف من انتشار الوباء بناحية وهران والتجأ إلى سهول مليتة ليقيم بها ثلاثة شهور بعيدا عن أي اتصال بالسكان.[186]

ثم ظهر وباء سبع سنوات 1816م- 1822م الذي انتشر في بايلك الغرب، إذ تقول عنه عائشة غطاس: "ففي مدينة وهران، واستنادا إلى مراسلة القنصل البريطاني، فإنّ النّاس كانوا يموتون في التلاشي إلا مع حلول شهر أكتوبر، وتفاقم الداء مع ربيع 1818م، وقد أهلك بوهران ما يربوا عن سبعة آلاف شخص.[187]

وبالتالي، فإنّ الرعاية الصحية لم تكن في المستوى المطلوب، سواء من جهة الحكّام الذين لم يلتزموا بنظام الحجر الصحي كوسيلة وقائية ثابتة، إضافة إلى قلّة المراكز الصحية، وكذا من جهة الأهالي الذين لم يساهموا في تخصيص أوقاف على المؤسسات الصحية.

أما الكوارث الطبيعية، فقد عرفت الجزائر أثناء العهد العثماني سلسلة من الهزّات الأرضية العنيفة، تسبّبت في تخريب بعض المدن، ونتج عنها في كثير من الأحيان خسائر في الأرواح والممتلكات، كان أخطرها زلزال وهران سنة 1790م والذي قضى على حوالي ألف شخص.

184- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 365.

185- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 64.

186- سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي... المرجع السابق، ص 432.

187- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 367.

كما نتج عنه انقطاع الماء من العيون والينابيع.[188] يعزّز ذلك صاحب أنيس الغريب والمسافر إذ يذكر أنّه حدثت زلزالة لم تحدث قبل ذلك، وأشدّها في وهران التي سقط بها دور وأبراج... وأهلكت فيها أمم من النصارى.[189] إضافة إلى الفياضانات وزحف الجراد الذي أفسد الزرع والثمار غاية الإفساد.

وقد تعرّضت الناحية الغربية من البلاد إلى مجاعة رهيبة أدّت بالنّاس إلى أكل الميتة والدم، ولحم الإنس، والخنزير والعياذ بالله من ذلك.[190] ولجأ الباي محمد الكبير إلى استيراد القمح وأشرف بنفسه على عملية توزيعه على السّكان. كما عرفت البلاد مجاعة أخرى مع أوائل القرن التاسع عشر، قام الداي على إثرها باستيراد الحبوب من موانئ البحر الأسود، وكان مرد هذه المجاعة، القحط الشديد الذي أصاب البلاد، وغزو الجراد الذي اكتسح بايلك الغرب في عهد عثمان باي.[191]

وبالتالي، يمكننا ملاحظة أنّ الجفاف كثيرا ما كان مصحوبا بآفة غزو الجراد، هذا الأخير الذي ألحق أضرارا جسيمة بالإنتاج، فأتلفت الغلات والمنتوجات، وارتفعت الأسعار ارتفاعا فاحشا. هذه الأوضاع المعيشية الصعبة أسهمت في تردي الأحوال الصحية، حيث يرى بعض العلماء – حسب ما ذكرته عائشة غطاس– أنّ هناك علاقة وطيدة بين ظهور المجاعات وانتشار الطاعون... بحيث يتعاقب على السكان، الجفاف، المجاعة، الوباء، المجاعة.[192] كما نسجّل تناقص عدد السكان، وتأثر الاقتصاد جراء تعدد الكوارث الطبيعية إذ كان الوضع الديمغرافي انعكاسا صادقا على الأحوال الصحيّة والمعاشية عموما.

---

[188]– ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي... المرجع السابق، ص 435.

[189]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 65.

[190]– نفسه، ص 64.

[191]– عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 361.

[192]– نفسه ص 365.

بالرجوع إلى الإحصائيات، استنتج سعيدوني أنّ الوضع الديمغرافي كان يتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان، أو كثافتهم. وذلك تبعا للظروف الصحيّة والأحوال المعاشية والشروط الطبيعية، ويورد عدد سكان الناحية الغربية خلال الربع الأول من القرن التاسع عشر (19م) كالتالي:[193]

- تلمسان: ما بين 8000 نسمة و15000 نسمة والرّاجح 12000 نسمة.
- وهران: ما بين 6000 نسمة و10000 نسمة.
- مستغانم: ما بين 1200 نسمة و4000 نسمة.
- مازونة: حوالي 2600 نسمة.
- معسكر: حوالي 6000 نسمة.

والظاهرة لم تكن خاصة ببايلك الغرب فحسب، بل عمّت معظم مناطق الأيالة، وحتى قبل الفترة المدروسة، فأثرت على خزينة الدولة والوضع الاقتصادي عامة، وهو ما يؤكّده فريد خياري في أطروحته.[194]

[193]– ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي... المرجع السابق، ص 440.

[194] – Farid khiari ،Developpement historique et contradiction de la formation sociale du pachalic d'Alger de 1570- à 1670. Une approche socio- économique à partir de documents internes et inédits ،diplôme de doctorat ،paris ،1989- 1990.

الفصل الثاني

المؤسسات التعليمية في بايلك الغرب خلال القرنين 18م–19م

1–المساجد

2–الكتاتيب القرنية

3– الزوايا

4–المدارس العلمية

5–المكتبات

6–التعليم

إن أهم مايميز الجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي هو ظهور الإضطربات السياسية وشيوع مرحلة من اللاستقرار نتيجة لما شهدته هذه المرحلة – القرنين 18م و19م- من تغيرات وتحولات مست مختلف الجوانب ولو بدرجات متفاوتة. إلا أنه وبالرغم من ذلك فقد شهدت الجزائر العديد من المؤسسات الدينية والمراكز الثقافية التي اشتهر بها بايلك الغرب على وجه الخصوص والتي كان لبعضها أدوار ومساهمات فكرية وثقافية دينية جعلها تضاهي المراكز والحواضر العربية والإسلامية. وقد تمثلت هذه المؤسسات في التالي:

1-المساجد:

إن ظاهرة العناية بالمساجد كانت بارزة في المجتمع الجزائري المسلم، فلا تكاد تجد قرية أو لأو حيا في المدينة بدون تواجد مسجد، فقد كان المسجد ملتقى العباد ومجمع الأعيان ومنشط الحياة العلمية والإجتماعية، وكان أيضا هو الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي، لأنهم يشتركون جميعا في بنائه وتشييد الوظائف فيه، قبل التطرق إلى أهم المساجد التي كانت في بايلك الغرب، يجب أن نعرف بالمسجد والفرق بينه وبين الجامع.

المسجد في اللغة: هو البيت الذي يسجد فيه. قال الزجاج: "كل موضع نتعبد فيه فهو مسجد"[1].

ويذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه: "تاريخ الجزائر الثقافي" أنه كثيرا ما يختلط على الباحث إسم الجامع والمسجد، فالجامع إصطلاحا: أكبر حجما من المسجد فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة والعيدين. إن الجوامع والمساجد في الغالب غير منسوبة إلى الأولياء والصلحاء بل هي منسوبة إلى مؤسسيها من السياسيين والتجار والعسكريين والمحسنين ونحوهم.

ويمكن القول بأن المسجد يكون موجها للصلوات بصفة أكبر أما الجامع فهو أكبر حجما من المسجد[2].

[1]- أحمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت:مكتبة دار الحياة، دون تاريخ النشر)ج2، ص371.

[2]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص245.

لم يقتصر دور المساجد في الجزائر على أداء الصلاة فحسب بل القيام بوظيفة التعليم[3]، ففيها تحفيظ القرأن وتعليم الفروض الدينية وبعض العلوم الإسلامية[4].

إن عدد المساجد في الجزائر عامة وبايليك الغرب خاصة لم يكن قليلا، وقد إشترك في تأسيسها الأهالي والعثمانيين الذين كانوا يهتمون ببناء المساجد لدوافع دينية.

أ- مساجد بايليك الغرب:

- **مساجد معسكر:**

يرجع الفضل في إعادة بناء المساجد بمعسكر إلى الباي محمد بن عثمان الكبير الذي كان له دور كبير في تفعيل الحركة الثقافية ببايليك الغرب عموما أواخر القرن الثامن عشر ميلادي، إذ يذكر ابن سحنون أن في عهده اتسعت حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وكثر طلبة العلم وتشوق كل واحد للتدريس، واشتد الحرص على العلم بعد أن كاد يترك انشغالا بالتجارة لقلة جدواه[5].

ومن مساجد المنطقة نذكر:

الجامع الكبير:

يقع الجامع الكبير بقلب مدينة معسكر، ويعتبر النواة الأولى للعمارة الدينية في المدينة خلال الفترة العثمانية . رغم الإختلاف الموجود بخصوص تاريخ تأسيسه، إلا أنه ومن خلال اللوحتين التأسيسيتين يتبين لنا أن البدء في بنائه كان سنة 1160ه/1747 م.أما تاريخ الإنتهاء من ذلك فكان سنة 1162 ه/1749 م، مما يعني أن عملية البناء استغرقت حوالي سنتين . أما عن مؤسسه فيذكر بلحاج معروف: "ويذكر أن الباي الحاج عثمان بن زيان بن ابراهيم الذي تولى أمر بايلك الغرب مرتين، إستقر بتلمسان وخلال إقامته الثانية بها أمر ببناء الجامع الكبير بمدينة معسكر والضريح

---

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985)، ص248

[4]- يحيى بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرن 19 والقرن 20م، مجلة الثقافة، ع63، (الجزائر:الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981)، ص12.

[5]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص132-135.

المجاور له...[6].وقد قام الباي محمد بن عثمان الكبير بتجديده وتوسيع مساحته، كم جلب إليه المياه، وبنى خمسة أحواض للوضوء، وإستبدل منبره بمنبر أحسن من ذي قبل. يعد هذا الجامع أقدم جوامع معسكر وأهمها على الإطلاق، حضي برعاية خاصة من طرف الولاة والمسؤولين ببايلك الغرب طوال حكم الأتراك.فقد قام الباي محمد بن عثمان الكبير بتجديده أحسن من ذي قبل[7]. به قاعدة للصلاة مربعة الشكل، تقع منارة هذا المسجد حاليا داخل قاعة الصلاة شرقا على يمين المحراب، ألحق به مدرسة حمام الأدهم يعرف حاليا بحمام البركة[8].

امتاز الجامع الكبير بجماله ودقة بنائه والزخرفة والنقوش بالحروف العربية على الجدران والعناية بالعيون والإضاءة والنظافة ويؤكد هذا ابن سحنون الذي اعتبره من العجائب وقال "إن الناس كانوا يقصدونه للترهة والتعجب"[9].

رتب له خطيبا وإماما وأربعة مدرسين، أحدهم للتفسير والحديث وثلاثة كغيرهما[10]، وكذلك رتب له أربعة مؤذنين وسماع ومقدم للطلبة وخصص لهم رتبا يأخذونها من الأحباس[11].شارك الجامع الكبير في مسيرة الحياة الدينية بهذه البلاد، وفي تنوير عقول الأجيال على مر الزمان.وفي إثراء الحياة الفكرية والثقافية بشكل واسع وبطريقة جد إيجابية. تصدى للتدريس فيه عدد كبير من العلماء الأجلاء وعلى رأسهم العلامة الحافظ أبي رأس الناصري[12].

---

[6]– معروف بلحاج ودحماني صبرينة، المساجد العثمانية – دراسة تنميطية – المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تونس: العدد :43، ديسمبر 2011، ص:225

[7]– قرمان عبد القادر، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني، دراسة أثرية وعمرانية ومعمارية، أطروحة دكتوراه في الآثار الاسلامية، جامعة الجزائر: 2014 – 2015، ص:110

[8]– يحي بوعزيز، المساجد العتيقة بالغرب الجزائري، (الجزائر:المطبعة الحديثة للفنون المطبعية، 2004)، ط1ص209.

[9]– جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمعسكر 1931-1956، (الجزائر:الغرب للنشر والتوزيع، 2003)، ص24.

10_ ابن سحنون الراشدي، نفس المصدر السابق، ص132.

11_ أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص28.

[12]–قرمان عبد القادر.المرجع السابق، ص:110

جامع سيدي حسان:

إتخذ هذا الجامع عدة تسميات، فالتسمية الأولى هي جامع عين البيضاء نسبة إلى العين الموجودة بالمنطقة، حيث أن لون مياهها كان يميل إلى البياض، فاتخذت منه إسمها .أما التسمية الثانية فهي جامع الباي محمد الكبير نسبة إلى مشيده.والثالثة هي جامع المبايعة لمبايعة الأمير عبد القادر فيه.أما الإسم الرابع فهو جامع سيدي حسان. وعن الإسم الرابع يذكر قرمان أن سبب ذلك الإستعمار الفرنسي الذي أراد طمس شرف هذا الجامع، فاستغل شراء أحد المستوطنين أرضا قرب الجامع، وكان بها قبر ولي صالح إسمه "سيدي حسان"، فحين طلب نقل هذا القبر، نقل قرب الجامع فسمي كذالك.[13]أما بلحاج معروف فيذكر ما يخالف ذلك ويكتب : "...ويعرف أيضا تحت إسم جامع سيدي حسان نسبة إلى حسن باشا الذي كان يحكم الأيالة الجزائرية أنذاك[14] ."

شيد الجامع سنة 1195 ه/1780 م وذلك حسب ما ورد في نص الكتابة التذكارية التي تحف المحراب. وقد جاء فيها : "...أما بعد، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد بن عثمان / إنتهى بحمد الله على يد المعلم أحمد بن محمد بن حاج أحساين بن صار مشق التلمساني رحمه الله في أول ذي القعدة عام خمسة وتسعون ومائة وألف .وذلك بأمر من الباي محمد بن عثمان المعروف بالباي محمد الكبير. ومنه يمكننا تحديد تاريخ بنائه، والمشرف على عملية البناء، وكذا تاريخ الإنتهاء منه.

قال عنه ابن سحنون : "...لقد حصل للناس ببنائه ما يحصل له به إن شاء الله من أعظم الأجور، ويحسب له من العمل المبرور .لأنه كان يبنيه زمن المسبغة.فكان من لم يجد قوتا أجر نفسه للخدمة فيه بما يستعين به على معيشته، ومن له دابة أكراها، ومن له شيء بمتعلقات البناء لم يبخس عليه.فجاءت المباني الرائقة والأثار الفائقة التي لم يبن أميرا مثلها إتقانا وحسنا."[15]

---

[13]– قرمان عبد القادر، المرجع السابق، ص:117

[14]– معروف بلحاج ودحماني صبرينة، المرجع السابق، ص:223

[15]– ابن سحنون . المصدر السابق، ص:127

كما حبس عليه الحمام العظيم والدار الملاصقة لميضأته، المحتوية على ستة عشر مطهرة، وأتاه بماء كثير إشتراه من أربابه جعله سقايات للسبيل.

كان الموظفون به يتلقون رواتب من الوقفية التي أوقفها الباي محمد الكبير عليه وقد تضمنت ما يلي:

_ 4 سلطانية ذهبا للطلبة اللذين يحضرون درس صحيح البخاري في كل سنة .

_ 50 ريالاللإمام .

_ 40 ريالا للخطيب .

_ 80 ريالا للمؤذنين يتقاسمونها .

_ 44 ريالا للحزابين يتقاسمونها .

_40 ريالا لمدرس صحيح البخاري .

_ 60 ريالا لكل مدرس .

_ 15 ريالا لوكيل خزانة الكتب الملحقة بالجامع .

_ 10 ريالات للراوي .

_ 15 ريالا لمصلح المطاهر .

_ 40 ريالا لوكيل الوقف .

_ نصف ريال حق بيت عامر شهريا لزيت الطالب الساكن فيه.[16]

إستخدم هذا الجامع إبان الإحتلال الفرنسي مخزنا للحبوب، وبقي كذالك لغاية سنة 1905 م حيث أعيد المبنى إلى المسلمين لتمارس فيه الوظيفة التي أسس من أجلها .

تجدر الإشارة إلى أن جهود محمد الكبير لم تقتصر على معسكر بل شملت بعض المناطق المجاورة لها مثل الكرط، والبرج، هذا ما أشار إليه الزياني في كتابه:" دليل الحيران وأنيس السهران"

[16]– راجع جاكر لحسن، نشاط جمعية العلماء بمدينة معسكر .ص:25، 26 –وقرمان عبد القادر. المرجع السابق، ص:119

أنه بنى جامع بكل منهما حيث ذكر:"....كما بنى جامع الكرط(***)، والجامع الأعظم بالبرج، وإلى غير ذلك من شعائر الإسلام".[17]

والملاحظ أن الكتابات حول هذين المسجدين لم تتوفر لدينا فيما وقع تحت أيدينا من مؤلفات .

- **مساجد وهران:**

عرفت وهران قبل تحريرها من الخطر الإسباني على عهد محمد الكبير 1792م مساجد عديدة تربوا عن الثلاثين مسجدا لكن الإسبان خربوا معظمها وحولوا الباقي إلى كنائس ونخص منها بالذكر:

مسجد البرانية:

يعرف بجامع بني عامر أو مسجد أبي عبيدة الجراح، أسس هذا المسجد أول مرة الباي مصطفى "بوشلاغم المصراتي" 1708م بعد أن حرر وهران والمرسى الكبير التحرير الأول من أيدي الإسبان، وعندما عاد الإسبان لإحتلال مدينة وهرانعام 1732م قاموا بتهديم هذا المسجد وشيدوا مكانه برج قورد . وبعد التحرير النهائي لوهران من الإسبان عام 1792م عهد الباي محمد بن عثمان الكبير قام ابنه عثمان بتهديم البرج عام 1801م وأعاد تأسيس مسجد البرانية من جديد .

مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير– جامع الباي –:

أسسه الباي محمد بن عثمان الكبير، وهو يقع في سهل خنق النطاح إلى الشرق من مدينة وهران، تم تأسيسه بعد تحرير وهران من الإحتلال الإسباني عام 1792م وكان في شكل فيلا صغيرة تتوسطه ساحة صغيرة ونافورة مياه، وفي الزاوية الشرقية للقاعة توجد منارة متوسطة العلو، مربعة

***قرية أسست بجبل كان يحمل هذا الإسم من قبل، عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبنى عامر، تقديم:محمد ابن عبد الكريم، (دون بلد النشر، دون دار النشر، دون سنة النشر)ص31.

17- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص204.

الشكل ووراءها إلى الغرب بيت صغير أقتطع من القاعة الرئيسية، يتخذه الإمام حاليا مقرا له لإعداد خطبه ودروسه[18].

كما ينسب إليه بناء جامع "بناصف" لكونه كان به وكيلا وتم هذا بعد فتح وهران[19]. كما يذكر الزياني أنه "بعد فتح وهران أمر بهدم الأبراج وبنى بالموضع الذي وقف به فرسه عند الباب للمواقف مسجدا للصلاة الخمس والجمعة، يعرف عند الناس الأن جامع بناصف[20]".

مسجد الباشا أو الجامع الكبير:

تم تأسيسه عام 1796م بأمر من الداي بابا حسن باشا(*)تخليدا لفتح وهران الأكبر[21]، كما يذكر الزياني أنه:" وبنى الجامع الأعظم المغرور الباشا حسن وكل ماصرفه عليه هذا الأمير فمن عند الباشا، ويحكى أنه لما فتح وهران ثم أعلم الباشا حسن بفتحها ففرح بذلك وبنى الجامع الأعظم[22]".يعزز ذلك معروف بلحاج فيقول :"...شرع الباي محمد بن عثمان ببناء الجامع الأعظم سنة 1796 بأمر من الداي حسن باشا، وذلك حسب ما تشير إليه كتابة أثرية عبارة عن وقفية محفوظة بمتحف أحمد زبانا بوهران."[23]

أسس في الشمال الشمال الشرقي للمدينة القديمة على الضفة اليمنى الشرقية لوادي الرحى الذي يعرف بوادي رأس العين بجوار قصر الأمر، وحبس عليه عدد كبير من المتاجر والحمامات حوله هذا حسب يحيى بوعزيز.

---

[18]– يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة.....، المرجع السابق، ص45-58.

[19]– محمد ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص28.

[20]– محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص202.

*ندرومة تتميز بموقع حسن استراتيجي للدفاع، توجد في أقصى الغرب الجزائري، وهناك اختلاف في التسمية معناها نظرو الماء، وذكر أنها قبيلة ندرومة، أنظر :أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، (الجزائر:منشورات المتحف الوطني، 1995)، ص303.

[21]– يحيى بوعزيز، مدينة وهران.....، المرجع السابق، ص67.

[22]– محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص203.

[23]-معروف بلحاج ودحماني صبرينة . المرجع السابق، ص:226

جامع محمد بن عثمان الكبير أو جامع سيدي الهواري:

أسسه الباي عثمان الكبير عام 1799م/1800م بجوار برج القصبة إلى الشمال على الحافة الغربية لوادي الرحى، وخلد عثمان تأسيسه في لوحة رخامية على جدار منارته المواجهة للقصبة، ويذكر يحي بو عزيز أنه عندما احتل الفرنسيون وهران عام 1831م حولوه إلى مستشفى عسكري سنوات طويلة[24].

- **مساجد ندرومة:**

مسجد سيدي اليدون:

ذكر إمامه الحالي أنه أسس في حدود القرن 11هجري/17م، من طرف أحد البايات الأتراك الذي يدعى عثمان، فإذا صحت هذه الرواية فإن التأسيس يكون في القرنين 12ه /18م، لأن الباي الذي يحكم بايليك الغرب من تلمسان هو "الحاج عثمان بن ابرهيم" الذي تولى حكم البايليك مرتين : الأولى وقد ثار ضده الباي " المسراتي ابن مصطفى بوشلاغم" وسكان المدينة وأعاده إليها الداي عام 1160ه/1747م، ولهذا المسجد قاعة متوسطة طويلة من الشرق إلى الغرب بها ستة سواري أو أعمدة أقيم عليها سقف المسجد الخشبي المتموج على شكل أروقة من الشمال إلى الجنوب، وفي الزاوي الشمالية الغربية للقاعة يقع قبر الشيخ اليدونفي ركن الزاوية تماما.[25]

المسجد الكبير الجامع:

أسس المرابطون المسجد الجامع بندرومة في حي التربيعية أوائل عهدهم بإقليم تلمسان.

[24]– يحي بوعزيز موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، الجزائر : دار الهدى، ج1، 2004، ص112.

[25]– يحي بوعزيز المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص149.

- **مساجد تلمسان(*):**

تزخر تلمسان بعدد كبير من المساجد أو الجوامع الكبيرة منها والصغيرة منذ أن كانت عاصمة بايليك الغرب فترة من الزمن على عهد الأتراك، ولما كان المسجد هو مركز الإشعاع الديني والأدبي فقد دأب الأمراء والسلاطين والعلماء للتدريس بها، وليقبل طلبة العلم عليهم وعلى حلقاتهم الدراسية فيها، ولتمارس فيها الصلوات والعبادات الأخرى.

وحسب أبو القاسم سعد الله في كتابه " تاريخ الجزائر الثقافي" أنه كان بتلمسان أواخر العهد العثماني حوالي خمسين مسجدا هذا، وهو ما يعززه يحيى بوعزيز في كتابه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري أهمها:

المسجد الكبير:

يقع في قلب مدينة تلمسان، أسس على أرض منبسطة وشبه مائلة عام 530ه/1136م بأمر من الأمير المرابطي "علي بن يوسف بن تاشفين"[26]، وتوجد بالمسجد قاعة للصلاة بها سدة جميلة أنشئت عهد الأتراك كانت تستعمل لأذان الإمام وتسميعه على عادة الأحناف. شارك المسجد الكبير مشاركة فعالة في ترسيخ العقيدة الإسلامية.

لقد تصدى للتدريس في هذا المسجد أجيال من العلماء والفقهاء والأدباء والمشرعين واللغوين، فكان رغم بساطته جامعة إسلامية كبرى، شارك في نهضة هذا البلد عهد المرابطين، والموحدين، والعثمانيين، حسب ما ذكره يحي بوعزيز[27].

---

*- تلمسان تقع في الإقليم الغربي من أرض الجزائر، يطل منها على سواحل خضراء واسعة الأرجاء، أنظر: حسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983)، ج1، ط2، ص7. وتلمسان اسم مركب:تلم: تعني تجمع، سان: تعني الصحراء أو التل وجاء ذكرها أنها تعني شأن، محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، (الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984)، ص9

[26]- يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص110-111.

[27]- نفسه، ص115.

مسجد المشور:

يقع داخل قلعة المشور الضخمة التي أسسها المرابطين عهد "يوسف بن تاشفين"، وليس هناك تاريخ محدد لبنائه، ويقال أن تاريخ بنائه هو 517هجري/مارس1123م، أو فيفري عام 1124هجري، وهناك من يقول بأنه أسسوه في القرن 14م.

شارك هذا المسجد في نهضة تلمسان الثقافية والحضارية بشكل جدي وبارز واستقبل عدد كبير من العلماء الأجلاء الذين درسوا فيه، وتخرج على أيديهم أجيال من طلبة العلم والفقهاء والأدباء والمحدثين[28].

مسجد العباد:

يقع في الشمال الشرقي لمدينة تلمسان على سفح جبل شديد الإنحدار، نواة هذا المسجد عبارة عن رباط كان يتعد به المتزهدون والمتصوفون، وفي نهاية القرن 6هجري/ 12م قصده الوالي الإشبيلي "الصالح أبو مدين شعيب بن الحسن" من بجاية في طريقه إلى فاس، توفي بعين تاقبلات قرب تلمسان قبل أن يصل إلى الرباط فنقل إليه ودفن به سنة 596هجري/1197م، وبجوار قبة وضريح الشيخ أبي مدين بني مسجد العباد[29]، أمر ببنائه السلطان المريني أبو الحسن علي عثمان بن يعقوب عام739هجري/1339م، [30] وفي مؤخرة المسجد على اليسار بيت لتعليم الأطفال القرآن الكريم، وقد كان العلامة ابن مرزوق الخطيب هو الذي أشرف على بناء المسجد كما ذكر ذلك في كتابه "المسند الصحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن".

خرج هذا المسجد أجيال كبيرة من العلماء والفقهاء والمحدثين وتصدى للتدريس فيه عبد الرحمن بن خلدون، يحي بن خلدون، ابن مرزوق الخطيب...[31]

---

[28]– يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص 117-118

[29]– نفسه، ص123.

[30]– ابن مريم الشريف التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، (الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، 1986)، ص315.

[31]– يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص125.

مسجد الشيخ إبرهيم المصمودي:

ليس هناك تاريخ معلوم لتأسيس هذا المسجد، ولكن بما أن الشيخ إبراهيم المصمودي قد توفي عام 805 ه/1402م، فإن هذا المسجد يكون قد أسس خلال القرنين8ه 14م هذا حسب يحي بوعزيز، ولاشك أنه فاخر بالأمجاد الفكرية، الدينية والأدبية. وإذا ماصح في المصادر التاريخية من أخبار ومعلومات فإن هذا المسجد كان في الأصل هو المدرسة اليعقوبية التي أسسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الثاني عام 763هجري/1364م خصصها للعالم والفقيه والمحدث التلمساني المشهور "أبي عبد الله محمد الشريف العلوي الحسني التلمساني" ليدرس بها[32]

مسجد أولاد الإمام:

يقع في حي باب الحديد بمدينة تلمسان، به لوحتان رخاميتان مثبتتان على الجدار الشرقي كتب على إحداهما تاريخ وفاة "أبي زيد عبد الرحمن ابن الإمام". وهو عام 741ه، وعلى الأخرى تاريخ وفاة أخيه "أبو موسى عيسى" عام 742ه، وكانت به حجرة أتخذت كتابا لتعليم القرأن الكريم للأطفال وبها معلم.[33]

مسجد سيدي زكري (ابي العباس احمد بن محمد):

يقع بحي باب الحديد، وحسب رواية ابن مريم في كتابه" البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان " أن المسجد سمي نسبة إلى أبي العباس بن محمد الذي توفي عام900ه[34].

مسجد لالة رويا:

يقع المسجد في الناحية الشرقية من مدينة تلمسان .وقد بني تخليدا للولية الصالحة "لالة روية" التي كانت تملك قدرات في رقية الأمراض المستعصية.

يذكر معروف بلحاج أن المعطيات التاريخية حول هذا المسجد تبقى شحيحة، إلى أنه يوجد إتفاق على أنه يعود إلى الفترة العثمانية، وذلك إستنادا إلى طرازه ونمطه المعماري وكذا العناصر

[32]- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص130.

[33]- نفسه، ص153.

[34]- نفسه، ص159

المعمارية المستخدمة فيه، لا سيما القبة التي تغطيه ...إلا أن الغموض يبقى يحوم حول تاريخ بنائه.[35].

شهد هذا المسجد ترميمات في فترات تاريخية مختلفة .وقد أعيد بناؤه من جديد خلال نهاية القرن التاسع عشر.

مسجد ابي الحسن التنسي:

أسسه أحد أمراء بني زيان، وقداستمر في أداء رسالته إلى غاية الاحتلال الفرنسي حيث حوله المستعمر إلى متحف للفن الإسلامي ولا يزال كذلك إلى اليوم وهذا ما ذكره يحي بوعزيز .

وبتلمسان كذلك يوجد: مسجد الشرفاء، مسجد السنوسي، ومسجد باب الزير، ومسجد سيدي حسن الراشدي، كل هذه المساجد لا يعرف تاريخ تأسيسها وقد اكتفى يحيى بوعزيز بوصف هيكلهم والحالة المزرية التي يعاني منها في الوقت الحالي [36]

- **مساجد مازونة :**

الأكيد أن مازونة كحاضرة ثقافية قد شهدت خلال فترة موضوع بحثنا وجود مجموعة من المساجدمنها:

مسجد سيدي محمد بن شارف :

أسس خلال القرن 12ه/18م من طرف عائلة سيدي هني من مالها الخاص، ويقع هذاالمسجد على الضفة اليسرى الغربية للوادي الذي يجري بمازونة[37].

- **مساجد مستغانم :**

المسجد الاعظم :

أمر بتأسيسه السلطان المريني أبوالحسن´´ في حدود 739ه/1339م، وهو التاريخ الذي أمر فيه بتأسيس مسجد العباد بتلمسان .اعتنى الأتراك بهذا المسجد في العهد الحديث وأولوه عناية

[35]-معروف بلحاج ودحماني صبرينة . المرجع السابق .ص:226

[36]-نفسه ص 45

[37]- يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص149.

خاصة، فغلفوا محرابه بالآجر المزركش الجميل، وأنفقوا على أئمته وقضاته ومفتيه.[38]

مسجد سيدي يحي بن ستي:

يقع بحي بن ستي الراشدي في حي القرية سابقا وحي بن عبد الله والدرب حاليا، يعود تاريخ هذا المسجد إلى أوائل القرنين 7 ه و13 م، وهو أقدم مسجد في مدينة مستغانم، بقي هذا المسجد يؤدي رسالته الدينية والتربوية سنوات طويلة إلى ان وقع الاحتلال الفرنسي[39].

2-الكتاتيب القرأنية:

تعتبر الكتاتيب القرأنية مؤسسات ذات وظيفة مزدوجة دينية وتعليمية في نفس الوقت، ويرجع تاريخ استخدامها كمؤسسة تعليمية إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد كان الكتاب ولا يزال مكانا لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة.

عرف بشير رمضان التليسي الكتاتيب القرأنية على أنها جمع لكلمة كتاب وهو موضع التعليم.[40]

غالبا ما تكون هذه الكتاتيب عبارة عن بيوت منفردة وأحيانا متصلة بالمساجد أو الزوايا، مختلفة الأحجام والأشكال، موجودة في كل القرى والحواضر بصورة مكثفة، ويطلق عليها اسم المسيد(*) بسكون الميم وكسر السين الممدودة[41]، كان أثاث الكتاب عبارة عن حصير مصنوعة من الحلفاء أو الدوم، ومجموعة ألواح من خشب، وأقلام من قصب، وكمية من الصلصال، والصمغ، وجراء للماء وبعض الأواني البسيطة، ومجموعة مصاحف وبعض الكتب الفقهية والنحوية والصرفية[42]، في الأصل أو جناح في المسجد، وكانت منتشرة في جميع الأحياء، وكثير منها يحمل إسم الحي الواقع فيه ".

---

[38]-يحي بوعزيز، المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص 187-188.

[39]-نفسه ص 193

[40]- بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر ميلادي، (بيروت: المدار الإسلامي 2002)، ط1، ص364

[*]هو تصغير بدون شك لكلمة مسجد

[41]- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، (الجزائر:دار الهدى، 2004)ج1، ص199.

[42]- الطالب عبد الرحمن، الطرق التربوية المتبعة في الكتاتيب القرآنية بندرومة، دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة وهران ويعرفها أبو القاسم سعد الله على أنها "حجرة أو دكان 1977، ص : 09

أما وظائفها فتتمحور أساسا في تحفيظ القرآن الكريم مع تعلم مبادئ القراءة والكتابة، نجدها غالبا منفصلة عن المساجد من أجل تجنيب هذه الأخيرة أوساخ الأطفال وضوضاءهم والاحتفاظ بنقاوتها وطهارتها ووقارها ليجد فيها المصلون والمتعبدون جو الخشوع المطلوب في العبادة.إلى جانب تحفيظ القرآن يتلقى الأطفال في بعض الكتاتيب الكبيرة قواعد ترتيل القرآن وتجويده على مختلف الرويات، [43]كما يحفظون بعض متون العلوم الفقهية والشرعية واللغوية مثل: ابن عاشر، وألفية ابن مالك، بل وهناك من الكتاتيب القرأنية ما كانت تقدم تعليما أوسع من ذلك وأعمق يتضمن أحكام الطهارة والعبادات والعقائد ودراسة مبادئ العلوم اللغوية والتوحيد والفقه[44].

كان للكتاتيب القرأنية نظام داخلي متعارف عليه، تحدد فيه بدقة أوقات العمل، والإستراحة، والعطل، كما يحدد أجرة معلم الكتاب أو الشيخ أو المؤدب، إذا كان في الغالب يتولى دفعها أباء التلاميذ وتجزأ هذه الأجرة الى أقساط، فجزء منها يدفع أسبوعيا عند العطلة الأسبوعية التي تبتدئ عادة من عصر يوم الأربعاء إلى صباح يوم الجمعة، وجزء أخر يقدمه التلميذ بمناسبة المواسم والأعياد، زيادة على مايدفعه التلميذ بمناسبة ختم بعض السور.

كان يتولى التعليم في الكتاب نخبة من الشيوخ من حفظة القرأن الكريم، ويراعى فيهم عدد من المعايير والمقاييس أهمها: الإستقامة، وحسن السيرة والسلوك، والسمعة الطيبة، كما كان في بعض الجهات يتم تزكية الشيخ المرشح بالتعديل والتجريح والكفاءة والورع. [45]وذلك لدوره في عملية التربية والتعليم الديني.

---

[43]– هي روايات القرأن المتواترة أولها: ورش، قالون، حفص، الدوري، السوسي، نافع، عاصم، وفيما يتعلق بالرويات العشر هي الروايات السبع سالفة الذكر اضافة الى رواية أبو جعفر المدني، يعقوب البصري، خلف بن هشام البغدادي.

[44]– يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا.... المرجع السابق، ص200

[45]– ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بو عبدلي، المرجع السابق، ج4، ص203

تتم العملية التعليمية في الكتاتيب عادة على مرحلتين: الأولى صباحا من الساعة الخامسة أو السادسة أي مباشرة بعد الصلاة حتى الساعة العاشرة، والثانيةفي المساء من الساعة الثالثة عشر الى الساعة السابعة عشر أوالثامنة عشر مع إستراحة في الوسط قبل صلاة العصر.[46]

كانت أعمار التلاميذ المترددين على الكتاتيب القرأنية عموما تتراوح بين السادسة والرابعة عشر، وفي السن الأخير يكون التلميذ النابه قد ختم القرأن الكريم مرة أو عدة مرات، وتعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين، وأولويات الحساب، وقد يصبح في السنتين الأخيرتين مساعدا للمؤدب في تعليم الأطفال الأصغر منه سنا، وهذا حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله.

أما طريقة التدريس في الكتاتيب فكانت تقليدية حسب ما كان سائدا أنذاك، إذ يتزاحم الأطفال حول المشايخ ذكورا وإناثا من مختلف الأعمار، ويجلسون على الأرض فوق الحصائر والسجاديد في شكل أنصاف دوائر، فيملي الشيخ عليهم أجزاء من القرأن الكريم، يكتبونها على ألواح خشبية مطلية بطين الصلصال، بأقلام من القصب والصمغ(*) المصنوع من الصوف المحروق. وبعد كتابتها وتصحيحها في الفترة الصباحية، يتمرن الأطفال على قراءتها قراءة أولية ثم يتلونها في المساء ويقرؤون ذلك بأصوات جهرية حتى يحفظونه ثم يمحونه في صباح اليوم الموالي ويكتبون غيره وهكذا بصفة دورية ودائمة.[47] ويتوقف عدد التلاميذ في الكتاب على كثافة سكان الحي وعلى نجاح المؤدب وسمعته[48]. يعزز ذلك تركي رابح حين يذكر : " والتعليم في الكتاب كان معظمه بدائيا وعلى الطريقة التقليدية المعروفة عن الكتاتيب منذ عدة قرون، حيث يقتصر على تحفيظ القرآن من

---

[46]– يحيى بوعزيز، المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص:200.

[*]تؤخذ مادته من الوذخ وهو الصوف النابت بين فخذي الشاة، الممزوج بقذاه بعد حرقه على صفيحة من حديد... ووضعه في محبرة ويضاف إليها الماء عند الإستعمال، أنظر: أحمد الأزرق، الكتاتيب القرأنية في الجزائر ودورها في المحافظة على وحدة الأمة وأصالتها، (الجزائر:دار الغرب للنشرو التوزيع، دون سنة النشر)، ص37

[47]– يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا، المرجع السابق، ص199.

[48]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص333

أوله إلى آخره بدون شرح لمفرداته، ولا تحليل لمعانيه، أو تفسير لمقاصده الدينية والأخلاقية والإجتماعية والتربوية "[49] .

ويذكر إميريت في كتابه:"الجزائر عهد الأمير عبد القادر":أن خمسين كتاب في تلمسان كانت تحوي على نحو ألفي تلميذ، وهذا ما ذكره أبو القاسم سعد الله.وليس ذلك غريب على الشعب الجزائري، إذ كانت ولا تزال العائلات الجزائرية تدفع بأبنائها إلى الكتاتيب القرأنية باعتبارها مدرسة إبتدائية ضرورية في عملية التربية والتعليم الديني والخلقي.

عادة ما كانت الكتاتيب القرأنية تعتمد على الوقف من حيث بنائها أو تسييرها، وقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن الواقفين على بناء وفتح الكتاتيب كانوا من جميع طبقات المجتمع، فالباشاوات، والبايات والموظفون السامون كانوا يشتركون مع الأهالي في المهمة العلمية والخيرية[50] .

[49]- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، ط1، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص : 236

[50]– نفسه، ص277.

3-الزوايا:

لعل من أهم ما ميز تاريخ الجزائر الثقافي خلال العهد العثماني وبدرجة أقل خلال بداية الإحتلال الفرنسي هو الإنتشار الواسع للطرق الصوفية، وكثرة المباني المخصصة لها- الزوايا ونحوها – ففي المدن والأرياف وفي الجبال، والصحاري، عاش معظم المتصوفة يبثون تعاليمهم وعقائدهم، ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد الخاصة بالطرق الدينية التي يتبعونها، وإذا إشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركزا يستقبل فيهالزوار والأتباع الذين يرتفع عددهم، وتزداد لقاءاتهم وزياراتهم للمكان الذي يصبح يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان .[51]

سميت الزاوية لانزوائها بعيدا عن المدن، أو لأنها في زاوية المدينة، أو أنها موجودة في ركن مترو بها، حسب ما يعرفها محمد علي دبوز[52]. أما محمد نسيب، فيرى : أن الزاوية في الأصل هي ركن البناء كانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، وأطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى.[53] وسميت من قبل بدار الكرامة[54].

ويعرفها يحي بوعزيز أنها : " عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام تشتمل على بيوت للصلاة كالمساجد، وغرف لتحفيظ القرأنالكريم وتعليم العلوم الإسلامية، وأخرى لسكن الطلبة، وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية والعلف، وإيواء الحيونات التي تستعمل في أعمال الزاوية "[55].

ويصف أبو القاسم سعد الله شكل الزاوية أو بناءها مبينا الفرق بينها وبين المسجد قائلا: " إن بناء الزاوية يختلف عادة عن بناء المسجد، والمدرسة، فالزوايا غالبا ما جمعت بين هندسة المسجد

---

[51]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص262.

[52]- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحذيثة وثورتها المباركة، (دون بلد النشر:المقاونية، دون سنة النشر)، ج1، ط1، ص27.

[53]- محمد نسيب، زوايا العلم والقرأن بالجزائر، (الجزائر: دار الفكر، دون سنة النشر)، ص27.

[54]- سليمان بهلول، الدولة السليمانية والإمارات العلوية في المغرب الأوسط، 173-342هجري/789-954م، رسالة الماجستير، (جامعة وهران: قسم التاريخ وعلم الأثار، 199م-200م)، ص158.

[55]- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، (الجزائر: المطبوعات الجامعية، دون سنة النشر)، ص131.

والمترل، وفي الجملة هي قصيرة الحيطان، منخفضة القباب، قليلة النوافذ، شكلها يوحي بالغربة والتقشف[56].

لا ترتبط الزاوية بالمفهوم الديني فحسب كما هو شائعا لدى عامة الناس، بل كانت الزاوية مؤسسة كاملة فيها السكن، والطعام، والملجأ، والتعليم والعبادة، وكان البعض يعتبرها مدارس عليا لمواصلة التعليم الذي بدأه الفتيان في الكتاتيب.

وبالتالي، فإن وظائفها وأدوارها تتنوع ما بين الدينية التربوية، والتعليمية، والإجتماعية، وقد تتعدى ذلك إلى مهام سياسية أو جهادية.

أما الجانب الديني التربوي فيتمثل في عملية التربية والترقية التي يؤديها الشيخ المربي في الزاوية بتوجيه الأتباع إلى المرور عبر مختلف المراتب والمقامات بهدف الوصول إلى معرفة الله تعالى .

بينما تتمثل العملية التعليمية في تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مبادئ اللغة والدين كتدريس بعض فنون الوقت لاسيما الفقهيات، والعقائد، إضافة إلى قواعد النحو والصرف، وكذا فنون البلاغة والمنطق وبعض المبادئ في علوم الفلك[57]. ومن هنا تظهر أهمية الزاوية إذ أنها احتضنت اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وعملت على نشرها بشكل واسع ومكثف، فكانت شكلا من أشكال مقاومة الجهل والأمية. كما كان أغلبها بمثابة مخازن للكتب والمخطوطات.

كما تنوعت أدوارها الإجتماعية، عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية من خلال مبدأ المساواة والتعاون، وكانت ملجأ للهاربين، تطعم الطعام، وتبث في العديد من النزاعات الإجتماعية أو القبلية.

يختلف موظفو الزاوية عن موظفي الجامع في الكثير من الوجوه، فالمسؤول الرئيسي على الزاوية هو مؤسسها أو المرابط نفسه، وتحتاج كالجامع إلى منظفين، مؤذنين ومساعدين.

---

[56]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص270

[57]–محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص58

أما زوايا المدينة فكانت تحت إشراف مقيمين أو مديرين يعينهم وكلاء الأوقاف العامة والخاصة، وهم دعاة نسل المرابط، من أعلام الصلاح والخير[58].

عن إلتحاق الطالب بإحدى الزوايا: فإذا كان راشدا جاز له أن يطلب الإنتساب بنفسه ويطلق عليه "الإسكان" ويعني الإنتماء للزاوية والإنخراط فيها، أما إذا كان صغيرا صاحبه أبوه وأخوه، فيجتمع الطلبة بطلب من المقيم وبحضور الشيخ، ثم يدفع ولي التلميذ حق الإسكان والتسجيل، وذلك هو القبول والتسجيل. وخريجوا الزوايا أصناف فهناك من يواصل دراسته ويذهب الى الزيتونة والقرويين والأزهر، وهناك من يكتفي بما تعلم في الزاوية فيتولى الإمامة في زاوية أو قرية، وهناك من ينصرف للفلاحة أو التجارة أو العمل اليومي.

ورغم أهمية الزوايا إلا أنها ظهرت ضدها بعض الإنتقادات، فيحيى بوعزيز يذكر:"....لكن ما يعاب عليها أنها اتبعت أساليب عتيقة ومناهج مختلفة وتمسكت بتقاليد بالية، لم تكن تتماشى مع التطورات الحديثة وساعدت على انتشار الدروشة والخرفات والبدع الدينية بين أتباعها وشيوخها".

-نماذج عن الزوايا ببايلك الغرب:

فيما يتعلق بزوايا بايلك الغرب فإن الإحصائيات أثبتت أن عدد الزوايا والأضرحة كان يفوق بكثير ما كان عليه في بايلك الشرق، ومرجع ذلك لأسباب عديدة أهمها:

-إستمرارية حركة الجهاد في غرب الإيالة مقارنة بالإقليم الشرقي.

-قرب المنطقة الغربية من المغرب الأقصى مكان توفر عدد كبير من الزوايا والطرق الدينية.

-مرور حجاج المغرب الأقصى على المنطقة ذهابا وإيابا أثناء رحلتهم إلى الحج.

ففي تلمسان ونواحيها وجدت أكثر من ثلاثين زاوية خلال أواخر العهد العثماني، وعدد لنا أبو القاسم سعد الله عدد الزوايا بتلمسان:"زاوية سيدي بومدين، زاوية محمد السنوسي، أحمد الغومري، زاوية عين الحوت، سيدي الحلوي الأندلسي والزاوية الطيبية".

[58]- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص271-272.

أما فيما يتعلق بمعسكر فنسجل زاوية القيطنة التي هي تعد من أشهر الزوايا الريفية وكانت أصبحت محجة للزوار والطلبة[59].

أما مازونة فقد إشتهرت بزاوية سيدي بللوش، وتقع في أولاد سلامة على مرتفعات الظهرة، وزاوية سيدي غلام الله الواقعة على الجهة الشمالية لقرية حمري في وسط جبال الظهرة[60].

ولطالما إرتبطت هذه الزوايا بإحدى الطرق الصوفية بالجزائر فكل شيخ زاوية ينتمي إلى طريقة صوفية معينة، فمن أهم الطرق الصوفية ببايلك الغرب نذكر:

4-المدارس العلمية:

فالمدرسة لغة: هي من الألفاظ المولدة عند العرب، وهي في الأصل مأخوذة من العبرانية أو الأرامية، مدراس أومدرس، وجمعها مدارس، ثم خففت فأصبحت مدارس[61].

والمدرسة بنيان خيري فيه ما يشبه الدور والمساجد والربط، يقام بهدف التعليم .تتميز الدراسة بها عن الدراسة الكتابية والدراسة المسجدية بأنها مختصة في التعليم العالي، والإقتصار على التدريس والتعليم وعلى الاشتمال على الوعظ المشرب بالتعليم على طريقة المسائلة والمجاوبة مشافهة أو كتابة.[62]

ويرى أبي راس الناصري أن" المدرسة هي التي تبنى لدراسة العلم أي تعليمه وتعلمه "[63].

وجرت العادة أن تؤسس هذه المدارس بجوار المساجد نظرا للصلة الوثيقة بين الدين والعلم، ولكن هذا ليس شرطا، غير أن كل مدرسة لا بد أن يؤسس داخلها بيت للصلاة – مسجد-[64] .

---

[59]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص265-268.

[60]–جنان الطاهر، ، ص96.

[61]– ابن منظور، لسان العرب المحيط، قدم له : عبد الله العلايلي، اعداد وتصنيف :يوسف حباط، (بيروت : دارسنة العرب، بدون تاريخ النشر) ج6، ص78.

[62]– محمد منير سعد الدين، دراسات في تاريخ التربية عند السلمين، (بيروت دار بيروت المحروسة ص48.

[63]– ابي راس الناصري، عجائب الاسفار ولطائف الاخبار، تقديم وتحقيق : محمد غانم (الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2005، ص 188.

[64]– يحي بوعزيز، قضايا وموضوعات ... المرجع السابق ص 198.

وعلى ضوء ما سبق يمكننا تعريف المدرسة على أنها مؤسسة تعليمية جمعت بين المستوى الثانوي والعالي، وكانت مواد التدريس تتمحور حول مواد الشريعة والعقيدة، هذا ما يظهر في طريقة التعليم.

كانت طريقة التعليم في أواخر العهد العثماني تعتمد على أسس دينية وهي أن يتلقى الأطفال وهم في سن السادسة تلقين القراءة، والكتابة، ومبادئ الحساب، وذلك بعد أن يحفظ القرأن[65]

وهذا مايعرف _ بالتعليم الابتدائي_ الكتاتيب _ وقد سبق التطرق إليها .

- أما التعليم الثانوي فكان يخصص لدراسة اللغة، والأدب، الصرف، والميراث، والحساب والفقه بحيث يتمكن الدارسين من الإلمام بالعلوم اللسانية خاصة.

بينما كان لايصلإلى التعليم العاليإلا الطلبة المتفوقون، بحيث كان يبدأ التخصص في مختلف فروع العلوم الدينية من تفسير، وفقه، وحديثيتضح جليا أن العلوم التي كانت تدرس بالمدارس شملت العلوم الدينية، وعلوم اللغة والأدب، والعلوم الطبيعية والتجريبية كالفلك، الحساب، الطب والصيدلة العشبية، وغيرها[66]

أما النظام الداخلي للمدارس، فكان يتم فيه قبولالطلبة القاطنين بالمؤسسة وهم الغرباء عن المدينة، تجرى لهم منحة يتقاضونها ومواد غذائية ويلازمون الدروس، أما المتخصص في علم واحد أو المشاركين في عدة علوم يكونون مع الطلبة المداومين من أهل المدينة .أي" طائفة الطلبة الرسميين."

وحلقة الدروس مفتوحة لكل من يريد أن يكتسب معارف دون قصد إجازة للتدريس أو التوظيف.[67]

---

[65]– عبد المجيد مزيان، المرجع السابق ص 103.

[66]– صالح فركوس، الباي محمد الكبيروبعث الحركة الثقافية، مجلة الثقافة ع 71، (الجزائر .الشر كة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982)، ص18

[67]– يحى بوعزيز موضوعات وقضايا... المرجع السابق ص 198.

وفيما يخص أجور المعلمين لم يكن كل المدرسين والأساتذة ينتظرون من تعليمهم جزاءا ولا شكورا، فقد كان معظمهم _على عكس _ ذلك حريصين كل الحرص على تأمين قوتهم وكسب معاشهم سواء عن طريق الأوقاف أو عن طريق الأجور الشهرية التي يدفعهاالأهالي أو عن طريق الهدايا أو العطايا التي تجود بها أيدي المحسنين من وقت لآخر.[68]

وهناك وثائق الوقف تنص على تخصيص مبالغ للمعلمين، إذا كان الأمر يتعلق بمؤسسة التعليم كما تنص على توفير السكن لعدد من الطلبة الدارسين والطلبة العلماء الذين لا سكن لهم أو الذين كانوا فقراء، حيث أن الباي محمد الكبير قد قام بتخصيص رواتب شهرية أوقف عليهما الاوقاف، خصص مبالغ شهرية من ميزانية الولاية للمدرسينوالمسمعين والطلبة[69]. كما أن العبارة التي جاء بها ابن سحنون تدل على أن الباي قد حرر العلماء من ما كانت تجود بهالأوقاف حيث ذكر :" أنه رتب المدرسين في الجوامع بوظائف يأخذونها من الأحباسبعد أن كانالعلماء لا ينتفعون من ناحية المخزن إلا من كان متوليا لخطة او مستعملا في خدمة[70]."

- بعض النماذج عن مدارس بايلك الغرب

ا- مدارس معسكر :

- **المدرسة المحمدية:**

تنسب تسميتها إلى محمد بن عثمان الكبيرالذي بناها بجانب الجامع الأعظم تماشيا مع التقاليد الإسلامية، كما هو الحال بالنسبة لجامع الأزهر بمصر، والقرويين بالمغرب، وجامع ال

كانت المدرسة مجهزة بكافة الوسائل التعليمية والتثقيفية من مكتبة إلى قاعة المطالعة[71].

ورتب لكل بيت في المدرسة ما يكفي لشراء الزيت في كل شهر وكان لمقدم الطلبة بها

[68]- عبد المجيد مزيان المرجع السابق ص 41.

[69]- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق ج 1، ص326.

[70]- ابن سحنون، المصدر السابق، ص12.

[71]- جاكر لحسن، المرجع السابق، 30.

راتب معلوم.[72]..ووقف لها الأوقاف واصطفى لها أحسن المدرسين، من بينهم :محمد بن عبد الله الجيلالي، ومحمدبن زرفة الدحاوي، وطاهر بن حواء.[73]

كان هذه المدرسة تتوفر على نظام داخلي ونظام خارجي، ذلك انهاكانت تحتوي على مجموعة غرف صغيرة لمبيت الطلبة، وتتوفر على المرافق الأخرى الضرورية التي تساعد التلاميذ على الدراسة ومواصلة تعليمهم .ظلت المدرسة كمعهد علمي يضم الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين يسارعون إلى الإقبال على العلم بلهفشديد فكانت بحق مركز تربية وتعليم وإشعاع [74]، على حد تعبير ابنسحنون الذي قال عنها :" كاد العلم ان يتفجر من جوانبها"[75].

كان هدف المدرسة المحمدية هو تدريس العلوم الإسلامية، وتخريج الأئمة وموظفي البايليك والقضاة والمفتين. فلم تكن المواد المدروسة بها تقل عن المواد التي كانت تدرس بأشهر الجامعات الإسلامية، حيث يطغى على برامج التعليم بها الجانب الديني واللغوي، وبعض كتب التاريخ والسيرة، ويعود ذلك إلى تفكير العلماء الذي كان منصبا بالدرجة الأول على الفقه، التفسير، الحديث، والشعر.

- **معهد القيطنة :**

أسسه الشيخ مصطفى بن المختار´´ جد الأمير عبد القادر بقرية القيطنة التيتبعد عن مدينة معسكر بحوالي 20 كلم [76].ويذكر ذلكالمؤرخ أبي راس الناصري ــحيث زار المعهدــ مؤسسه وقال عنه :"....وقد ذهبت إلى القيطنة ذات يوم، ووقفت بباب الجامع، فإذا هو نوالة(*)كبيرة .بحرابها وعن يمينه بيت الشيخ المشرفي . رأيت مصطفى بن المختار أحد تلامذة الشيخ المذكور

[72]– ابن سحنون نفس المصدر، ص132.

[73]– ابوالقاسم سعد الله، نفس المرجع ص281.

[74]– صالح فركوس، المرجع السابق ص71.

[75]– ابن سحنون المصدر السابق ص127

[76]– جاكر لحسن، المرجع السابق، ص 30.

*نوالة تطلق على الكوخ .

يدرس في الأول من مختصر خليل (**)، ثم رجعت في ساعةفرأيت الشيخ يدرس الثاني، و لم يبال بي أحد من الطلبةوكأني نسيا منسيا.."[77].

لقد تخصص معهد القيطنة في تدريس الفقه المالكي، وعلم التوحيد، إلى جانب الحديث وعلوم اللغة العربية من نحو وبيان. . . حسب أبي راس الناصري في كتابه عجائب الاسفار ولطائف الاخبار".[78]

كان معهد القيطنة من أهم المؤسسات العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، بالنظر إلى مكانة مديره العلمية عبد القادر المشرفي الذي كان يعد من كبار علماء عصر[79].

مدرسة مازونة :

أسست خلال القرنين 12 هجري و18ميلادي في نفس سنة بناء مسجد مازونة من طرف عائلة سيدي هني من مالها الخاص، وهي مدرسة فقهية كانت متخصصة في العلوم الدينية، والفقهوأصوله . ضف إلى ذلك تفسير القرآن وعلومه، والحديث وغيرها[80]...أما حيث حجم هذه المدرسة، فقد كانت قاعة مدرستها تتسع ما بين 60 إلى 80 طالبا، [81]وكان يتم التدريس أن يقرؤون المتون ويحلون المشاكل ويطلبونالدروس من وقت طلوع الشمس أو قبلها، إلى قرب الزوال درسا واحدا، ومن بعد صلاة الظهر إلى المغرب سردا .[82]

تحتوي المدرسة على مكتبة تزخر بمخطوطات هامةونادرةلشيوخ أجلاء مثل: الشيخ خليل والشيخ الدسوقي، والشيخ والخرشي، وابن ماجه في الفقه، وصحيح البخاري ومسلم في الحديث

**المقصود به مختصر الشيخ خليل .

[77]– ابو راس الناصري، **فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته "حياةابي راس الذاتية والعلمية** " (الجزائر:المؤسسة الوطنية للكتاب 1990) ص49.

[78]– ابي راس الناصري، (**عجائب الاسفار**) المصدر السابق ص12.

[79]– جاكر لحسن، المرجع السابق، ص28.

[80]–moulay belhamissi.**mazounaune petite ville une langue histoire.**(alger / S.N.E.D.1982)p50

[81]–يحي بوعزيز، المساجد العتيقة ... المرجع السابق، ص201.

[82]– ناصر الدين سعيدوني، والمهدي بوعبدلي، **الجزائر في التاريخ**... المرجع السابق، ص202

النبوي .

تهتم المدرسة بتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم بعض العلوم الأخرى . لكنها إشتهرت ب تدريس الفقه المالكي منذ القرن 14م.

درس بهذه المدرسة الكثير من الشيوخ والأعلام نذكر منهم مؤسسها: الشيخ محمد بن شارف، وحفيدهالشيخ أبو طالب المازوني، والشيخ عبد الرحمن الصغير، والشيخ سي هني، وأبو راس المازوني".

لمكانتها الكبيرة والمرموقة، قام العثمانيون بتجديدها على عهد الشيخ المجاهد ابي طالب [*] (1797-1798م)خلال حكم الداي حسين باشا [83].ويذكر مولاي بلحميسي أنه:"على الرغم من أن مازونة فقدت أهيتها كونها عاصمةبايليك الغرب، إلا أن مدرستها إشتهرت بالفقهاء بالفقهاء واجتذبت إليها العديد من الطلبة.[84]

كما اشتهرت مدرسة مازونة بهجرة طلبة المغرب الأقصى إليها. وكان لإيجازاتها الفقهية إعتبار، حيث كان حاملوها يتولون وظائف القضاء على الخصوص في شرق بلاد المغرب.[85]

مدارس تلمسان:

إشتهرت تلمسان بوفرة المدارس والعلماء رغم تدهور وضعها السياسي أنذاك، فكانبها على الأقل 05 مدارس ثانوية وعالية ذكرها الكاتب المغربي الحسن الوازن في كتابه "وصف إفريقيا "، حيث أشاد بعناية أهل تلمسان بتشييد المدارس والإنفاق عليها من بينها مدرستين هما: مدرسة الجامع الكبير، ومدرسة أولاد الإمام . وجاء ذكرهما على لسان الورتلاني ــ رحلة الورتلاني ــ إذ ذكر أن مدارس تلمسان تدهورت خلال العهد العثماني، حيث تم الاستيلاءعلى أوقافها وعدم

[*] احد احفاد الشيخ سيدي هني، شارك على راس حوالي مائتين من طلبة العلم ضد الهجوم الاسباني على وهران

[83]-جنان الطاهر، المرجع السابق، ص93

[84]-moulay belhamissi .**histoire de mazouna « des origine a nos jours »** (alger :la societe national d'edition et diffusion ;1982) ،p 49

[85]-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص197.

مراعاةقواعد الشرع فيها.[86]أما في عهد الباي محمد الكبير، فقد تم تجديدهماوأعاد إليهما أوقافهما وهو ما ذكرهابن سحنون في كتابه : "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"[87].

كما وجدت في تلمسان مدرسة العباد المعروفة عند المؤرخين برباط العباد، والتي تعتبر من أشهر المدارس التي بنتها الدولة[88].

أما عن وهران فقد ظلت خلال فترة الإحتلال الإسباني تعاني العزلة والفراغ الثقافي لأن الإسبان عملوا على طمس معالمها العلمية والثقافية، لكنها إستعادت مكانتها الثقافية عندما اتخذها الباي عاصمةبايلك الغرب فشيد المدارس بها [89]. ومن هذه المدارس نذكر: مدرسة خنق النطاح حيث ذكر الزياني أن محمد الكبير بعد فتح وهران، بنى المدرسة العظيمة بخنق النطاح التي بها ضريحه وتعرف الآن بالمدرسة " [90]، وهو ما يؤكده الآغا المزاري حين يذكربأن الباي محمد بن عثمان بنى هذه المدرسة[91] .

5-المكتبات:

يمكننا اعتبار المكتبات معيار ومؤشرعلى مدى تطور الجانب الثقافي لأيةمنطقة، فالجزائر خلال العهد العثماني كانت في طليعة البلدان الكثيرة الكتب والمكتبات، وهي من المؤسسات التي لا يمكن للطالب أوللمدرسة الاستغناء عنها، فبدونها لا يتسنى للمساجد والمدارس القيام برسالتها التعليمية والثقافيةعلى أكمل وجه.[92]

أما الكتب والمؤلفات عموما، فكانت تنتج محليا عن طريق التأليف والنسخ، ومن بين المسؤولين الذين شجعوا حركةالنسخ الباي محمد الكبير الذي شجع الطلبة وكتابه الخصوصيين مثل

---

[86]- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق ج 1، ص274-280

[87]- ابن سحنون المصدرالسابق ص133.

[88]- عبد المجيد مزيان المرجع السابق، ص41.

[89]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص 18.

[90]- محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق ص203.

[91]- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص249.

[92]- صالح فركوس، المرجع السابق، ص24.

ابن سحنون على اختصار الكتب المطولة، ونسخ بعض الكتب الأخرى . وكان يجيزهم بسخاء كل حسب ما كانوا يقدمونه من عمل وجهد، إذ إستفاد ابن سحنون من 100 سلطاني مقابل اختصار كتاب الأغاني للأصفهاني.

كان التأليف من الطرق الهامة لنمو المكتبات، فلم نكاد نجد عالما الا وله قائمة من الكتبومن اشهر مؤلفي الفترة المدروسة آبي راس الناصري وغيره.[93]

كانت الكتب تجلب من الخارج كذلك لاسيما من الأندلس، ومصر، واسطنبول، والحجاز، وكان الحج والرحلة في طلب العلم وراء انتشار واقتناء الكتب خاصة من المغرب الأقصى وتونس.

ويمكنناتقسيم المكتبات إلى عامة وخاصة :

فالعامة هي تلك المكتبات الملحقة بالمساجد، والزوايا، والمدارس التي كانت مفتوحة للطبة خصوصا ومختلف القراء عموما، مثل المكتبة العامة بتلمسان التي يقال أنها تعود إلى القرن 17م.[94]

ومكتبة المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد الكبير في معسكر، كما كانت زاوية القيطنة تحتوي على كتب كبيرة وهي التي تثقف منها الأمير عبد القادر، ولاشك أن مدرسة مازونة كانت تضم مكتبة يستفيد منها الطلبة والأساتذة على حد سواء.

أما المكتبات الخاصة فهي الخاصة بالأفراد والعائلات أو الأسر، إذ كان لأبي راس الناصري مكتبةكبيرة حبسها عليه أحد بايات وهران وسماها مكتبة´´ المذاهب الأربعة´´، وذكر الورتلاني أنه كان لوالده خزانة كتب عظيمة .[95]، وكان للباي محمد الكبير مكتبة فخمة تحتوي على مختارات من شتى المخطوطات .وكان لا يكتفي بالمخطوطة الواحدة في خزانتة بل يأمر بنسخ عدة نسخ منها.[96]

---

[93]– ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص285.

[94]–نفسه، ص290.

[95]– نفسه، ص297-298.

[96]– ابن هطال التلمساني، المصدر السابق ص 26-27.

كانت الكتب تقل وتكثر تبعا لأهمية الوقف الذي تتغذى منه، وتبعا لأهمية الجامع وأمانة الوكيل وضخامة عدد السكان في المدينة.

ونظرا إلى السيادة العلوم الدينية والشرعية خلال هذه الفترة، فإن محتوى المكتبات كان أغلبه لا يخرج عن هذه العلوم، سواء كتب التفاسير، أو القراءات، أوكتب الحديث النبوي وشروحها.إلى جانبكتب الفقه، والأصول، والتوحيد، كما كان للعلوم اللغوية والعقلية الأخرى حظ في هذه المكتبات.

لم يكن مصير المكتبات دائما آمن، فقد ضاع أو تلف الكثير منها في الحروب، إضافة إلى عملية النهب والتهريب والإهمال، فالحروب أدت إلى بعثرة الكتب وسوء التصرف بالمكتبات مثلما عانت مكتبة أبي راس الناصري، ومكتبة ابن سحنون الراشدي.[97] ولا يمكننا إغفال ما قامت به جيوش الإحتلال الفرنسي في هذا الشأن.

مصادر تمويل المؤسسات الدينية والثقافية ببايلك الغرب:

كانت المؤسسات الدينية والثقافية تعتمد على مصدرين هامين لتمويلها هما:

- الإعانات التي يقدمها لها المحسنون من الأثرياء في شكل نقود وبضائع ومواد غذائية من حبوب، وزيوت، وحيوانات، وأدوات، وألبسة ومفروشات وغيرها...."

- أموال الوقف -الحبس- التي يوقفها عليها الأشخاص والهيئات الخيرية، والجماعات وبعض الولاة والأمراء. [98]

يعتبر الوقف من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية، وهو أساسا يعبر عن إرادة الخير في الإنسان المسلم، وعن إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الجزائري.

لقد تنوع الوقف من أراضي زراعية وحقول الأشحار المثمرة والغلال، كالزيوت، والتين، والخروب، والحيوانات، المحلات التجارية، والحمامات المعدنية بالأرياف، والغير المعدنية بالمدن[99].

---

[97]- ابو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ص 298

[98]- يحي بوعزيز موضوعات وقضايا... المرجع السابق ص208.

[99]- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص287

ويذكر ناصر الدين سعيدوني في كتابه دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية´´ أن الأوقاف ما لبث أن تزايدت أواخر العهد العثماني حيث أصبحت تشكل نسبة كبيرة منالممتلكات الزراعية والعقارية منذ اواخر القرن 18م... كمؤشر على مختلف أوجه الحياة[100].

يعتبر الوقف المورد الأساسي للمدارسالقرآنية والمعاهد والمساجد، فلم تكن تخلوا مدينة أوقرية من املاك ذات مردودية واضحة تصرف على هذه المؤسسات[101]. فالباي محمد الكبيرعندما أكمل بناء المسجد الذي يحمل اسمه أضاف إليه مدرسة وأوقف عليه أوقاف كثيرة .مما في منها:

- خزانة كتب، وحمام، وحدائق، ودور، وحوانيت، فكانت تكفيغلات أحباسه جميع وظائفه ولوازمه، كما كان له الفضل في تتبع أوقاف مدرستي تلمسان والتي استولت عليها الأيدي ونسيالناس انها اوقاف واعاد للمدرستين الاراضي التابعة لها كما جاء على لسان ابن سحنون[102]. كما أوقف على جامع عين البيضاء الذي بناه في معسكر وقفية سبق ذكرها في مبحث المساجد.:

وبهذا الوقف شجع الباي محمد الكبير على التعليم وطلب العلم بعدما كان العلماء والموظفون في المؤسسات التعليمية الدينبة لا يتقاضون أجرا هذا ما ذكره ابن سحنون قائلا : "...فاتسعت لذلك حال العلماء وانشرحت الصدور للقراءة وكثر طلبة العلم " [103].

أما الزاوية فكانت تنفرد بمصدر ثالث : هي أموال الزيارات، والولائم أوالوعادي (جمع وعدة)، التي يقدمها إليها زوارها من الإخوان والأتباع والموردين والمحبين على شكل نقود، بضائع ومواد غذاية متنوعةوألبسة تختلف كمياتما ومقاديرها وأنواعها حسب اختلاف اهمية الزائرين، ومصادر أموالهم وثرواتهم ومدى حبهم وتقديرهم للزاوية وشيخها، وكثيرا ما يخرج طلبة الزاوية وتلاميذتها والمشرفين عليها إلى الأقاليم البعيدة لجمع الأموال، الصدقات والزيارات.

---

[100]- ناصر الدين سعيدوني، **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية "فترة حديثة"**، (بيروت : دار الغربالإسلامي 2001)، الطبعة الاولى ص 234 / 235.

[101]- عبد المجيد مزيان، المصدر السابق، ص 133.

[102]- ابن سحنون المصدر السابق، ص133.

[103]- نفسه، ص135.

بفضل عدد الأموال تتولى الزوايا الإنفاق على الطلبة لحفظ القرآن الكريم والقائمين على خدمتها من وكلاء، مقدمين، مؤذنين، الأئمة والمشاييخ.[104]مثلا زاوية القيطنة كانت تطعم أعداد كبيرة من الزائرين تاويهم وتعلمهم، وكان الواقفون والمتصدقون على الزوايا من عامة الناس، ويعتقدون أن جزائهم يأتي بسرعة وذنوبهم تمحى في الحال.[105]

يفسر كثرة موارد الزاوية في العهد العثماني إلى انتشار الخرافة والجهل، فالناس كانوا يميلون بأوقافهم إلى الزاوية باعتقاداتهم نيل رضا الله ومغفرة الذنوب وازدياد في الاجر.

فضلا عن أن الحكام الأتراك رأوا في المؤسساتالدينية الإسلامية وما يرتبط بها من أوقاف عاملا قويايمكنهم من بسط نفوذهم وتدعيم مكانتهم لدى الأهالي، الأمر الذي دفعهم في كثير من الأحيان إلى وقف أملاكهم إظهارا للورع والتقوى وتقربا للمرابطين واكتساب تأييد رجال الدين.[106].

6-تعريف التعليم:

يعتبر التعليم الركيزة الأساسية الهامة التي تساهم في دفع عجلة الحركة الثقافية والفكرية نحجو التقدم والرقي في مجالات العلوم المختلفة، ويساهم هاما في نشر الثقافة بين أفراد المجتمع، فيرتقي سلوكاه أخلاقيا وحضاريا[107].

وهو الأساس الحقيقي لكل ثقافة أبسي تقدم في المجتمع الانساني.

ويقول ابن خلدون:" وقد ارتبط تطوره وانتشاره في المغرب الوسط بظهور المؤسسات الدينية والتعليمية خلال العهد الزياني" وظهر عدة علماء وفقهاء من بينهم نذكر: أبو زيد وأبو موسى[108]،

---

[104]- يحيى بوعزيز، موضوعات وقضايا... المرجع السابق ص280.

[105]- ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1 ص270.

[106]- ناصر الدين سعيدوني، (دراسات تاريخية في الملكية....)، المرجع السابق، ص233.

[107]- عيسى بن الذيب وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية خلال العصر الوسيط، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 2007- الجزائر:، ص158.

[108]- عبد القادر قرمان: المؤسسات الدينية والتعليمية بتلمسان خلال العهد العثماني، أعمال ملتقى دولي بتلمسان، منشورات وزارة الشؤون الدينية والوقاف بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011- ص103.

واحمد المقري الذي ولد بتلمسان[109]، وألف كتابا ولكن لم يتمه عن تاريخ تلمسان وأهلها وسماه" أبو نيسان في أنباء تلمسان"[110]. بالإضافة إلى عبد الله محمد التلمساني الذي كان يدرس بتلمسان وضم إليه طلبة البوادي[111].

مراحله:

مر التعليم العهد العثماني بثلاثة مراحل وهي:

التعليم الابتدائي: كان يتم هذا النوع من التعليم في غالب الأحيان، بالكتاتيب أو المدرس الابتدائية، ويتلقى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم ما بين سنة وأربعة عشر سنة تعليما محدودا ويتمثل في تلقيهم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ويتربى الأطفال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد، وهي تقوم بتحفيظ القرآن الكريم، الذي هو أساس الثقافة الإسلامية ويحفظون لسانهم من العجمة ويتوحدون في التفاهم والتخاطب، ويساهم في إعطاء الطفل رصيد من المعارف التي تساعده على شق طريقه بعد خروجه منها عندما يبلغ الرابع عشر[112].

كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتعليم الصبيان أداء فريضة الصلاة وتعليم الإناث يقتصر على حفظ القرآن والأحاديث النبوية، وكان التعليم على عاتق الأولياء والدولة لا تتدخل في شؤون التعليم فدورها يقتصر على المراقبة التي يقوم بها المحتسب في معرفة تعامل المعلمين مع الأطفال وسلوكهم معهم، والقاضي يتولى على السهر على تعليم اليتامى، وكان أسلوب المعلم وطريقته في التعليم وتحصيل الصبيان المبادئ الأولى من العلوم والصفات الواجب توفرها في المعلم وقدراته

---

[109]– – يتألف اسمها من كلمتين بربرتين تلم ومعناها تجمع وسان معناها اثنين ومعناها تجمع اثنين التل والصحراء ووقوعها في مكان ملائم فهي تقع في سفح جبل طراوة، وسميت في العصور القديمة ببوماريا الرومانية ثم أغادير وفي عصر المرابطين بتاجرارات إلا أن سميت بتلمسان، يحي بوعزيز: تلميان عاصمة المغرب الوسط، دار الغرب وهران، ص15– وسميت في العصور القديمة ببوماريا الرومانية ثم أغادير وفي عصر المرابطين، بتاجرارات إلا أن سميت بتلمسان.

[110]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر 1500– 1830– ج2– ط1– بيروت، دار الغرب 1998– ص212+– 213

[111]–أبي عبد الله محمد التلمساني، المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، الدار البيضاء وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الإسلامي، 2008– ص281– ينظر كذلك:

نصر الدين براهامي، تلمسان في الذاكر، ط2– الجزائر، منشورات تالة، 2010– ص48– 49–57.

[112]– عبد القادر قرمان، المرجع السابق، ص103–104.

العلمية، وقد استعمل المعلمون العقاب في حال قيام الأطفال بمخالفات بداء بالتنبيه ثم بالضرب كمرحلة أخيرة شريطة أن لاتكون هناك مبالغة في العقاب حتى لا تنجر من وراء ذلك انعكاسات سلبية[113].

التعليم الثانوي: تبدأ هذه المرحلة مباشرة بعد مرحلة الدرس بالكتاب وما يميزه هذه المرحلة عن سابقتها أن الطلبة تكون لهم الحرية في اختيار المواد التي يدرسونها وغير مقدين ببرنامج دراسي معين في حين ذاته نظرا لانعدام وصاية أو وساطة تفرض عليهم ذلك والطلبة يختارون ما يناسبهم حسب ميولهم وطاقتهم وإمكانياتهم الفكرية، يختارون أستاذهم الذين يرون فيهم الكفاءة العلمية وكان هؤلاء الأستاذة يحترمون ميول الطلبة واختيار المواد التي يدرسونها دور إيجابي على الكثير منهم فقد نبغ الكثير منهم في مختلف العلوم النقلية كانت أو عقلية[114].

التعليم العالي:

ويتولى التدريس فيها شيوخ ذو كفاءات علمية بارزة في مواد متلفة يتم تعيينهم في المؤسسات التعليمية بمدينة تلمسان بواسطة قرارات سلطانية، شريطة أن تتوفر فيها الأستاذة المعنيين مسبقا صفات معينة كانوا وافري العلم ملمين بالكتاب، ومتمكنون من السيطرة على مجالس العلمية بحسن حديثهم وخفة روحهم وسرعة بديهيتهم ويمتازون بالنزاهة العلمية وما يتطلب من صرامة إلى غيرها من الصفات التي طول المجال ذكرها، والراجع أن هؤلاء الأساتذة والنواب والمساعد هو الذي يتولى إعادة الدرس للطلبة بعد إلقاءه من طرف الشيخ، أما النائب فهو المدرس الذي يحل محله في حالة غيابه لنه عادة نما يكون الشيوخ مشتغلين بمهام أخرى مثل: القضاء والإجارة وهذا للتحصيل العلمي[115].

---

[113]- عيسى بن الذيب وآخرون، المرجع السابق، ص158- 159.

[114]- المرجع نفسه، ص161- 162.

[115]- المرجع نفسه، ص164.

وسائل التعليم:

المعلمون:

من الطبيعي أن يكون عمدة التعليم هو المعلم، فهو المثل الأعلى للتلميذ من الصبا إلى المراهقة، وهو ناشر العلم بين الناس بلسانه وكتابه وسلوكه وهو موجه التعليم، وكان المعلم ذو صنفين معلمو المدن يختارون مؤدب الصبيان وتختاره العائلة لتعليم أطفالهم وخاصة البنات، واستشارية في بعض المسائل الدينية، لذلك يختارونه من أهل التقى والصلاح والضمير الاجتماعي.

أما معلمو الأرياف فيشبه معلم المدن ولكنه يختلف في بعض التفاصيل فأهل الجوار يختارونه زيادةعن السابقة، فهم يستفتونه في شؤون الدين ويكتب لهم العقود، ويلجئون إليه عند الفتن والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية فهو محل تقديرهم وثقتهم[116].

أجور المعلمين: ليس كل المؤدين والمدرسين متصوفة لا ينتظرون من تعليمهم أجورا فهم حريصين على تأمين قوتهم وكسب معاشهم، سواء عن طريق الأوقاف أو عن طريق الأجور الشهرية، بالإضافة إلى كل المدرسين يتلقون مبالغ مالية في شكل هدايا أو عطايا في مناسبات معينة مثل شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى، وكانوا يتلقون في الحفلات حوالي مائة محبوب ويأخذ القاضي الحنفي والمفتي المالكي بينهم 50 صاغة شهريا[117].

التلاميذ:

التلميذ النابغ يكون قد ختم القرآن مرة أو عدة كمرات وتعلم القراءة والكتابة وأولويات الحساب وسكان الريف يرسلون أبنائهم للتعلم في المدينة وكل أسرة تتقدم أطفالها في تعليمهم تعتبر محفوظة وسعيدة وتعبر عن فرحتها بالاحتفال عند ختم القرآن كما هناك 50 مدرسة وكتاب في تلمسان تحتوي على 200 تلميذ[118].

---

[116]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1- ص321- 322- 323.

[117]- المرجع نفسه، ص327- 329.

[118]- المرجع نفسه، ص332- 336.

تعليم المرأة:

يشجع فقهاء الإسلام تعليم المرأة بحكم طلب العلم على الرجل والمرأة، لكن في الواقع العملي ظلت المرأة محرومة منه إلا في حالات نادرة بعد أن تصبح البنت في سن البلوغ تدرس مع الأطفال القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، وكان أهل تلمسان يسمحون لها بالتعلم، فتحفظ أهل الكتب التي يحفظها المتعلمون، وكان عددهن قليل وتتلقى نصيلا من التعليم في الكتاتيب مع الصبيان في سن معينة، ثم تتحمل مسؤولية البيت وتربية الأطفال وكانوا يدرسون في منازلهن وبرزت في هذا الميدان فاطمة بن العالم التاجر أبي زياد النجار وزوجة أبي عبد الله محمد بن مرزوق الجد الأكبر الخطيب، وبنت الفقيه سيدي بن سيدي بن الأكحل من خيار المثقفات ومنهن بنت الفقيه بن الحسن المديوني ألفت مجموعة من الدعية والأشعار من خلال مطالعتها لكتب الفن[119].

الكتب: من أهم وسائل التعليم الكتب والمكتبات، وكان الأساتذة يلجأون إلى توفير الإملاءات لطلابهم، فنتج من ذلك عدد من التقاليد والحواضر والشروح وهي جميعا تتحول إلى تأليف في مختلف الفروع فالتعليم كان باعثا على التأليف[120].

أهدافه ومصادر تمويله:

أولا: أهدافه:

كان معظم المتعلمين يتزودون علما واستكمالا لديهم وفهما لمبادئه وحدوده، فليس هناك أهداف سياسية واقتصادية يحملها المتعلم دون الجاهل، عندئذ فكان الجاهلون والمغامرون وخصوصا في ميدان السياسة هم الذين لهم الغلبة والكلمة الخيرة، وكان للمتعلم مدفوعا إلى العلم بدافع ذاتي، هو لذة وهواية، فالطالب يقدم على التعليم لرغبة ملحة وتضحية كبيرة لنه يجد فيها ذاته وميوله الشخصية وهناك مكن كانت تدفعه إلى طلب العلم تقاليد الأسرة، فإذا كان الوالد من العلماء فالغالب أن ابنه سيقلده وكانت بعض الأسر تتوارث العلوم إذا تخرج المتعلم غالبا يكون بدون عمل

[119]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2- الجزائر، موفم للنشر، 2007- ص355.

[120]- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1- ص338.

يناسب عمله وقد ينسى ما تعلمه وأفنى عليه فصلا طويلا من حياته، فغذا كان محفوظا نلال وظيفة الإمامة والخطابة في أحد الجوامع أو القضاء[121].

ثانيا: مصادر تمويله: تتمثل في:

الوقف: هو مؤسسة اجتماعية في غاية الأهمية دامت على تقديم خدمات جليلة للمجتمع خصوصا في التعليم وتنوعت هذه الثروات المحبسة التركات الأراضي والدكاكين، وله دور كبير في مساعدة الدول بالقيام بأعباء التعليم[122].

الهيبات والصدقات: كانت تقدم من طرف المحسنين سواء كانت عبارة عن بضائع كالأفرشة أو مواد غذائية كالمأكولات أو نقود ومجوهرات فمثلا الزوايا لها مورد مالي ويمثل أساسا في أموال الزيارات[123].

[121]– ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1– ص355– 356.

[122]– عبيد بوداوود، قراءة في أوقاف مدارس وزوايا تلمسان الزيانية، مجلة المواقف العدد3– منشورات المركز الجامعي مصطفى إسنطبولي، 2008– ص41.

[123]– صالح بن قربة وآخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954– الجزائر، ص157.

الفصل الثالث:

الطرق الصوفية في بايلك الغرب خلال القرنين 18م-19م

1 _ الطريقة القادرية :

2- الطريقة الدرقاوية

3- الطريقة التيجانية

4- طرق صوفية أخرى

لعل من أهم ما ميز الحياة الثقافية في الجزائر خلال الفترة المدروسة هو الانتشار الواسع للطرق الصوفية، وكثرة الزوايا .هذه الطرق التي كان لها من الأدوار السياسية، والدينية ما جعل سلطتها ونفوذها يطفوا على السطح، ويغلب على مختلف أحداث ووقائع الجزائر أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلالالفرنسي .

تناولنا في هذا الفصل أهم الطرق والتي تمتعت بنفوذ واسع إبان حقبة البحث، ورتبناها حسب التسلسل الزمني لظهورها.وهي كالتالي :

1 _ الطريقة القادرية :

تنتسب الطريقة القادرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني وهو أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني الجيلاني، أو الكيلاني، أو الجيلي المولود بجيلان سنة 470ه/ 471ه-1077م، وقد اشتهرت أسرته بالعلم والفضل والمكانة الروحية المميزة، فدرس علوم القرآن، والحديث، والفقه، وآداب الزهاد، والأداب وعلم البيان والبلاغة...[1].

إعتبر الشيخ الجيلاني من أكبر الزهاد المتصوفين، فذاع صيته في كل العالم الإسلامي، فكان فقيها وواعظا من رجال العلم والصلاح، وصفه ديبونوكوبولاني بالتالي: مال الشيخ عبد القادر لسلوك منازل السير إلى الله تعالى: وواصل مجاهدادته إلى أن تأهل للظهور بالمشيخة لتربية المريدين ودعوة الخلق إلى الله رب العالمين، وبذلك أصبح يعد عند المتصوفة ب: سلطان الأولياء، وقطب الأقطاب، وعضد الإسلام، والغوث...[2].

إشتغل في التدريس والإفتاء، كما استطاع الكيلاني وضع مجموعة تعاليم وجمع بعض الأتباع الذين انتسبوا له واعتبروه شيخهم وإمامهم بعد النبي عليه الصلاة والسلام[3].

توفي سنة 561ه- 1166م ودفن ببغداد، وقد ترك مجموعة مؤلفات أهمها: الفتح الرباني، الفيوضات الربانية، فتوح الغيب، لطائف الأنوار، الغنيمة لطالب طريق الحق...

---

[1]- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلانيوانتشار طريقته، بيروت :دار الكتب العلمية . 2009 .ص34.

[2]- de PONT ET COPPOLANI . Les confréries religieuses musulmanes ،Alger Adolophejourdan ، 1897-P 9.

[3]- إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهبالإسلامية. المغرب: منشورات، دار الآفاق الجديدة، 1993. صM 229.

تعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية، أشهر وأقدم الطرق الصوفية فهيبمثابة القاعدة لمختلف الطرق الصوفية اللاحقة لها، وعن ذلك يذكر أحمد **بوكاري:** اعتمدت القادرية كأول طريقة منظمة ومؤطرة للحياة الصوفية في محاولة لتوحيد عالم الإصلاح... فاعتبرت كأصل لكل الطرق الصوفية الإسلامية السنية التي وصلت في نظر البعض إلى أربعين طريقة"[4].

عملت القادرية على نصرة الإسلام وتجديد معالمه السنية، وكذا تدعيم التصوف السني المستمد من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وتكاد تجمع المصادر والمراجع على أن القادرية أقل تعصبا وأكثر تسامحا وتفتحا مقارنة بالطرق الصوفية الأخرى، ويبدو أن ذلك ما سهل عملية انتشارها في مختلف البلدان الإسلامية، إذ لعب أتباعها دورا كبيرا في نشر الإسلام في غرب إفريقيا. كان شيوخها يقولون: إذا سألت عن القادرية فهي: العلم والأخلاق، والصبر والإتقان، وإذا سألت عن الواجبات عند الطريقة فهي: ذكر الله، والصدق، والابتعاد عن شؤون الدنيا، وان تحب الناس وتخاف الله"[5].

وقد لخص لنا احميدة أعميراوي أسس القادرية في التالي[6]:

- مبادئها: العلم، الأخلاق، الصبر والإتقان.
- أهدافها: تصفية الروح، تنقية المجتمع الإسلامي من الشوائب.
- واجباتها: ذكر الله، : الصدق:، حب الناس، الابتعاد عن شؤون الدنيا، وخوف الله تعالى، إعلاء كلمة الحق بقوة الإيمان وبمعرفة الحقيقة الإلهية.

القادرية بالجزائر:

انتشرت القادرية في مختلف البلدان الإسلامية بما فيها الجزائر، ويعد الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي أول مؤسس لزاوية على الطريقة القادرية بالجزائر وذلك سنة 1200ه[7] وانتشرت بعد ذلك على يد الشيخ محي الدين ثم الشيخ لحول قدور، إذ امتد نفوذها إلى كل من: أرزيو، مستغانم،

[4]- احمد بوكاري، الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب، ج2- ص90.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج3 .ص:43-44.

[6]- راجع أحميدة اعميراوي، القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية، المصادر، العدد8- السنة 2003

[7]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي .المرجع السابق، ص43-44.

غليزان، معسكر، وسيق... ووصلت الجزائر وتلمسان وقسنطينة وبجاية. كما برز لهذه الطريقة بالجزائر عدد من الزعماء والأتباع الذين ربطوا بين الدين والعلم، وبين الشريعة والحقيقة من أمثال الأمير عبد القادر.

الأذكار والأوراد القادرية:

إلى جانب تعاليم الطريقة القادرية وتوجهاتها العامة، كان على أتباعها الالتزام بالورد والذي يلخصه سعد الله في: ذكر الله وحده، والإكثار من الصلوات ويذكر أن بعضهم أضاف استغفر الله، أو اللهم صلي على محمد النبي الأمي، كما يقرأ أتباع القادرية المقربين أثناء الحضرة: الفاتحة بعد الصلوات الخمس، ويصلون على النبي وآله عدد 121 مرة في شكل جماعي، ويذكرون عبارة سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر121 مرة، أيضا:، ويقرأون سورة ياسين، وبعض الأدعية والقراءات[8].

أما ديبونوكوبولاني فيجعلان الورد القادري في قسمين[9]:

الورد الكبير أو ذكر الوقت: وهو ما يذكره المتقدمين من الأتباع في العلم والمعرفة بعد الصلوات المفروضة ويتمثل في التالي:

100 مرة استغفر الله.

100 مرة سبحان الله.

100 مرة اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

500 مرة لا إله إلا الله.

الورد الصغير أو الذكر البسيط: ويقدم للفقراء (الأتباع) ويتمثل في:

165 مرة لا إله إلا الله بعد كل الصلوات المفروضة.

[8]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق .ج4- ص43.

[9]-de PONT ET COPPOLANI . Op.Cit, P 295- 296.

هذا إضافة إلى دعاء القنوت: اللهم إنا نستعينكونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك، ونخضع لك ونترك من يكفر بك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونجهد، نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد، إن عذابك بالكافرين ملحق".

ويخالف عبد الباقي مفتاح حينما يتحدث عن أوراد القادرية ما سبقت الإشارة إليه، ويذكره بنوع من التفصيل والتدقيق، ويعرفه كالتالي الورد العام اللازم للقادرية يقدم لكل منخرط وهو ذكر كل يوم بعد صلاة الصبح وصلاة العصر، ويذكر جماعة بعد صلاة الجمعة ما يلي[10]:

- اللهم صلي على سيدنا محمد عبد ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم 10 مرات.
- بسم الله الرحمن الرحيم 100 مرة ثم فاتحة الكتاب.
- الصلاة والسلام عليك يا سيدنا حبيب الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا نبي الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا سيدنا يا خير خلق الله.

ـ لا إله إلا الله مرة واحدة، لا إله إلا الله (200 مرة)، الله (100 مرة).

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (مرة واحدة).
- وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم". (مرة واحدة)[11].
- استغفر الله الغفور الرحيم الذي لا إله إلا الله هو الحي القيوم وأتوب إليه (100 مرة).
- أشهد أن الله لا إله إلا الله وان محمدا رسوله (03 مرات).

هذا إضافة إلى الدعاء ويختم بـــ: اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأراضي عليه، وأجر يا رب لطفك الخفي في أمورنا (03 مرات) ثم سورة الإخلاص (10 مرات) والمعوذتين ثم الدعاء والفاتحة، وأخيرا أجزي الله عنا سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وما هو أهله (03 مرات)[12].

---

[10]- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته بيروت :دار الكتب العلمية، 2009- ص308-309.

[11]- سورة المزمل، الآية20.

[12]- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ التجاني، ...، المرجع السابق، ص: 309.

رغم طول هذا الورد وكثرته إلا أن الأتباع ملزمون به، يرددونه في أوقاته، ولو بعد انصرافهم من الصلاة، يرددونه وهم في البيت، أو السوق، أو أثناء العمل، كما تجدر الإشارة إلى أن بعض الأتباع الجدد أو الأميين قد يقتصرون على بعضه فقط، أو قد يرخس الشيخ أو المقدم لبعضهم بنصيب منه فحسب"[13].

يذكر عبد الحكيم مرتاض حينما يتحدث عن أصول وتطور الطرق الصوفية في الجزائر بما يخالف ما أشرنا إليه سابقا وذلك بخصوص وضعها قبل القرن 18م، ويقول: لم يثبت أي باحث وجود زاوية لها شيخ، وأتباع في هذا البلد منظمين تنظيما مطابقا لخصائص الطرق أما أفدان أتباعها فيغلب على الظن انهم انخرطوا فيها في رحلاتهم المشرقية، ويتساءل هل يعقل أن تنتشر طريقة عالمية كالقادرية في بلد كالجزائر، ثم تمضي القرون ولا يسجل شيء عن نشاطها ومناقب شيوخها ومواقع زواياها؟ كما أننا نتفق معه في هذا السياق ونستغرب شح الكتابات المتعلقة بوجودها كطريقة منظمة لها زوايا وشيوخ قبل ذلك، كما يجب الإشارة إلى أن سعد الله ذكر وجودها بالجزائر منذ القرن 14م، واستند في ذلك إلى ورود ذكرها حسن ابن باديس (ت787- 1385م) في سينتيه[14].

أما بخصوص مشيخة القادرية الأولى بالجزائر فترجع للشيخ مصطفى بن مختار الغريسي كأول مؤسس لزاوية قادرية حسب العديد من المؤلفات والأبحاث[15]. بينما ذكر الهاشمي بن بكار أن أول شيخ للقادرية في الجزائر هو عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن احمد المختار بن محمد من الأشراف الأدارسة اشتهر بسيدي قادة وهو الجد الثالث للأمير عبد القادر"[16].كما أنه قد أسس زاوية واختص بتلقين الورد القادري وهو ما يذهب إليه عبد الحكيم مرتاض، قائلا: إن زاويته قد درست جميع الزوايا الموجودة يومئذ بهذا القطر"[17]. ويعزز الشيخ مصطفى بن المختار ذلك حينما

---

[13]- هذا ما لاحظناه والتمسناه خلال زياراتنا بعض الزوايا وحضورنا مع أتباعها الذكر وحلقات الورد، فقد يختصر الورد ويجزأ لانشغالات الحياة أو لمانع شرعي آخر.

[14]- عبد الحكيم مرتاض، الطرق الصوفية في الجزائر، أصولها وتطورها حتى 1931- رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، ص210.

[15]- راجع: سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.

[16]- الهاشمي بن بكار، مجموع الحسب والنسب، ... ص336-338.

[17]- عبد الحكيم مرتاض، المرجع السابق، ص :211.

يذكر انسيدي قادة أخذ الطريقة عن الشيخ عبد القادر الجيلاني يقظة لا مناما... حسبما وقفت عليه بخطه في بيان سلسلته في الطريقة القادرية"[18]. وإن كان ذلك صحيحا فإن عبارة يقظة لا مناما تدل على أن سيدي قادة كان أول شيخ للقادرية بالجزائر، إذ لم يأخذ عن شيخ من الجزائر بل أخذها مباشرة من مؤسسها.

الطريقة القادرية وثورة الأمير عبد القادر:

من خلال ما وقع تحت أيدينا من مراجع، تمكنا من تسجيل فكرتين حول هذا الموضوع إذ في الوقت الذي تحاول فيه بعض الدراسات الربط ما بين القادرية كطريقة وثورة الأمير عبد القادر، نجد مؤلفات وأبحاث أخرى تنفي وجود هذه العلاقة ويتضح لنا ذلك من خلال الآتي:

تذكر لطيفة الأخضر محاولة الربط بين الطريقة القادرية وثورة الأمير عبد القادر ما يلي:"... إن الطريقة القادرية قد اصطفت وراء حركة الأمير عبد القادر فيما بين 1830-1847".[19] وتعزز رأيها هذا بما ذكره احمد نذير إذ يقول: إن المناطق الغربية من الجزائر كانت تحت سيطرة الطريقة القادرية، هذه الأخيرة التي كانت على ارتباط وثيق بالسلطة العثمانية، واعتبرت سقوط حكومة الأتراك بالجزائر تحت السلطة الفرنسية مسا من سيادتها"[20].

تضيف لطيفة الأخضر معلقة، لذلك ظهرت فيها أي المناطق الغربية المقاومة، عكس المناطق الأخرى التي ظهرت فيها المقاومة متأخرة، عندما تطاولت يد الاستعمار عليها، فنهضت حينذاك للدفاع عن سيادتها المهددة"[21].

وعليه يمكننا ملاحظة ما يلي:

- هناك مناطق ظهرت فيها المقاومة الشعبية الجزائرية قبل ثورة الأمير عبد القادر، كمقاومة احمد باي في الشرق مثلا:

---

[18]- الهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص :338.

[19]- لطيفة الأخضر، الاسلام الطرقي، تونس، دار سراس للنشر، 1993- ص79.

[20] -Nadir Ahmed ،Les ardres religieux et la conquéte française 1830-1851- Revue Algérienne de sciences juridiques et politiques. 1972- 4 ème trimestre P 824.

[21]- لطيفة الأخضر، المرجع السابق، ص80.

- مقاومة الأمير عبد القادر كانت ابتداء من سنة 1832- وهي تذكر أن حركة الأمير كانت ما بين 1830-1847.

- كلام احمد نذير ليس إلا رأيه الخاص أو تفسيره الشخصي، لكنه لا يدل صراحة ولا يؤكد على أن الأمير قاوم تحت راية الطريقة القادرية، وإلا لشارك معه أتباع الطريقة فقط، دون غيرهم وهو الأمر الذي نستبعده.

- ضف إلى ذلك أن الطريقة القادرية لم تكن على وفاق دائما مع السلطة العثمانية وبخاصة، في أواخر عهدها، وفي هذا الصدد نشير إلى منع الأتراك الأمير ووالده من أداء مناسك الحج، كما أن المؤلفة تذكر ذلك مقارنة مع الطريقة الرحمانية باعتبار مقاومتها متأخرة لأنها لم تتبع سلطة الأتراك.

يؤكد هنري قارو رأي لطيفة الأخضر، فيربط بين الطريقة القادرية وثورة الأمير عبد القادر، إذ يذهب إلى أن الأمير عبد القادر حمل السلاح باسم القادرية[22].

من خلال ما سبق ذكره يبدوا أن بعض الدراسات الأجنبية_ غير الجزائرية_ سعت لربط ثورة الأمير عبد القادر بالطريقة القادرية، عن قصد أو عن غير قصد، مدعية أنه الأمير إنما كان يحارب باسم القادرية (الطريقة الصوفية)، وأنه كانت له طموحا سياسية، إلا أنه في هذه الحالة سوف لن يشارك في ثورته إلا من كان قادري الطريقة، أو على الأقل متعاطفا معها، بينما تنسحب من الثورة باقي الطرق الصوفية وأتباعها، وهو ما لم يحدث فالأمير من خلال ثورته ومشروعه في بناء الدولة، قدم إليه الكثير من رجالات العلم والدين، ووظفهم في المناصب الإدارية والعسكرية لكفاءتهم بغض النظر عن انتمائهم الطرقي كأحمد الطيب بن سالم مثلا أحد أتباع الرحمانية[23].

في المقابل هناك العديد من الدراسات التي تفصل ما بين الطريقة القادرية وثورة الأمير عبد القادر وتنفي وجود علاقة مباشرة بينهما، فسعد الله مثلا يذكر في هذا السياق أنه قد حاول البعض أن ينسب المقاومة على عهد الأمير عبد القادر إلى الحاج محي الدين (والد الأمير) .ويرى أن ذلك قد لعب دورا في تجمع المقاومة حول شخصه باعتباره زعيما روحيا محترما في المنطقة... ولكن

[22]- هنري قارو، الحركة الإسلامية، جمعية جغرافية الجزائر وشمال إفريقيا، 1906- ص162.

[23]- راجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.

مبايعة ابنه (الأمير) والتفاف الجماهير من حوله، مهما كانت عقيدتهم الصوفية جعل القضية تخرج عن نطاق الطريقة إلى النطاق الوطني"[24].

ويفسر ذلك قائلا: ورغم أننا قلنا أن الأمير عبد القادر كان يعتبر رجل دولة وليس شيخ طريقة، ورمزا وطنيا وليس درويشا صوفيا، فإن ظروف الخريطة الدينية للجزائر عندئذ جعلت المعاصرين ينظرون إلى زعامته على أنها زعامة للطريقة التي كان والده شيخا لها"[25].

يرى سعد الله بأنه رغم استمرار نشاط الطريقة القادرية إلى جانب مقاومة الأمير، وبالرغم من دعم والده (شيخ الطريقة) له، ورغم تعيين محمد السعيد لرئاسة الطريقة بعد وفاة والده، ورغم استشهاد احمد بن محمد السعيد عند أسوار وهران سنة 1832 إلا انه لا توجد علاقة بين الطريقة القادرية ومقاومة الأمير عبد القادر، ذلك أن معظم الطرق الصوفية من درقاوية ورحمانية وشيخية...قد شارك أتباعها في الجهاد ومقاومة الاستعمار الفرنسي سواء خلال مقلومة الأمير، أو بعدها.

الفكرة نفسها يعززها احميدة عميراوي حينما يتحدث عن نشأة الطريقة القادرية وأصول تواجدها في الجزائر فيذكر سلسلة شيوخها كالتالي[26]:

الشيخ عبد القادر الجيلاني.

أبو مدين شعيب.

محي الدين بن عربي.

عبد السلام بن مشيش.

أبو الحسن الشاذلي.

الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي (جد الأمير).

الشيخ محي الدين (والد الأمير).

---

[24]-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي . المرجع السابق .ص141.

[25]- نفسه، ص :44.

[26]- عميراوي احميد، المرجع السابق، ص182.

خلفه ابنه محمد السعيد في رئاسة الزاوية بالقيطنة.

خلفه ابنه عبد القادر في حركة الجهاد والمقاومة.وبذلك يفصل اعميراوي بين الزاوية أو الطريقة القادرية التي اهتمت بالتربية والتعليم وكانت برئاسة الشيخ محمد السعيد، وبين الثورة التي قاومت وجاهدت الاستعمار الفرنسي وكانت بزعامة الأمير عبد القادر.

يؤكد عبد الباقي مفتاح هذا الاتجاه فبعدما يذكر زاوية القيطنة ومكانتها التاريخية المميزة لارتباطها بالأمير المجاهد الشهير الصوفي العارف...يقول: وقد سافر الأمير مع والده إلى الحج سنة 1826م. وزار زاوية الشيخ عبد القادر في بغداد، وأخذ كل منهما الإجازة بالطريقة القادرية عن الشيخ محمود القادري... وفي 1832م، إثر غزو الجيوش الفرنسية للجزائر بايعه رجال وطنه على القيام بأمر الجهاد..."[27]. ثم ينتقل للحديث عن تصوفه فيذكر: وقد اكمل الأمير سلوكه الصوفي سنة 1279ه/ 1863م عند الشيخ محمد الفاسي"[28].

يربط الكاتب بين الأمير والقادرية قبل الثورة والمقاومة، ثم يربط بين الأمير وبين التصوف بعد انتهاء المقاومة مشيرا إلى أخذه الطريقة الدرقاوية الشاذلية على الشيخ محمد الفاسي [29].لكنه لا يشير لأية علاقة بين القادرية وبين جهاد الأمير، إلا أنه في يذكر في سياق آخر ما يلي:" ولما توفي الشيخ محي الدين بن مصطفى عام 1833م ورث ابنه الأمير وأبناؤه الآخرون زعامة الطريقة القادرية، وتولى الأمير قيادة الجهاد وتأسيس الدولة، وتولى أخوه الأكبر الشيخ محمد السعيد مشيخة الزاوية وإمامة الطريقة، وبقيت المشيخة القادرية في ذريتهم، وبعض فروعهم في الشام والجزائر إلا يومنا هذا"[30].

---

[27]– عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني ...، المرجع السابق، ص :292.

[28]– نفسه.

[29]– أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي .

ويذكر العربي بن عبد الله في الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز، تحقيق: مخلوفي ميلود المحفوظي طبع الجزائر المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2012– في صفحة 133– كانت طريقته (الأمير) قادرية كأسلافه ثم صار شاذليادرقاويا فأخذها على يد القطب سيدي محمد الفاسي، ويشهد لذلك قصيدته والتي مطلعها:

أمسعود جاء السعد والخير واليسر ووولت جيوش النحس ليس كر

[30]– عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر ..المرجع السابق، ص294.

يصف عبد الباقي مفتاح : عبد القادر بالأمير ويربط ذلك بالحكم والسلطة والإدارة... ويصف محمد السعيد بالشيخ ويربط ذلك بالدين. والإمامة والتربية... بالرغم من قوله: ورث ابنه الأمير وأبناؤه الآخرون زعامة الطريقة القادرية... ومرجع ذلك قد يكون لشهرة الأمير التي جعلته في الواجهة ينسب إليه كل عمل محمود أو فعل مشهور أم أن المؤلف، وهو طرقي يرى أن الطريقة علم وجهاد وأنه كلا الآخوين محمد السعيد والأمير مثلها بشكل معين، أي أن الجهاد والمقاومة من أدوار الطريقة (الدور السياسي التحرري الجهادي).

وعليه يمكننا القول بأن ربط ثورة الأمير بالطريقة القادرية فيه نوع من التقزيم لشخص الأمير ولثورته ذات الطابع السياسي الوطني، ونعتقد أن المخيال الشعبي والموروث الصوفي الذي كان يجعل من مختلف القبائل أو المناطق مرتبطة بزاوية أو طريقة، أو شيخ أو ولي، إضافة إلى النفوذ الروحي والسلطة الاجتماعية التي كانت تمثلها الطرق الدينية وزواياها، هو ما جعل البعض يربط بين ثورة الأمير والطريقة القادرية.

وفيما يلي جدول يتضمن بعض المؤلفات التي تؤكد أو تنفي علاقة ثورة الأمير بالطريقة القادرية من إعدادنا، عنوناه ب: الطريقة القادرية وثورة الأمير عبد القادر بين الوصل والفصل:

الكاتب	الكتاب/ المقال	الملاحظة
لطيفة الأخضر	الإسلام الطرقي	الربط
هنري قارو	الحركة الإسلامية	
عميراوي أحميدة	القادرية وموقفها من السياسة الفرنسية	الفصل
عبد الباقي مفتاح	أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني ...	
أبو القاسم سعد الله	تاريخ الجزائر الثقافي	
Octave depont coppolani xavier	Les confreries religieuses musulmanes	لا ربط ولا فصل بين القادرية وثورة الأمير عبد القادر
Général P.J André	Confreries religieuses musulmanes	
Jacques Carret	Le maraboutisme et les confriries musulmanes	
مؤسسة الأمير عبد القادر	ملتقى الحياة الروحية للأمير	

وبالتالي، فإن دور الطريقة القادرية على ما يبدوا بقي العمل الديني التربوي الذي مثلته زواياها وأتباعها بخاصة في بايلك الغرب، كما لايمكننا أن نغفل دعمها ولو معنويا وعاطفيا لمقاومة الأمير باعتبارها مقاومة الفرنسي الكافر.

2 _الطريقة الدرقاوية:

تجمع المصادر على أن الدرقاوية طريقة صوفية مغربية متفرعة عن الشاذلية، وأول من دعا إلى مذهب الدرقاوية هو الشريف إدريس ويدعى علي بن عبد الرحمن الجمل أو الجمال[31]، وهو من أشهر الفقهاء الصالحين العارفين الذين عملوا حسب تعاليم القرآن الكريم. كان الجمال من المتصوفة العارفين الذين أحاطهم الناس بالسمعة والقداسة[32]. زاويته في فاس، ومن أشهر تلامذته مولاي العربي الدرقاوي.

إعتبر مولاي العربي الدرقاوي هذا مؤسس الطريقة الدرقاوية ومنظمها إلا أنها تنتسب إلى احد أسلافه وهو أبو عبد الله محمد بن يوسف الملقب بأبي درقة[33] الذي كان من العلماء العارفين الزاهدين المشهورين.

أما مولاي العربي الدرقاوي، فقد نظم الطريقة ووضع أسسها على قواعد صحيحة وأكمل نشر تعاليمها وهو بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف الشريف الإدريسي من بني زروال المراكشيين، ولد سنة 1150ه – 1737م من أسرة شريفة بقبيلة بني زروال التي نشا بها، إهتم بالقراءة، فحفظ القرآن وأتقنه ثم اشتغل بقراءة العلم وتتلمذ على الشيخ الجمال فأخذ عنه علم الباطن وتلقى عنه الورد العام. ثم الورد الخاص بعد أن إختبره.

في بني زروال أسس الدرقاوي زاويته، واهتم بالإرشاد والتربية، فكثر أتباعه ومريدوه وزاد عدد طلاب العلم عليه، امتاز العربي الدرقاوي بأخلاقه الفاضلة ومخالفة النفس والهوى، واستطاع الجمع بين الشريعة والحقيقة وبين العلم والتربية، فعد من أكابر الشيوخ الذين أعطوا للشاذلية دفعا قويا

---

[31]– هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن الجمل الفاسي، : أحد الفقهاء البارزين كان في خدمة المخزن ثم سافر إلى تونس أين درس على فاس درس التصوف وانضم لطريقة أبي المحامد سيدي العربي بن احمد بن عبد الله بن معن الأندلسي.

[32] –Rinn ،Louis ،Marabouts et Khauans Alger Adolphe jourdan 1884.

[33]– الدرقة هي الترس من الجلود، ولقب بذلك للدرقة الكبيرة التي كان يحملها ليحتمي بها في الحروب.

وجديدا، إذ يصفه عبد الباقي مفتاح بالمجدد الأكبر للتصوف عموما وللشاذلية خصوصا خلال القرن الثالث عشر الهجري[34].

توفي العربي الدرقاوي سنة 1239ه-1823م ودفن بزاويته في جبل بوريج بعد أن نشر مبادئ وتعاليم الطريقة وخلف عددا كبيرا من الأتباع والمريدين.

تعاليم الدرقاوية وأورادها:

تعد تعاليم الدرقاوية مجموعة الوصايا التي كان يوصي بها مولاي العربي الدرقاوي أتباعه والتي يمكننا استخلاصها من رسائله[35] وتتمثل في التالي:

- ذكر الله عن طريق التمايل.
- الامتناع عن الكذب.
- تجنب أصحاب السلطة والحكم.
- الإكثار من التعبد ليلا ونهارا.
- كبح الشهوات والصبر على الجوع.
- الابتعاد عن الأمور الدنيوية.
- التشدد في التقشف.
- لبس الرث من الثياب.

رغم تشابه بعض هذه التعاليم مع طرق صوفية أخرى، إلا أنها مجتمعة تعبر عن خصوصية الطريقة الدرقاوية والمتمثلة في صرامة الممارسات والتشدد في التقشف. وفي هذا السياق يذكر

---

[34]- عبد الباقي مفتاح، كيفية التربية في الطريقة الدرقاوية الشاذلية، مقال غير مطبوع بالمكتبة البلدية مصطفى بن تهامي بمعسكر، ص01.

[35]- جمعت دار الرشاد الحديثة بالمغرب رسائل مولاي العربي الدرقاوي المعروفة بشور الهدية في مذهب الصوفية وهي رسائل الشيخ إلى من انتفع بصحبته ودخل تحت لوائه وفي حضرته: تبين تعاليم الطريقة وأساسها، وقد جاء في الصفحة 08 منها أنها جمعت من الأحاديث والآثار، ومن المواعظ وآيات الاعتبار ما تشهد بسببه العقول وتجتمع الأنظار... وكل رسالة منها تغني صاحبها الفتى الأكبر، وتبلغه غاية الأمل والوطر... طبعت في 2004 ونملك نسخة مصورة منها على الطباعة الحجرية زودنا بها الحاج جلول الجيلالي من ولاية معسكر.

إسماعيل العربي أنه رغم محافظة الدرقاوية على أذكار وأوراد الشاذلية إلا أنها جددت هاته الأخيرة عن طريق الممارسات الصارمة والانضباط المثالي، فهي أساسا حركة تهدف إلى تجديد الشاذلية بالتشدد في التقشف والابتعاد عن الشؤون الدنيوية[36]. ويعزز ذلك احمد بوكاري في مؤلفه الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب[37]

أما أوراد الطريقة الدرقاوية فتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

- **الورد اللازم:** وهو الورد الذي يلازم المريد ولا يفارقه من حيث الأوقات إذ تحدد له فترات زمنية معينة في اليوم، إذ تحدد له فترات زمنية معينة في اليوم، وهو قراءة مرة في الصباح وأخرى في الليل ما يلي: الاستغفار، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، وقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كل ذلك مائة مرة، ثم قراءة سورة الإخلاص ثلاثا والفاتحة وتلاوة جزء من القرآن والدعاء...

- **أوراد غير لازمة:** وهي الغير ملازمة للمريد، لا تقدم إلا لمن طبها لتدعيم الورد اللازم أي أنها ليست مفروضة على المريد، غير محددة بأوقات معينة كالأحزاب الشاذلية[38]. والصلاة المشيشية[39]، وأسماء الله الحسنى ومجموعة أدعية أكثرها من أذكار الرسول صلى الله عليه وسلم.

- **الورد الدائم:** وهو الذي يلتزم به المريد في جميع الأحوال النفسية (حالات المرض، العمل، السفر...) ويتمثل هذا الورد في قول: لا إله إلا الله التي يتدرج ذاكرها من توحيد الأفعال في علم اليقين إلى توحيد الذات في حق اليقين.

برزت الطريقة الدرقاوية من خلال بعض مريديها وأتباعها في الجزائر وبخاصة المنطقة الغربية من الإيالة الذين عملوا على نشر تعاليمها وتقديم أذكارها وأورادها عن طريق عدد من الزوايا التي

---

[36]- إسماعيل العربي، المرجع السابق .ص :169.

[37]- احمد بوكاري، مؤلف الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 2006- في ثلاثة أجزاء يتوقف عند مظاهر التجديد الصوفي عند الطرقية، ويجعل عنوان فرعي للجزء الأول الدرقاوية والإحياء الصوفي الشاذلي.

[38]- أنظر الملحق .

[39]- أنظر الملحق .

أسسوها، ولعل في مقدمتهم عبد القادر بن الشريف الدرقاوي[40]. مقدم الطريقة الدرقاوية بالمنطقة والذي تزعم أكبر ثورة ضد الحكم العثماني.

_ثورة درقاوة في بايلك الغرب:

إستهل القرن التاسع عشر الميلادي، باندلاع أكبر ثورة شهدتها الإيالة الجزائرية في أواخر العهد العثماني، هذه الثورة التي قادتها الطريقة الدرقاوية، أو أتباع الشيخ مولاي العربي الدرقاوي بزعامة مقدمه عبد القادر بن الشريف، الذي أسس زاوية في أولاد بليل لاستقبال الأتباع وتلقين الأذكار والأوراد وتعليم مبادئ الدرقاوية، فكثر أتباعه خاصة من القبائل الصحراوية، وزاد احترامهم له وتقديرهم، فتوالت عليه الهدايا والهبات، والعطايا والزيارات، وكثيرا ما كانوا يشتكون إليه مظالم وجور الأتراك فكان يعدهم بالفرج القريب[41].

إستطاع ابن الشريف أن يجمع حوله قبائل الصحراء من بلاد الأحرار بهدف التحضير للثورة ضد الأتراك خاصة وأنه أغراهم بما كان يظهر لهم من شعوذة، ويعدهم به من نصر قريب.فأخذوا عنه الورد وبايعوه، فاتجه بهم نحو البطحاء رافعا راية الحرب ضد الأتراك محللا دمائهم وأموالهم. وفي هذا السياق يذكر الشقراني:"... فقد نظرنا بالاستقراء، فوجدنا ممن هو مثله (ابنالشريف) هجم على الملوك (الأتراك) من غير موجب يوصله ذلك وإنما هو تطفل وتحامل على الملوك"[42].

تختلف الآراء حول تحديد طابع وطبيعة الثورة الدرقاوية فمنهم من يرجعها لطابع ديني كابن سحنون الراشدي الذي يرى أنها ذات صبغة دينية[43]، ويربط ذلك بأنها ثورة نادت بها وتزعمتها

---

[40]– هو عبد القادر بن الشريف الدرقاوي الفليتي من أولاد بليل الكساني، يعود أصله إلى قبلية كسانة البربرية، تعلم بمسقط رأسه، ثم التحق بزاوية القيطنة القادرية لأخذ العلم، بعد ذلك اتجه إلى المغرب الأقصى وأخذ عن علماء فاس التقى بالشيخ مولاي العربي الدرقاوي، فاتبع طريقته وأصبح مقدما لها بالجزائر.

[41]– يراجع مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1974– ص50– وكذلك بن عودة المزاري طلوع سعد السعود، ج1– تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، بيروت: دار الغرب الاسلامي 1990– ص303.

[42]– أحمد الشقراني، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1991– ص26.

[43]– ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص46.

طريقة دينية صوفية وهي الدرقاوية.ومنهم من يصفها بالثورة الوطنية التقدمية كونها هدفت إلى إقرار مساواة تجسد وجود أمة لا فضل فيها لطبقة على أخرى من ناحية، لأنها كانت تحارب محاولات السيطرة الأجنبية على الاقتصاد الجزائري من ناحية أخرى[44].

يؤكد العيد مسعود ذلك فيذكر: إن الطرق التي ثارت ضد الحكم التركي هي طرق صوفية مهدت للوحدة الوطنية... عن عضو القبلية لم ينحصر أفقه في نطاق القبيلة، إنما اخذ يتحسس الانتماء للوطن"[45].

والملاحظ أن الشعوب العربية بدأت فعلا خلال هذه الفترة تحاول الانفصال عن الحكم العثماني بدافع الشعور القومي سعيا منها إلى إقامة دول وطنية حديثة، ولم يعد يربطها بالعثمانيين سوى الروابط الروحية المتمثلة في الدين الإسلامي، ويبقى سؤال مطروحا: هل كان ذلك حال الطريقة الدرقاوية والمجتمع الجزائري حينذاك؟

لا يمكننا إستبعاد أي الرأيين، إلا أننا نعتقد أن الثورة الدرقاوية كانت تملك ميزة شعبية أكثر منها دينية أو وطنية، ونعزز ذلك برأي غالي الغربي حين يذكر كانت لهذه الثورة صفة شعبية فرغم الشعارات الدينية والمطالب القبلية إلا أن في حقيقة أمرها كانت تعبيرا صادقا عن سخط الرعية وعدم رضاها عن الأوضاع السائدة"[46].

إن مظالم الأتراك التي أصبحت لا تطاق هي التي دفعت الجزائريين من اتباع الطريقة الدرقاوية أو غيرهم إلى محاولة تغيير الأوضاع عن طريق الثورة في عدة مناطق من الإيالة. وبصفة متتالية، وقد جاء في مؤلف الجزائر في التاريخ أن تلك الثورات لم يكن لها أي طابع وطني أو هدف تحرري، وإنما كانت مجرد رد فعل على سياسة الحكام على المستوى المركزي أو نطاق البايلكات[47].

---

[44]– محمد مبارك الميلي وعبد الله شريط، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي، الجزائر، : لمؤسسة الوطنية للكتاب، 1985– ص163.

[45]– العيد مسعود، المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني" سيرتا، العدد العاشر، أفريل 1988– ص11.

[46]– غالي الغربي، ثورة ابن الشريف، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10– السنة 1997– ص65.

[47]– ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي الجزائر في التاريخ، المرجع السابق– ص36.

فطائفة درقاوة في الجزائر لم تثر ضد الأتراك إلا بعدما تضررت من معاملتهم لها (فرض الضرائب وقتل بعض الأتباع...) فاضطربت علاقتها بهم، فالثورة إذن كانت حركة شعبية بوازع ديني كنموذج عن الصراع الجزائري التركي الناتج عن رفض تواجد الحكم العثماني بالجزائر لما خلفه من نتائج وأثار إنعكست سلبا على مختلف فئات المجتمع.

كان لهذه الثورة جملة من الأسباب والعوامل موروثة عن ضعف سياسي ووضع اجتماعي متردي، وتأزم إقتصادي خطيرعان فيه المجتمع الفقر والظلم والحرمان والتقسيم... نوجزها في التالي:

_أسباب ثورة الدرقاوة:

لقد تجمعت عدة عوامل وظروف وتظافرت فيما بينها لتؤدي في الأخير إلى ظهور هذه الثورة، فيكما يلي:

- **الأسباب السياسية:** لم يتمكن الأتراك في أواخر عهدهم من حكم الجزائريين والدفاع عنهم، بل عاملوهم معاملة المنتصر للمنهزم، لذلكم تخلى المجتمع عن الحكم التركي كسلطة رسمية، ولجا إلى الطرق الصوفية باعتبارها سلطة دينية، وقد تبنت بعض هذه الطرق آلام الرعية وأمالها، وتولت مهمة الدفاع عنها عن طريق الانتفاضة ضد الأتراك، إذ جاء في أنيس الغريب والمسافر ما يلي:" إن الأتراك لم يكونوا أهلا للحكم في أواخر عهدهم... وحكموا البلاد فترة لم تكن فيها سياستهم رشيدة، ولا حكمهم فيها عادلا على العموم، فكان من الطبيعي أن يكثر الناقمون والثائرون عليهم"[48].

- **الأسباب الاقتصادية:** إن الحكومة العثمانية بالجزائر تحولت في أواخر عهدها إلى جهاز لجمع الضرائب فكثيرا ما كانت تجهز الحملات العسكرية لهذا الغرض وذلك لإرغام السكان على دفع ما فرض عليهم، وهو الأمر الذي يراه سعيدونيوالبوعبدلي بأنه غير عادل، إن القائمون على ذلك النظام لم يراعوا طبيعة الإنتاج، ولا وضعية الفلاحين وحالتهم، فهم لا يأخذون في عين الاعتبار سوى نوعية الملكية ومتطلبات الخزينة وحاجة الموظفين، وهذا ما زاد في شقاء وبؤس الفلاحين[49].

[48]- مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص:55.

[49]- ناصر الدين سعيدونيوالمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص:33.

- **الأسباب الاجتماعية:** إن السياسية العثمانية في الجزائر جعلت من الأتراك طبقة حاكمة لها كل الحفوف السياسية والامتيازات الاقتصادية والاجتماعية في حين جعلت من السكان المحليين طبقة محكومة، عليها تقديم الضرائب والقيام بالواجبات المفروضة عليها.وقد ترتب عن ذلك فقر السكان وبؤسهم، فالفقر والتفرقة، مع الشعور بالإحباط والضعف هو ما دفع إلى محاولة تغيير الوضع عن طريق الثورة.

- **الأسباب الثقافية:** منذ أواخر القرن السابع عشر، بدأ الأتراك في بسط سلطتهم على السكان بطريقة مباشرة غير مبالين برأي رجال الدين الذين أبعدوا عن المشاركة في الحكم، كما فرضت السلطة الضرائب على الزوايا ورجال الدين، وكانوا معفيين منها قبل ذلك ومقربين من الحكام، هذه الضرائب التي أنهت التحالف بين الأتراك وبين رجال الدين، وجعلت بعض الطرق الصوفية تنتفض وتثور ضدهم.

كما لا يمكننا إغفال العامل الخارجي والمتمثل في دور المغرب الأقصى في تغذية الروح الثورية وحشد الهمم للثورة على الأتراك، خاصة وان الدرقاوية طريقة مغربية.

_مراحل ثورة درقاوة:

يمكننا تقسيم ثورة درقاوة إلى مرحلتين أساسيتين: وذلك حسب قوة أو ضعف مسيرتها وتطورها.

- **مرحلة القوة:** وتبدأ مع بداية حركة درقاوة التي كان الباي مصطفى العجمي وهو راجع من إحدى تنقلاته قد سمع بخبرها، فجمع جيوشه واتجه نحو الدرقاوي، فالتقى الفريقان بفرطاسة[50] وادي الأبطال حاليا.

---

[50]- وهي المنطقة التي وقعت عليها المعركة المشهورة التي سجل الشعر الشعبي ووقائعها:

إذ أنشد مسلم بن عبد القادر في أنيس الغريب والمسافر، ص76 ما يلي:

فيوم فرطاسة يوم كبير***ذل فيه العزيز وعز الحقير

لقد هيأ مصطفى جيشا كثير ***تركا ومخزن الملك الكبير

فلم تكن ساعة وانهزموا***من جحيش قليل هياه الفقير

ووصف الشاعر بوعلام السجراري المعركة بقصيدة مما جاء فيها:

واشتد القتال بينهما إلى أن إنتهى بانهزام جيش الباي وانتصار الدرقاوي الذي لاحق اتباعه الأتراك يقتلون ويأسرون حتى أسوار مدينة معسكر. وبقيت محلة الباي في يد الدرقاوي، فأمسى الباي بمخزنه في نكد، وأصبح الدرقاوي باتباعه في رغد على حد تعبير المزاري[51]، وقدمات في هذه المعركة خلق كبير منهم كاتبا الباي: الحاج أحمد بن هطال التلمساني، وأبو عبد الله محمد الغزلاوي، وفر الباي إلى معسكر على فرس من دون سرج.

دفعت نشوة الانتصار ابن الشريف الدرقاوي إلى مهاجمة الأتراك بوهران مناديا كل قبائل الغرب إلى دعمه قائلا لهم:" لقد نزعنا عنكم ما كنتم فيه من الحقر والذلة والمسكنة، وأداء المغارم والجزية الثقيلة، والمؤن الكثيرة الجليلة الذي هو حرام على من انتظم بالدخول في سلك الإسلام، وقد قطعنا دابر الترك الظلام، وأتباعهم الشرار اللئام، فالواجب عليكم مبايعتنا والإذعان وطاعتنا"[52]. وقد جلب له ذلك مساندة ومؤازرة العديد من القبائل حتى المخزنية منها، مثل الحشم، الزمالة، الدواوير، الغرابة... ويبدو أن سبب مساندته هو محاولتها التخلص من الضرائب الثقيلة التي كان قد فرضها الأتراك عليها من قبل إلى جانب تأكد هذه القبائل من انكسار شوكة الأتراك وضعف قوتهم بعد انهزامهم في معركة فرطاسة.

إلا أن انضمام البعض الآخر للثورة كان لخوفهم من حرق وإتلاف الدرقاوي لمحاصيلهم الزراعية خاصة وانه كن وقت الصيف ووقت الحصاد، فقدهدد وعاقب كل من رفض طاعته .

كي قصة الأجواد مع أتراك النوبة***يوم ان فزعهم ابن الشريف او جاوا
ذوك أتراك الكرسي دهر فاتوا رهبة***قالوا الجواد على حرمنا نزكاوا
انعقدوا غاشي الحرار عقد محبة***ي فرطاسة شاو انهار واتلاقوا
إلى ان يقول:
انغلبوا الأتراك او سلموا في الضربة***أهل البيضا كامل اتعراوا
دار الذيب العولة في لحم الأتراك***لمعسكر، روح ذاك الشرين الحسني
عن ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني...، ص40-41

[51]-بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص:304.

[52]-نفسه، ص:306

اتخذ الدرقاوي من كمدينة معسكر كمقرا له ولأسرته بعد أن ألقى القبض على القائد أبو محمد بالحضري بن إسماعيل البحثاوي وسجنه، ثم اتجه الدرقاوي وجيوشه نحو وهران قاصدا فتحها وآملا في دخولها، لا يمر بأية أرض إلا ويتلف الزرع ويدمر العمران عقابا لمن رفض الانضمام إلى حركته، وأثناء مروره بسيق[53]. فر منه أهلها بعضهم للجبال، وبعضهم للغابات والشعاب. وكانت غابة الجيرة طريقه، فأوقع بمن هرب إليها بين القتل والأسر، ويعرف هذا الموقع لحد الآن بشعبة النواح[54]. على مشارف وهران حاصر درقاوة المدينة التي استعد أهلها لقتالهم والدفاع عنها، رغم قلة عددهم، ونقص عدتهم وانقطعت الاتصالات بين وهران والجزائر إلا من ناحية البحر، في خضم هذه الأحداث عزل الباي مصطفى، وعين مكانه الباي محمد بن عثمان الملقب بالمقلش" وكانت المساعدات والإمدادات قد وصلت إلى وهران بحرا.

مرحلة الضعف: حين وصول الباي مقلش إلى وهران، وجد ابن الشريف محاصرا لها، وأبوابها مغلقة، ففتحها وأصبح الناس أحرارا في دخول المدينة أو الخروج منها، ولما سمع سكان معسكر بالخبر، أطلقوا سراح محمد ابن إسماعيل البحثاوي الذي كان قد سجنه الدرقاوي، وألقوا القبض على نساء ابن الشريف وأبنائه[55].

عمل الباي الجديد على محاربة درقاوة بعد أن أحس أن حركة ابن الشريف لم تكن دينية محضة كما يدل عليها ظاهرها، فقد كان لها طابع سياسي.[56] يؤكد ذلك وصول مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية من المغرب الأقصى إلى مقدمة زعيم الثورة في الجزائر، بعد طلب وجهته السلطة العثمانية إلى المولى سليمان سلطان المغرب بهدف التدخل لإيقاف الثورة، لكن ابن الشريف شكا لشيخه ضرر الأتراك وجورهم فصدر من الشيخ ما يشجع على مواصلة الثورة ضد الأتراك. وفي هذا الصدد يذكر المزاري:"... فرأي بالعيان (أي شيخ الدرقاوية) ما لا يقدر عليه بكلمة البهتان،

---

[53]– سيق هي المنطقة التي تتوسط الطريق أو المسافة ما بين مدينتي معسكر ووهران، وكانت طريق درقاوة أثناء اتجاههم نحو وهران قصد فتحها.

[54]– سميت كذلك لكثرة بكاء الناس ونواحهمعلى ما وقع لأهاليهم بها جراء هجوم درقاوة.

[55] –Delpech A. L'histoire de Derkaoua. In R.A . N°18. Année 1874- P46.

[56]–أنظر : أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي.

وأزعجه قتال المخزن وما فيه من العيان بعد أن أمرهم بحمل الشواقيروالفيسان، وانهم في يومهم يدخلون وهران ويصيرونها بالهدم والتخريب مغارات للفئران..."[57] يعزز هذا الرأي صاحب أنيس الغريب والمسافر الذي يرى أن وصول الشيخ العربي الدرقاوي إلى ابن الشريف وشكاية هذا الأخير إليه ظلم الأتراك وتعسفهم، لم يزد الثورة إلا تأججا[58]. ويذكر في موضع آخر أن الشيخ الدرقاوي رد على ابن الشريف حين شكا له ضرر الترك من أداء المغارم قائلا:" انصرهم (الثوار) والله ينصرك" فحصل له الطمع الكثير[59].

أما ابن سحنون فيذكر ما يخالف ذلك قائلا:"... فبعد أن طلبوا تدخل ملك المغرب مولاي سليمان، وبعث الملك شيخ الطائفة الدرقاوية إلى تلمسان، واجتمع بتلميذه، وكان رفقة الشيخ المذكور ووفد هام من أقارب الملك، فلم يقنعوا الثائرين"[60] وقد كتب ما نصه:" صحيح أن عبد القادر بن الشريف هاجم الأتراك وثار ضدهم بالجزائر، لكنه لم يكن في ذلك يتبع لا تعاليم الطريقة ولا أراء شيخه"[61]. ويؤكد هذا الرأي قائلا:" لقد حاول مولاي العربي الدرقاوي إرجاع ابن الشريف الثائر إلى التعاليم الصحيحة للطريقة، ولما فشل رحل إليه شخصيا وإلتحق به وهو محاصر لوهران ولاحظ عدم احترامه له كما كان سابقا، فحمل الشيخ حفنة من التراب ورماها في الجو قائلا: "هكذا سيكون مستقبل ابن الشريف"[62]. في نفس السياق يؤكد الزياني أن الشيخ الدرقاوي قال لابن الشريف: وأني لما رأيتهم_ الأتراك_ وجدتهم أكثر إيمانا وعبادة مني ومنك وأتباعك، وإن أتباعك هم المفسدون في الأرض، فلاشك أن الجهاد فيك وفي قومك جائز لا في أهل وهران"[63].

---

[57]– المزاري، المصدر السابق، : ص309.

[58]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص51

[59]– نفسه، ص72.

[60]– ابن سحنون الراشدي، : المصدر السابق، ص45.

[61] –andré P.J contribution à l'étude des confréries musulmans Alger la maison des livres 1956-P

[62] –L. Rinn Op.Cit, P235.

[63]– راجع الزياني محمد، المصدر السابق،

من خلال ما سبقت الإشارة إليه، يظهر أن الرأي الثاني هو الأقرب إلى الصواب باعتبار أن ابن الشريف لم يكن يتبع تعاليم الطريقة وشيخها في ثورته، هذه الثورة التي كانت بدوافع ذاتية سياسية أكثر منها دينية.

بعد فشل هذه المساعي السياسية، عزم الباي المقلش القضاء على درقاوة الذين فشلوا في دخول وهران فتراجعوا عنها نحو معسكر، وعند وصولهم إلى سيق على مقربة من الولي الصالح سيدي داوود هاجمتهم قبلية الغرابة للثأر مما أوقعوه بها أثناء ذهابهم، ولما وصل درقاوة إلى سيدي مبارك قرب وادي هبرة، هاجمتهم قبائل البرجية وأهالي بني شقران وهزموهم هزيمة شنعاء من قتل وسبي، وفر ابن الشريف مع قلة من جيشه نحو معسكر[64].

ظهر الدرقاوي بعد ذلك من جديد وهاجم محلة الباي في موقعة وادي المالح لكن جيوشه انهزمت ووصلت المعارك بينهما حتى سيدي أمحمد بن عودة، ولم ينج من درقاوة سوى من فر إلى قبة هذا الولي، وتم القضاء على جموع درقاوة الذين كانوا خارج القرية. لما انتهت المعركة جمعت رؤوس القتلى فكانت أكواما وبعث بها إلى معسكر.

إتجه الدرقاوي نحو غريس قرب معسكر، وهاجم سهولها فأفسد الزرع وقتل الماشية، وكان الباي بنواحي مليانة، فقصده أهل غريس وألحوا عليه تخليصهم من درقاوة. فأسرع الباي اتجاه الدرقاوي وهزمه بالرغم من التحاق ابن الأحرش [65] بالثوار.

عندما تولى الباي مصطفى الحكم، وثار عليه درقاوة في بلاد "فليتة" التي تعد مركز العمليات العسكرية للثوار[66]، فهزمهم.وانتصر عليهم من جديد في "مرغوسة"، وتمكن من قتل العديد من أتباع ابن الشريف، وغنم الكثير من أموالهم.

[64]– مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص53.

[65]– ابن الأحرش، يلقب بالبودالي وهو زعيم ثورة درقاوة في منطقة وادي الزهور قرب قسنطينة ضد السلطة العثمانية.

[66] –Delpech. A, Op.Cit , p56.

عين الباي مصطفى خزناجيا، وخلفه الباي محمد بن عثمان، وقد اهتم هذا الأخير بالقضاء على درقاوة وأتباعهم، بل وحتى أولئك المشكوك فيهم ولو عن طريق الوشاية، حتى صار من يحسد أحدا وشي به عنده وادعى عليه محبة الدرقاوي، فإنه ينتقم منه فورا[67].

تشتت أتباع الدرقاوي، وانفصلوا عنه وأعرضوا، فكلما اتجه إلى مكان إلا وفروا منه، فقصد اليعقوبية ثم بلاد الأحرار فطردوه كما أبعده، أهل عين ماضي والأغواط، ولم يبق له سوى بني يزناسن التي سار إليها، وتختلف الروايات حول مصيره ونهايته ما بين مقتله، أم بقائه على قيد الحياة.

نتائج ثورة درقاوة:

أسفرت ثورة درقاوة على نتائج عدة، أثرت على مختلف مجالات الحياة ولو بدرجات متفاوتة. ففي المجال السياسي أدت الثورة إلى اتساع هوة الخلاف بين الأتراك الحاكمين وبين الرعية المحكومين نتيجة لسياسة القمع التي اتبعها الأتراك اتجاه القبائل المساندة والمتعاطفة مع الثوار، كما أدت إلى توتر العلاقات بين الأتراك وبين رجال الزوايا والطرقيين، فراقبت أعمالهم وتابعت تحركاتهم مما أثر سلبا حتى على الطرق الموالية للسلطة.

ضف إلى ذلك أن ثورة درقاوة قد فسحت المجال للسلطان المغربي مولاي عبد الرحمن بمهاجمة فجيج عام 1805 م، وقورارة وتوات عام 1808 م على عهد الباي المقلش[68].

أما في المجالين الاقتصادي والاجتماعي، فزيادة عن هجرة درقاوة واتباعهم نحو الخارج خوفا من معاقبة الأتراك لهم قصد الانتقام، وهجرة بعض العلماء حتى لا يتخذوا موقفا من الصراع، فقد أفسد الزرع وتعطلت الصناعة، وركدت التجارة الداخلية لإنعدام الأمن وفقدان الاستقرار وكثرة اللصوص ونقص المؤونة، فارتفعت أسعار المواد الغذائية، وفي ذلك يذكر مسلم بن عبد القادر:" إن ثورة درقاوة كانت وبالا على المقاطعة الغربية وسببا في تخريب شامل للحياة الاقتصادية

[67]– ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص45.

[68]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص55.

والاجتماعية فيها، كما كانت سببا في تقتيل مئات من أبناء الوطن وفي إستنفاذ الطاقات الحربية التي كانت خير قوة كان يمكن أن ترصد لرد جيوش الإحتلال الفرنسي فيما بعد"[69].

نهاية الحركة الدرقاوية وعوامل فشلها:

تعددت عوامل وظروف فشل ثورة درقاوة، وعموما يمكننا إيجازها فيما يلي:

- أنها كانت ثورة إقليمية مما سهل على الحكام وأعوانهم المخازنية محاصرتها والقضاء عليها.
- سياسة القمع والعنف التي إتبعها الحكام الأتراك ضد الثوار والقبائل المتعاونة معهم.
- قلة العتاد بدليل عجز ابن الشريف عن اقتحام أسوار مدينة وهران رغم محاصرته لها[70].
- كثرة الأعمال التخريبية التي رافقت الثورة، مما أدى إلى وقوف العديد من القبائل ضدها، ولو في مرحلة لاحقة.
- نقص التنظيم العسكري، وإنعدام القيادة السياسية المتبصرة التي لا تكتفي بالاعتماد على العواطف[71].
- سياسة المهادنة التي لجأ إليها بعض الحكام الأتراك والمتمثلة في مصاهرة بعض العائلات الإقطاعية التي بإمكانها تهدئة الأوضاع، كمصاهرة الباي مصطفى بوشلاغم لعدد من عائلات الإقليم الغربي.

الطريقة الدرقاوية في بداية الاحتلال الفرنسي:

لم يقتصر دور الدرقاوية على الثورة ضد الحكم التركي فحسب، بل ثار بعض أتباعها ضد الاحتلال الفرنسي أيضا معلنين الجهاد في عدة مناطق من البلاد، وقد تبدت مواقفها المضادة للحركة الاستعمارية فيما يلي:

_محاولة محمد ابن إبراهيم الثورة ضد فرنسا: في الوقت الذي يذكر فيه بعض أتباع الطريقة أن محمد بن إبراهيم خليفة ابن الشريف الدرقاوي رفض التدخل في أحداث إحتلال فرنسا للجزائر،

[69]– مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق .ص : 55 .

[70]– غالي العربي، المرجع اليابق، ص39.

[71]– مبارك الميلي، وعبد الله شريط، المرجع السابق، ص162.

و لم تظهر له أية مواقف معادية للإحتلال الفرنسي[72]، يكتب L.Rinn عكس ذلك عندما يتحدث عن محاولة الثورة في منطقة غريس (قرب معسكر) ضد الإحتلال مؤكدا فشلها فيقول:" مع الإحتلال الفرنسي للعاصمة، والفراغ السياسي، طلب بعض الأعيان من محمد بن إبراهيم وهو في واد العبد التدخل لإصلاح أوضاع المسلمين، والعمل على إستتاب الأمن والسلم في البلاد، فاتجه إلى هضبة غريس محاولا جمع الأنصار بالتأكيد على ضرورة تطبيق شرع الله لكنه فشل في مسعاه"[73]. ويبدو أن ابن إبراهيم حاول القيام بحركة ضد فرنسا وفشل لأسباب قد نحصرها في عدم قدرته على جمع الثوار، لذلك فإن مسعاه لم يترجم في أرض الواقع.

ـ ثورة عبد الرحمن العامري: مع حلول سنة 1845 م ثار عبد الرحمن العامري الدرقاوي بحوالي ثلاثين درقاويا من قبيلة بني عامر، وهاجم حصن سيدي بلعباس[74]. لكنه إنهزم أمام الحامية العسكرية فقتل ومن معه. ويصف الشقراني ذلك قائلا:" فلم يفده هجومه على الحامية الفرنسية شيئا، وكان مآله هو ومن معه القتل"[75]. إذ في صبيحة يوم 30 جانفي 1845 اتجه بعض اتباع الدرقاوية من نواحي بوشبكة قرب سيدي بلعباس إلى الحامية الفرنسية بالمنطقة زاعمين أنهم يريدون زيارة قبة الولي الصالح المجاورة لها، فسمح لهم الجنود الفرنسيين دخول المنطقة، لكنهم سرعان ما ألقوا القبض على أحد الجنود (بواب الحامية) وأخرجوا الأسلحة معلنين الثورة، خلف ذلك مقتل كل الثوار الدرقاويين وستة جنود فرنسيين وجرح ستة وعشرون آخرون.

الملاحظ أنه بالرغم من ظهور بعض المقاومات الدرقاوية ضد الإحتلال الفرنسي للجزائر، إلا أن بعض أتباع هذه الطريقة إلتزم الحياد، وعدم التدخل في الشؤون السياسية وأمور الحكم كالحاج احمد ولدمبخوث، أحد مقدمي الطريقة الذي إتبع وخلفائه إرشادات ونصائح الفرنسيين، كما

---

[72] -Andre P.J.Op.cit ،P248.

[73] -L ،Rinn ،Op.cit ،P238.

[74] -Revue Municipale de sidi belabbes .Lattaque du camp Militaire Français en 1845 .26 mai 1845 .

[75] - الشقراني، المصدر السابق، ص28.

اقتصر دور بعضهم الآخر على أمور الطريقة الروحية، وهذا ما يجعلنا لا نشاطر السيد كور cour الذي يرى أن صلابة عقيدة درقاوة وغلوهم، هو ما دفعهم للثورة ضد فرنسا[76].

فثورات درقاوة لم تكن دوافعها دينية محضة دائما، بل كان لبعض زعمائها طموحات شخصية كذلك وإستعدادات ذاتية خاصة وأنهم كانوا يخالفون في كثير من الأحيان تعاليم الطريقة ومبادئ شيوخها التي تلزمهم الحياد وعدم طلب الدنيا والسياسة.

والجدول التالي من إعدادنا يبين لنا عدد أتباع الطريقة بالجزائر:

المراجع	السنة	المجموع	مناطق التواجد
L. Rinn	1882 1884	10252	الإقليم الوهراني
Depont et coppolani	1897	9567	وهران: تلميان، سعيدة، معسكر، مستغانم
El korsso	1930	27303	تيارت، وهران، مغنية، عين الصفراء
Andre.p.j	1956	حوالي12000	الاقليم الغربي

نلاحظ تباين وإختلاف في الأرقام لإختلاف الفترات الزمنية من ناحية، ولعدم تأكيدها فيما إذا كان الأمر يتعلق بالدرقاوية فحسب، أم بالدرقاوية وفروعها من ناحية ثانية، كما يجب الإشارة إلى تراجع دور هذه الطريقة مع بداية الإحتلال الفرنسي.ونرجع ذلك لفشل ثورتها ضد الأتراك مما جعلها غير متحمسة لإعادة الكرة مرة أخرى.

تعاملت فرنسا مع الدرقاوية بنوع من الحيطة والحذر، حتى أن إسم الدرقاوية كان مرادفا للثورة ضد فرنسا، لذلك كانت تراقب زواياها، وتلاحق شيوخها، وتتابع كل زياراتهم وتحركاتهم[77]،

[76] -Cour ،opcit ،P 204-205.

[77]- تصريح الحاج ميلود شنتوف احد أتباع الطريقة في مقابلة شخصية بمنزله في معسكر (جوان 2003) والتي بين لنا كيفية المتابعة والمراقبة التي كانت تقوم بها فرنسا اتجاه رجال الزوايا والطرقيين.

يؤكد هذه المخاوف الفرنسية أندري Andre حين يذكر: لا يجب أن تكون الطريقة الدرقاوية بعيدة عن عيون فرنسا ليس بالجزائر فحسب بل وحتى في علاقاتها بين المغرب والجزائر".

حدث كل ذلك بالرغم من العلاقات الودية، التي جمعت بين الطرفين ولو ظاهريا.وفي هذا السياق ذكررين أنه باستثناء بعض الأفراد فإن درقاوة لم يثوروا ضد فرنسا، بل تمكنت فرنسا من التعايش معهم بعلاقات حسنة لكنه بحيطة وحذر في نفس الوقت.

3_الطريقة التيجانية :

تنتسب التيجانية للشيخ أحمد بن المختار بن سالم التيجاني، المولود ب "عين ماضي" بالقرب من الأغواط سنة 1150 هـ_1737 م . ينتسب إلى أسرة شريفة تعود أصولها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام[78]. إذ كان أفراد هذه الأسرة على مستوى رفيع من العلوم الدينية والدنيوية . فقد كان أبوه _محمد بن مختار_ شيخ زاوية وعالما ورعا، وكانت أمه عائشة بنت الولي سيدي محمد السنوسي التجاني الماضوي.[79]

نشأ الشيخ التيجاني وسط أسرة مشبعة بالعلم والمعرفة، فكان كريم الأخلاق، مقبلا على الإجتهاد، متمسكا بالدين . حفظ القرأن وهو إبن سبع سنوات تحت إشراف شيخه محمد بن حمو الماضوي.[80]، ثم إنشغل في طلب العلم، فدرس على الشيخ المبروك بن بو عافية المضاوي التجاني مختصر الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري.[81]

مال الشيخ إلى حياة الزهد والإنعزال عن الناس حتى بلغ سن الرشد، وتزوج بعد ذلك بامرأتين هما: السيدة الغالية التي أنجبت له محمد الكبير، والسيدة مبروكة التي أنجبت له محمد الحبيب المعروف

---

[78]– برادة علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، بيروت :دار الكتب العلمية، 1997، ص :26

[79]– صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر :تاريخها ونشاطها، دار البرق، 2002 .ص :175 .

[80]– علي حرازم برادة، المصدر السابق .ص :23 .

[81]– يراجع :عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه .بيروت : دار الكتب العلمية.2009 .ص :34 . وبرادة علي حرازم، المصدر السابق .ص :24

بمحمد الصغير .[82]وفي عام 1166 ه /1753 م توفي والده بسبب الطاعون الذي أصاب المنطقة، فخلف أباه على رأس الزاوية وهو ابن 16 سنة، فقام بتدريس القرأن والسنة النبوية .

إن رغبته في توسيع معرفته جعلته يغادر مسقط رأسه متنقلا ما بين بوسمغون وتوات والأبيض سيدي الشيخ وتلمسان، وكان خلال تنقلاته هذه يتصل بالعلماء ويأخذ عنهم ويستفيد منهم[83] .كانت أولى رحلاته إلى فاس سنة 1171 ه/1758 م لشهرتها العلمية، وكان يحضر بها مجالس العلماء . ثم أخذ القراءة بالتجويد وكان يدخل في مساجلات فقهية مع بعض العلماء من فاس، ومن أهم من إلتقى بهم هناك نذكر: [84]

_ مولاي الطيب الورزازي الذي أذن له في تلقين ورده، لكنه إمتنع .

_ محمد بن الحسن الونجلي وقد إكتفى بالتبرك به بعد ما أشار عليه بالرجوع إلى بلده .

_ أحمد الطواش الذي طلب منه لزوم الخلوة، والتحلي بالصبر حتى يفتح الله عليه .

_ الشيخ عبد الله بن العربي الأندلسي .

رجع الشيخ إلى الصحراء، واستقر بالأبيض سيدي الشيخ حيث زاوية الشيخ سيدي عبد القادر المعروف بسيدي الشيخ، متبعا الزهد ومنشغلا بالتدريس لمدة خمسة سنوات، زار خلالها عين ماضي مسقط رأسه ودار أبائه .[85]ليرحل بعدها إلى تلمسان سنة 1186 ه/1772 م، ومنها قصد مكة لأداء فريضة الحج . فمر بتونس، ومصر، وتعرف على بعض الشيوخ بهما . ثم عاد إلى الجزائر من جديد، فاستقر بتلمسان ليتجه بعدها إلى فاس ثانية . في طريقه إليها إلتقى ب :علي حرازم برادة الفاسي .

---

[82]– عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقية السمراء .الجزائر :م. و. ف .م .1988 .ص :119 .

[83]– صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق . ص :175

[84]– لمزيد من المعلومات يراجع :أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف . تقديم :محمد رؤوف القاسمي الحسني .ج1 .الجزائر :موفم للنشر.1991 .ص :282 . وعلي حرازم برادة، المصدر السابق . ص :29 .وصلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق .ص :175 .

[85]– أحمد الأزمي، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان .ج1.المغرب :دار الفضالة .2000 .ص :283 .

بعد مدة عاد الشيخ إلى تلمسان، ومنها إلى قصر الشلالة، ليستقر بعدها بقصر أبي سمغون بداية من عام 1196 ه/1782 م .[86]هذه المنطقة التي حصل فيها الفتح للشيخ .وفي هذا السياق يذكر صاحب جواهر المعاني : "...ثم رجع إلى قرية أبي سمغون، وأقام بها، وإستوطن، وفيها وقع له الفتح، وأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم في تلقين الخلق ...وعين له الورد الذي يلقنه .[87].

عملا بذلك ترك الشيخ جميع الطرق، محاولا أن يثبت إستقلال طريقته، ويتشرف بسنده فيها وهو الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام . أكد ذلك بقوله أخذنا عن مشايخ عدة، فلم يقض الله عز وجل منه، فالتحصيل المقصودوسندنا في هذا الطريق هو سيد الوجود صلى الله عليه وسلم.[88]

تتميز التيجانية ببساطتها وسهولتها، كما تنفرد بأنها طريقة شكر . فهي لا تعتمد على التشدد والتقشف، أو الصرامة في تطبيق التعاليم، بل تعتمد مجموعة تعاليم بسيطة وقريبة من التفكير الشعبي .لذلك وصفت بأنها طريقة شكر وليست طريقة مجاهدة .أما أهم مبادئها فتتمثل في :

_ تفضيل الجماعة والإبتعاد عن الخلوة في الذكر .

_ عدم مخالفة الشرع .

_ إجتناب الغش والمعاصي، وكف الأذى .

_ طاعة الشيخ .

_ عدم التمييز بين الأجناس .

هاجر الشيخ التيجاني بعد ذلك إلى فاس، أين إستقر نهائيا، وأسس زاويته هناك .فازداد أتباعه وكثر مريدوه، مما ساعد في إنتشار الطريقة وو صولها لبعض البلاد الإفريقية . الجدير بالذكر، أن الشيخ إنتقل إلى المغرب أمام المضايقات التي فرضها الأتراك على الطرق الصوفية جراء ثوراتها ضدهم . كان لإستقرار وإنتشار التيجانية من فاس أن وجد نو ع من التجاذب بين الجزائر والمغرب

---

[86]– شيخ لعرج، بشاط الطريقة التيجانية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر .مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث .جامعة معسكر .2008 _2009 .ص :60 .

[87]– علي حرازم برادة، المصدر السابق .ص :40

[88]– شيخ لعرج، المرجع السابق .ص :63

بخصوص أصل الطريقة : هل هو جزائري ؟ أم مغربي ؟ والحقيقة أن شيخها جزائري، حصل له الفتح في الجزائر، وإنتشرت بدءا من الجزائر، لذلك نستغرب إعتبارها طريقة مغربية .

أما فيما يخص نشاط التيجانية في الجزائر، فقد حققت إنتشارا واسعا في بايلك الغرب، إذ يعتبرها عمار هلال ذات ديناميكية وأنها أكثر فعالية من القادرية .حين يذكر : "ونحن نعتبرها أكثر فعالية من الطرق الصوفية الأخرى، وليس فقط القادرية .فقد حققت تفوقا كبيرا، ومال الكثير من أتباع هذه الطرق إلى التيجانية.[89]

لم يقتصر دور التيجانية على الجانب الديني التربوي فحسب، بل تجاوزته إلى أدوار أخرى على شاكلة ما فعلت الدرقاوية . وهو إعلان الثورة ضد الأتراك .

الثورة التيجانية 1826:

كانت الثورة التيجانية سنة 1242ه/ 1826م ضد الأتراك بقيادة الشيخ محمد الكبير الإبن الأكبر للشيخ أحمد بن سالم التيجيني، وقد تمكن من جمع حوالي ستمائة رجل من أتباعه بعين ماضي، وعدد من عرب الصحراء إلى جانب قبيلة الحشم، هذه القبيلة التي تحالفت مع التيجاني وساندته في ثورته على الباي حسن للإنتقام من هذا الأخير لقتله إحدى عشرة من زعمائهم بعدما شك في ولائهم له[90].ويبدو أن الشيخ التيجاني اتخذ قرار حركته مباشرة بعد قبول مساعدة الحشم الذين ألحوا على التيجاني في القدوم معهم لقتال الأتراك على رأي المزاري[91]، وعن علاقة الحشم والتيجاني يذكر الشريف الزهار: " "أما التيجاني الذي كان الترك والكثير من الناس يتهمون أتباعه بالاعتزال لفعلهم الرديء، فقد قدم إلى حشم غريس وبايعوه سرا"[92]. وفي ذلك دلالة على أن قبيلة الحشم كانت مع التيجاني، مساندة لطريقته، وأن شكوك الباي حسن كانت في محلها مما دفعه للانتقام من زعمائهم.

---

[89]– عمار هلال، المرجع السابق .ص :122 .

[90]– مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر. ص31.

[91]– المزاري الآغا بن عودة، طلوع سعد السعود، ص355.

[92]– الشريف الزهار، المصدر السابق .ص159.

لم يكتفالشيخ التيجاني باتباعه وقبيلة الحشم، بل كاتب بني عامر، وبني شقران، والبرجية، والغرابة، والزمالة والدوابر، وسائر النواحي الشرقية والغربية له بالإذعان[93]. وهو نفس العمل الذي قام به عبد القادر بن الشريف خلال ثورة درقاوة ضد الأتراك سنة 1805م[94]. والذي نعتبره أمرا تصرفا طبيعيا، فأية حركة أو ثورة يسعى زعمائها لإستمالة وتجنيد وكسب مساندة أكبر قدر ممكن من القبائل والثوار قصد ضمان إتساع نطاقها ونجاح هدفها.

قصد التيجاني مدينة معسكر محاولا غزوها ودخولها، وهي يومئذ على سبعة أحياء، حومة العرقوب بسورها، وحومة سيدي علي أمحمد، وحومة عين البيضاء، وحومة الباب الشرقي:، وحومة بابا علي، وحومة سيدي امحمد أبي جلال، وحومة المدينة الداخلة وهي الوسطى بسورها، وقد نزل بالحومة الغربية وهي حومة العرقوب يريد الدخول إليها، فلقيه أهلها بالمقاومة، وأعانهم بنو شقران على هذه المعركة وهي في بدايتها مخلفة مقتل عدد كبير من الفريقين.

قضى التيجاني الليل بحومة بابا علي، وفي صباح اليوم الموالي دعا أهل المنطقة للدخول في طاعتهّ، فامتنعوا وحاربوه، فقاتلهم وألحق بهم الهزيمة، ودخل حومتهم ودمرها تدميرا، ولما رأوا ذلك، دخلوا تحت طاعته وحكمه، وأهدوه فرسا كما زودوا جيشه بالشراب والطعام.تبعهم في ذلك أهلالحوموة الشرقية وحومة سيدي امحمد أبي جلال[95].ولا يمكننا هنا إرجاع الهزيمة إلى قوة جيش التيجاني فحسب، بل كان لقلة إمكانات ووسائل مقاومة أهالي معسكر نسبة في هذه الهزيمة، نقول ذلك خاصة بعد فشل ثورة درقاوة التي كانت تقريبا في نفس المنطقة، وهو الأمر الذي جعل بعض الأهالي يساندون حركة التيجاني أو على الأقل يلتزم الحياد ولا يشارك في مقاومتها وأن أهل معسكر دخلوا تحت طاعة التيجاني دفاعا عن أنفسهم وخوفا من محاربته لهم مثلما حدث مع أهل حومتي سيدي علي امحمد، وعين البيضاء حينما سألهم التيجاني الإذعان فأجابوه.

---

[93]– المزاري، الأغا بن عودة، المصدر السابق، ص356.

[94]– بونقاب مختار، تاريخ الطريقة الدرقاوية بالجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث .جامعة وهران :2002 _2003، الفصل الثالث.

[95]– المزاري، الآغا بن عودة، المصدر السابق، ص355-356.

في الوقت الذي كانت فيه نشوة الإنتصار تدفع بالتيجاني إلى الهجوم على العرقوب لمقاتلة أهله، خرج بجشيه الباي من وهران وباب بالكرمة، ثم انتقل مرورا بتليلات شيق، وادي الحمام، مشرع حسين، تيفرورة، سيدي علي بن احمد، خروبة الصيادة المطلة على غريس وصولا إلى قرية الكرط، ومنها اتجه نحو التيجيني الذي كان لا يزل محاصرا لخصيبية[96].

حينما علم التيجيني بحركة الباي نحوه، اتجه ناحية أولاد رحو فلحقه الباي، والتقى الفرقين بمنطقة "عواجة" واشتد القتال بينهما، فتراجع الحشم وانسحبوا من جيش التيجاني هذا الأخير الذي عجز عن الصمود في وجه جيش الباي، وانتهت المعركة بمقتل التيجاني وجميع من كان معه وعددهم ما بين 300 و400 ثائر[97].

كان لتراجع قبيلة الحشم الدور الأساس في مقتل الشيخ التيجاني وفشل حركته أمام الباي حسن، هذا الانسحاب الذي أرجعه محمد بن عبد القادر إلى عدم تمكن الحشم من الصمود أمام قوات الباي كما دفعهم إلى الخروج من المعركة قبل نهايتها[98]، بينما يربطه الشريف الزهار بحصول كبراء الحشم على المال من الباي للتخلي عن التيجاني[99]. ونميل إلى رأي الزهار لعدة إعتبارات أهمها أن جيش التيجاني قد واصل القتال بعد انحساب الحشم أمام جيش الباي. فكيف لا يتمكن الحشم من ذلك وهم برفقة التيجانيين؟ وفي هذا السياق يذكر الزهار" فثبت هو الشيخ التيجاني، ومن معه من الأعراب ثباتا لم يثبته أحد... وقاتلوا قتالا شديدا إلى أن قتلوا عن آخرهم[100]. وتعزيزا لفكرته كتب في موضع آخر جهز الباي حسن جيشا كبيرا سار به إلى أرض غريس، وبعد إرتشاء رجال غريس بالفضة والمال مقابل انسحابهم من جيش التيجاني، بعث الباي المال لكبراء الحشم لكي

---

[96]– المزاري، الآغا بن عودة، المصدر السابق، ص357.

[97]– الزهار الشريف، المصدر السابق، ص159.

[98]– محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي .بيروت :دار اليقضة العربية .1964 .ص81.

[99]– الزهار المصدر السابق، ص42. والمزاري المصدر السابق:، ص359.

[100]– الشريف الزهار، المصدر السابق، ص159– 160.

يتخلوا عنه، وتخلى الحشم عن التيجاني وفر الكثير من جنوده التي أتت معه، و لم يبق معه إلا نحو الثلاثمائة من أعراب زكور[101].

إنتهت المعركة وأمر الباي بقطع رؤوس التيجانيين وبعث بها إلى معسكر التي دخلها منتصرا، وكاتب قائد مليانة عن هذه الواقعة يخبره بما نصه: "الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله المكرم، ولدنا على قائد مليانة، وفقه الله آمين، السلام عليكم غاية ورحمة الله والبركة وبعد: فالذي نبشركم به خيرا إن شاء الله تعالى، هو أننا طحنا على محلة الظالم ابن التجيني وأحزابه فقتلناه هو بنفسه وقتلنا خليفته وقطعنا رأسيهما معا، وقتلنا جميع من كان معه بمحلته...، وسبينا جميع ما عندهم من خيول وإبل حتى الأحياء جميعا، والحمد لله على هذه البشارة المباركة التي هنيت العباد من ظلمه وفساده، وها نحن بشرناك والسلام بأمر المعظم السيد حسن باي أمنه اللهآمين"[102].

إن قوة جيش التيجاني بعد انسحاب الحشم وبعض الأعراب والمقدر بأكثر من ألف ثائر، على خلاف ما يذكره الزهار ما بين 300 و400 رجل، كما تبين لنا هذه الرسالة التي أوردناها سابقا قوة جيش الباي الذي إنتصر على التيجانيين، وتقدم لنا صورة عن نظرة الأتراك للتيجاني والتي تصفه بالظالم والفاسد، وهي النظرة نفسها التي كانت اتجاه كل الطرق الصوفية بعد أن ثار بعضها ضدهم وهددت وجودهم في أواخر حكمهم بالجزائر، إضافة إلى أن قطع رؤوس التيجانيين بعد مقتلهم ونهاية المعركة دليل على العنف والقمع الذي واجه به الأتراك الثورات التي اندلعت ضدهم، وحتى يكون ذلك عبرة لغيرهم ممن قد تسول له نفسه ذلك.

بعث الأتراك برأس التيجاني ورؤوس القتلى الآخرين للجزائر وعلق رأس الشيخ في عمود قبالة الباب الجديد، بعدما دفن قائد الحركة أي التيجاني بمكان مجهول في معسكر[103].

---

[101]- الشريف الزهار، المصدر السابق، ص159.

[102]- المزاري، الآغا بن عودة، المصدر السابق، ص360.

[103] -In R.A ،N° 05 Année 1861- P474.

رغم انهزام التيجانيين في محاولتهم هذه، إلا أن المواجهة بينهم وبين الحكام العثمانيين لم تتوقف، فقد ثار أحدهم وهو الشيخ أحمد التيجاني على الحدود الجزائرية المغربية إنتقاما من الباي حسن الذي نكل بجثث التيجانيين لكنه فشل وانسحب إلى التراب المغربي[104].

أما عن عوامل فشل هذه الحركة، فإنه إلى جانب ضعف الإستعدادات وقلة الإمكانات، ونقص الخبرة الحربية للتيجانيين باعتبارهم مريدين وأتباع طريقة صوفية، لا جنود عسكريين، فإنه كان لضعف التحالف التيجاني مع الحشم دورا رئيسا في هذا الانهزام، إذ ولد للتيجاني نوع من الغدر والخذلان، يؤكد رمعون ذلك لما يرجع ما وقع للتيجاني إلى هشاشة التحالف الذي تم بين الفرق (القبائل) المكونة لجيشه. هذه الفرق التي تجمعت لمصلحة آنية بهدف الانتقام من الأتراك لكنه دون أي انسجام بينها.

ومما أسفرت عنه هذه الحركة نذكر:

- أدت هذه الحركة إلى سقوط عدد كبير من الضحايا من مختلف الفئات والطبقات، وقتل فيها العديد من العلماء والأعيان ورجال الدين.
- إن العنف المضاد الذي واجهت به السلطة العثمانية هذه الحركة، أدى إلى زيادة اتساع الفجوة بينها وبين الزعامات الدينية.
- تأزم الأوضاع الإقتصادية نتيجة إفساد الزرع وتعطيل الصناعة وركود التجارة.
- جاءت هذه الحركة كرد فعل عن السياسة العثمانية، وبالتالي أكدت فشل الأتراك في استمالة واحتواء الطرق الصوفية من ناحية، كما مثلت حركة ثورية تحررية وطنية مثلما يصفها مكحلي.
- إلى جانب ثورة درقاوة، أدت الحركة التيجانية إلى ضعف القوة التي كان بالإمكان استغلالها أمام الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م.

أما خلا العهد الإستعماري الفرنسي، فيبدوا أن دور الطريقة التيجانية إقتصر على الجانب التربوي الروحي فحسب، من خلال العمل على تأسيس الزوايا والمساهمة في نشر الإسلام في إفريقية على وجه الخصوص . أما الأدوار السياسية أو الجهادية، فلا نكاد نجدها. بل كان لبعض أتباعها

[104]- شيخ لعرج، المرجع السابق، ص125.

وشيوخها مواقف متخاذلة مما دفع الأمير عبد القادر إلى مهاجمتها . وفي هذا السياق تصف لطيفة الأخضر في كتابها الإسلام الطرقي ب : صديقة فرنسا[105].

_4 طرق صوفية أخرى :

ظهرت خلال الفترة قيد الدراسة طرق صوفية أخرى ببايلك الغرب، بدأ من العهد العثماني وإستمر نشاطها لغاية فترة الإحتلال الفرنسي .هذه الطرق التي كانت لها أدوار ذات أهمية أقل من الطرق السابقة الذكر، رغم ذلك إرتأينا تناولها ولو بإيجاز. أهمها:

_ الطريقة الهبرية :

يرتبط إسم الهبرية بالحاج "محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الهبري العزوي" المولود سنة 1823 م.يعود أصله إلى عائلة مرابطية مغربية، كان في بداية أمره مقدما لزاوية في منطقة "الريف"ثم أصبح زعيم نواة إخوان[106].

أما نسبه بالدرقاوية الشاذلية فيتصل بالشيخ"محمد بن قدور الوكيلي الكركري"عن "الشيخ أبي عزة المهاجي" الذي أخذ عن "مولاي العربي الدرقاوي ".

حفظ الشيخ الهبري القرأن منذ طفولته، وكان قليل الكلام، كثير التأمل والتفكير، منشغلا بالذكر والتلاوة. كما قرأ الفقه والحديث والتفسير. وصفه أحمد الهبري وهو أحدد أحفاده بأنه: "العالم الفذ والولي الرباني الصمداني المحمدي الذي أبهر العلماء في علومهم، وفاق النساك في زهدهم، فقد توصل من الظاهر إلى الباطن ومن التشريع إلى التحقيق"[107].كانت له زاوية في "ضريوية" أو "دريوية" ببني يزناسن وقد إمتد نفوذها ما بين جبال الريف غربا ووهران شرقا .ليصل نفوذ الهبرية بعد ذلك في الغرب الجزائري أين ظهرت لها زوايا في سعيدة، ومعسكر، وتيارت، ...

---

[105]– لطيفة الأخضر، المرجع السابق .ص :63

[106] –Depont et coppolani .op cite p 509

[107]– أحمد الهبري، اللمحة البدرية في التعريف بالطريقة الهبرية، نسخة مخطوطة إطلعنا عليها عند مؤلفها بوهران في ماي 2002 ص: 9

حاول الشيخ الهبري إحياء الطريقة الدرقاوية بالحماس والصفاء الذين ظهرت بهما على يد مؤسسها الأصلي.[108].والملاحظ أن الهبرية قد تمسكت بمبادئ ز تعاليم وأوراد الطريقة الدرقاوية، فامتازت بالتشدد وإتهمت بالتعصب في الدين، وهذا خلافا عن الطرق الأخرى التي تفرعت عن الدرقاوية .

عند وفاة شيخها سنة 1899 م، خلفه إبنه الشيخ محمد الهبري بعد وصية من أبيه وتزكية من أتباع الطريقة لما يتوفر فيه من العلم والتربية، فازدهرت في عهده الزاوية، وتوافد المريدون عليه لحضور دروس العلم وحلقات الذكر . من مبادئه تلقين الفقراء في الخلوة، وكان أول من إستعمل الطبل في الذكر [109]

تمركزت الطريقة الهبرية في المنطقة الغربية وبخاصة في نواحي تلمسان:ندرومة، مغنية، سبدو، إضافة إلىسعيدة، ومعسكر، وفرندة، وسيدي بلعباس...وأتباعهالا يزالون ملتزمون بمبادئها وتعاليمها ومحافظون على أذكارها وأورادها .

أما برنامجها الأسبوعي فيتمثل في التالي:[110].

_ **الفقه** : 3 مرات أسبوعيا .

_ **السيرة النبوية** : مرة واحدة في الأسبوع .

_ **الأذكار** : مرة واحدة في الأسبوع .

_ **التربية الروحية** : مرة واحدة في الأسبوع .

أما بخصوص أذكارها وأورادها فهي :

_ **قراءة الصلاة المشيشية** :نسبة إلى إبن مشيش وهي عبارة عن دعاء .[111]

_ تلاوة القرأن الكريم يوميا ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، ثم الدعاء .

---

[108]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي .المرجع السابق، ج 4، ص:17

[109]– أحمد الهبري، المرجع السابق، ص:15 .

[110]– تعرفنا عليه من خلال زيارتنا لزاوية الشيخ بن يلس بتلمسان، وكذا من مقدم الزاوية الهبرية بمعسكر الشيخ البودالي رحمه الله.

[111]– راجع الملحق

ـ قراءة الوظيفية وهي مجموعة من الأذكار النبوية والثناء على المصطفى عليه الصلاة والسلام[112].

ـ قراءة اللطيفية وهي قصيدة شعرية .

وفي مناسبات المولد النبوي يكون برنامج الهبرية كالتالي :

ـ قراءة همزية النبهاني وهي قصيدة شعرية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام .

ـ قراءة بردة البصيري .

ـ قراءة همزية البصيري .

ـ **الطريقة الحبيبية** : تنتسب الطريقة الحبيبية للشيخ "محمد بن الحبيب الأمغاري الإدريسي الحسني" الذي نشأ بمدينة فاس المغربية من أسرة كريمة شريفة.[113].حفظ القرأن، ودرس بجامع القرويين فتحصل على مختلف العلوم والفنون، وأصبح من العلماء العارفين العاملين .

أخذ الطريقة الدرقاوية عن "الشيخ محمد بن علي" الذي يعد شيخه وأستاذه في الطريقة، عن الشيخ "العربي بن الهواري" عن الشيخ "محمد بن العربي" عن الشيخ "أحمد البدوي" عن الشيخ "العربي الدرقاوي" شيخ الدرقاوية.[114]

وقد أذن له شيوخه بالبروز وتصدر المشيخة لنشر الطريقة .

أنشأ زاويته المشهورة بمدينة مكناس في المغرب، فتوافد عليه المغاربة والجزائريين، بل وحتى الأوربيين من إسبانيا وإنجلترا لأخذ تعاليم الطريقة[115].وأسس بعد على كتاب سنة مقررذلك مجموعة من الزوايا بالجزائر كزاوية معسكر، وتنس، والبليدة...وغالبا ما كان يزور مريديه سنويا لإرشادهم وتربيتهم عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة في التصوف والعلوم الشرعية، وكان الشيخ محمد بن الحبيب يعرف التصوف على أنه الجمع بين الحقيقة والشريعة، والإلتزام بكتاب الله تعالى

---

[112]– راجع الملحق

[113]– مصطفى العشعاشي، السلسلة الذهبية في تعريف برجال الطريقة الدرقاوية .تحقيق وتحرير :مصطفى يلس . د .س ـد.د.ط.، ص:116

[114]– الشيخ محمد بن الحبيب، ديوان بغية المريدين السائرين وتحفة السالكين العارفين .ترتيب وتصحيح :أبو حفص عمر .دار الطباعة الحديثة، ص:115

[115]– بونقاب مختار، المرجع السابق، ص:49 .

وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .قال عن التصوف السني : "فلبها تصوف محرر"[116] فالأصل في نظر الشيخ هو الإسلام .أما الطرق فهي فروع لكل منها إجتهاده . تمتاز الحبيبية بتغليب الشريعة عن الحقيقة، وإخضاع الكشف للكتاب والسنة .

أما أورادها وأذكارها فلا تخرج عن نطاق الطريقة الدرقاوية والمتمثلة في الإستغفار، والصلاة والسلام على النبي المختار مائة مرة .

_ الطريقة البوعبدلية :

تنتسب للشيخ "عدة بن الموسوم بن غلام الله البوعبدلي "المولود في بطحاء الشلف، حفظ القرأن الكريم ودرس اللغة، والتوحيد، والحديث، والفلك على محمد بن عبد الرحمن شيخ الطريقة الطيبية .أثناء تواجده بمازونة، أخذ الفقه على الشيخ أبي طالب المازوني .إهتم بالتدريس والإمامة، وانظم إلى الطريقة الرحمانية عن طريق والده، كما أخذ الطريقة القادرية على عبد القادر بن الأحول.[117]. كان الشيخ عدة بن غلام الله فقيها عرف بالعدل والنزاهة والإستقامة، إشتغل بالتعليم والعبادة والإرشاد، فانتشرت طريقته من قصر البخاري وثنية الاحدوالعطاف إلى مستغانم ومعسكر .[118] أسس زاوية بأذن من شيخه في جبل السخونة بتيارت، وبنى فيها مسجدا، وبيوتا لتعليم القرأن، وإيواء الضيوف والفقراء .وعرفت زاويته بزاوية " أولاد الأكراد ".

توفي الشيخ عدة عام 1866 م، ودفن بمقبرة سيدي امحمد بن سماك قرب مدينة تيارت تاركا مجموعة شيوخ عرفوا بالعلم والصلاح كان لهم الفضل في نشر الطريقة بالجزائر أمثال الشيخ محمد المسوم صاحب زاوية قصر البخاري، والشيخ بن عبد الله الحسني صاحب زاوية معسكر، والشيخ محمد بن قدور الشرقي صاحب زاوية العطاف[119].

---

[116]– الشيخ محمد بن الحبيب، المرجع السابق، راجع الديوان .

[117]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. المرجع السابق، ص:116

[118]– مصطفى العشعاشي، المرجع السابق، ص:112 .

[119]– رشيد محمد الهادي بن تونس، نيل المغانم في تاريخ وتقاليد مستغانم .مستغانم :المطبعة العلوية 1988، ص:87 .

الفصل الرابع:

أعلام بايلك الغرب خلال القرنين 18م-19م

1-أهم أعلام بايلك الغرب :

2-علاقة العلماء بالحكام:

3-علاقة المتصوفة بالحكام:

4- علاقة العلماء بالمتصوفة

إن دراسة لتاريخ الجزائر خلال العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، يلتمس حركة مميزة في ميدان العلوم والأداب والكتابات التاريخية والرحلات، التي أثرت في تراث المنطقة .لا سيما الجهة الغربية من البلاد .

فقد ظهر بالمنطقة علماء وشخصيات ساهموا مساهمة فعالة في تحريك عجلة الفكر العربي الإسلامي، بعد ما أصابها نوع من الركود والجمود .برز على الساحة الثقافية والفكرية علماء وفقهاء ورحالة، عملوا على النهوض بالثقافة العربية الإسلامية عموما .

من أشهر هؤولاء نذكر الشيخ مصطفى الرماصي، وعبد القادر المشرفي، وأبو رأس الناصري، وغيرهم من الذين سنتناول حياتهم العلمية ومدى تأثيرهم في الحياة الثقافية والفكرية للبلاد .

1-أهم أعلام بايلك الغرب

الشيخ مصطفى الرماصي:

يعد الشيخ مصطفى الرماصي أحد علماء الوطن الغريسي الراشدي ممن تخرجو من مدرسة مازونة الفقهية.[1] هو مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي، وكان يدعى عند بعضهم بأبي عبد الله محمد بدلا من مصطفى، المتوفى سنة 1136هـ- 1724[2] .ولد بقرية رماصة[3]، وقدتضلع في علم الفقه حتى اعتبر من أشهر فقهاء المالكية، إذ وصفه الشيخ عبد الرحمن الجامعي الفاسي قائلا:" حامل راية الفقه المالكي في عصره ومصره"[4].

اشتهر الشيخ الرماصي بسعة علمة، وسمعته المرموقة، حيث يذكر عنه الحفناوي أنه كان العلامة المحقق، والجهيد النقاد، المدقق من أذعنت له في وقته الأقران، ولم يختلف في فضله وسعة

[1] -djilali sari, les villes précoloniales de l'algerie occidentale : nedroma, mazouna, kalâa. Alger : S.N.E.D. 1978, P 32.

[2]- محمد بن ميمون، نفس المرجع، ص77.

[3]- رماصة قرية صغيرة من قرى مستغانم، حسب البخاري، تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسي الحسني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1991- ج2- ص441.

[4]- عادل نوهيض معجم اعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نوهيض للتأليف والترجمة والنشر، 1980- ط2- ص152.

علمه اثنان، وتزاحم على بنات فكره وعرائس سره الداني من أهل العلم، القاضي والشيخ الإمام القدوة سيدي مصطفى بن عبد الله بن مؤمن الرماصي..."[5].

يؤكد ذلك الحفناوي ويتواصل في تنويهه بالشيخ، فيقول:" اشتهر بالتحقيق والتحرير، والمتانة في الدين، وسمع الكلمة عند السوقة والأمير"[6].

رغم ذلك، يبدو أن حياته العلمية اكتنفها بعض الغموض [7] ربما لأن مترجميه من معاصريه وتلاميذه اكتفوا فقط بوصفه أوصاف التجلية، والاحترام، نظرا لما كانوا يكنون له من تقدير، ويذكر جاكر لحسن انه أخذ علوم اللغة والدين عن علماء مازونة، ثم بعدها رحل إلى القاهرة، واستفاد من أكابر علمائها وأئمتها[8]. يبدو أن الشيخ مصطفى الرماصي قد تعلم على أشهر علماء وقته أمثال الشيخ عمر التراري المشرفي المعسكري، ثم رحل إلى مازونة أين أخذ علوم اللغة والدين بدراسته للفقه والعلوم الدينية الأخرى، فتخرج بذلك من مدرستها الشهيرة، ثم إنتقل إلى القاهرة لمواصلة دراسته، وا ستفاد من أكابر علمائها وأئمتها[9]، من أشهر شيوخه نذكر :الشيخ الخرشي، والشيخالزرقاني وغيرهما، ويذكر المهدي البوعبدلي بان الرماصي تحدث عن شيخه الخرشي في بعض أجوبته لأحد تلامذته فيقول:" وأراك أيها السائل تحتفل بكلام عبد الباقي الزرقاني، وذلك بمعزل عن التحقيق لأنه شرحه وشرح الخرشي لا تكترث بهما في بلادنا الراشدية، لعدم تحقيقهما وعمدتهما كلام على الجوهري وهو كثير الخطأ"[10].لهذا ألف الرماصي رسالة أحصى فيها أخطاء الخرشي في شرحه على خليل.

[5]– الحفناوي، المرجع السابق، ص141.

[6]– نفسه، ص442.

[7]– جاكر لحسن، المرجع السابق، ص47.

[8]– نفسه

[9]- مولاي بلحميسي، مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين، منشورات الاتحاد الوطني للزوايا :2005، ص : 42

[10]– المهدي بوعبدلي المرجع السابق، ص169.

أما عن أثاره فإنه ترك تأليف بديعة غزيزة المنال:، لا زال الأفاضل يقتنوها مستصغرين فيها نفائس الأموال، : على حد قول الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف منها[11]: شرحه على متن السنوسية، الذي تابع فيه الكلام على ما يتعلق بالبسملة والحمدلة.

وكفاية المريد على شرح عقيدة التوحيد الذي فرغ منه سنة 1124ه-[12] وحاشيته على شرح الشيخ شمس الدين عامرا بن ضرب العدواني التتائي، على متن أبي الضياء سيدي الخليل في فقه مذهب ملك بن انس رضي الله عنه، ويذكر أبو القاسم الحفناوي أن الشيخ الرماصي، قال في طالعتها بعد البسملة والتلاوة وتعريفه بنفسه ما يلي: لما كان علم الفقه أفضل العلوم بعد كتاب الله وسنة رسول الله، إذ به تعرف الأحكام ويتميز الحلال من الحرام"[13].

اعتمد على هذه الحاشية، الشيخ الدردير في شرحه على مختصر خليل، وكذلك الشيخ البناني الفاسي[14].

بلغ الرماصي شهرة ومكانة واسعة في بلاد المغرب العربي، بلوحتى في المشرق، والدليل على ذلك انه أشاد به الكثير من الشعراء، أمثال العلامة محمد ابن حواء دفين مستغانم الذي تحدث عنه في منظومته سبيكة العقيان في من حل بمستغانم وأحوازها قائلا[15]:

قلت وقد أدركت بذا الوادي * وغيرها بحوز هذا الوادي

مشائخنا أئمة حفاظا * متابعين علمهم ايقاظا

أو لهم شيخ العصر * غزة جمع علماء القطر

خاتمة الحفاظ والنقاد * شمس بدور الأقوياء الأفراد

فاتح قفل مشكلات الوصل * سراج عيش الظلمات الدهم

رئيس جمع الأقوياء الغواص * المصطفى محمد الرماصي

---

[11]- الحفناوي، المرجع السابق، ص443.

[12]- عادل نوهيض، المرجع السابق، ص152.

[13]- الحفناوي، نفس المرجع، ص443.

[14]- المهدي بوعبدلي، نفس المرجع، ص171.

[15]- نفسه، ص172- 173.

عبد القادر المشرفي (ت1192ه/1778م):

هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن احمد بن أبي جلال المشرفي الغريسي ثم المعسكري، المعروف بـــبن عبد الله وعرف أيضا ب: سقط[16]، ويذكر عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، انه لقب بهذا الاسم لضرب سبع له وهو راكب على فرس مجروحا، واخبره بذلك فقيه المشرفين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عب[17]، كان المشرفي اعلم أهل عصره، حتى لقب بإمام الراشدية وشيخ الجماعة[18].ولد ونشأ في قرية الكرطقرب مدينة معسكر، وتثقف في المنطقة على علماء عصره، [19]، اشتغل بالتدريس، فعين مدرسا بمعهد الشيخ مصطفى بن مختار، وابنه محي الدين بالقيطنة بوادي الحمام مدة من الزمن، وبعد ذلك أسس لنفسه زاوية ومعهدا علميا بمسقط رأسه الكرط[20]، وكان المشرفي عالما تحريرا ومحدثا أمينا، قرأ عن شيوخ كثيرين واخذ عن فطاحل من علماء المشرق والمغربالذين أجازوه منهم: الشيخ محمد بن محمد بن عربي البناني المكي المالكي، وعلي بن محمد الميلي ومحمد بن محمد شهاب الدين الأنصاري المدني، والهادي بن محمد الحسني، ومحمد بن حسن الميقاتيالأسكندري المالكين ومحمد سعيد القادري الملقب ب :درويش، ومحمد بن عبد الرسول العطار المكي، وشمس الدين محمد بن علي الشنواني ومحمد صالح الرئيس الزمزمي المكي، ومفتاح الدين ابن حسام الدين البخاري[21]، وحسن بن علي القويسي، وعبد القادر بن محمد

---

[16]– عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1972– ص6.

[17]– عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، فهرس الفهارس ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، دار الغرب الاسلامي، 1982– ج1– ص577.

[18]– الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص100.

[19]– يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، نفس المرجع، ص231– 232.

[20]– **الكرط:** قرية تبعد عن معسكر بنحو 4 كلم بها إلى الآن قبيلة المشارف التي ينتمي إليها الشيخ عبد القادر المشرفين وقد يمي هذه القرية الشيخ محمد العربي بن عبد الله شنتوف ت1930– بدي كرطوش، وذلك في مقدمته لديوان ذابيه المسمى الحلل السندسية، حسب زين الدين العابدين بن حنفية، أبو راس الناصري حياته وتصوفه من كتابه الحاوي، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، 2004– ص35.

[21]– عبد القادر المشرفي، : نفس المرجع، ص7.

السنوسي بن محمد، والحفاظ مرتضى، وعلي بن عبد القادر بن المين، وحسين بن مصطفى بن خليل التونسي، وحمزة العلام التونسي ومحمد بن قاسم المحجوب التونسي[22]. ويذكر أبي راس الناصري في كتابه فتح الاله ومنته أنه أخذ أيضا عن العلامة أبي عبد الله محمد المنور التلمساني، الكثير من الفقه والأصول وعلم الكلام والنحو والبيان[23].

كما تتلمذ على علماء أجلاء، منهم أبو راس الناصري المعسكري الذي وجد فيه الموجه والمشجع على التأليف، والاهتمام بالتاريخ، وكان الشيخ المشرفي محل تقدير وإجلال لدى تلميذه الناصري فلقد كلن هذا الأخير ير يبيت طيلة الليل مكبا على مطالعة الكتب، والبحث في بطون الحواشي والشروح، فتشفق عليه ابنته زولة وتستعطفه في الاقتصار فيجيبها قائلا كيف ينام والدك وخلفه سقط[24].

يصفه أبو رأس الناصري في كتابه فتح الاله ومنته في ذكر شيوخه قائلا: شيخنا ذو الرأي النير الصفي والمنصب الحفي، والسر الخفي...أتقن علوما جمة، وبرع فيها، له في التوقيع النهاية، وأقر له من رآه بالبراعة والكفاية، ودفت له من الطلبة دافة، وأذن له أهل عصره كافة، لاسيما سيرته الحميدة وعفته ونزاهته الفريدة..."[25].كما يذكر الناصري بانه كان لشيخه كرامات خارقة، ومناقب رائعة، من كرامته نذكر[26]:

■ أن ظالما من الحشم، سرق كباشا من حلته يقال له عبد الرحمن، فذهب إليه الشيخ فوجده يقسم لحمها، فلما رآه شتمه، فقال له يأخذك الله، فلم تمض عليه جمعة إلا وهو بسوق أم عسكر مقطوع اليدين والرجلين للصوصية أخرى ظهرت عليه.

---

[22]– عبد الحي بن عبد الكريم الكتاني، نفس المرجع، ص277-278.

[23]– محمد أبو راس، فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه محمد بتن عبد الكريم، الجزائر، مؤسسة الوطنية للكتاب، : 1990- ص53.

[24]– عبد القادر المشرفي، نفس المرجع، ص6.

[25]– محمد أبو راس، نفس المرجع، ص53.

[26]– نفسه، ص53-54.

■ أن قائد أم عسكر، أتى بجماعة من المشارف[27]، محزومين من أوساطهم بحبل فذهب الشيخ للباي خليل فلم يسرحهم له، فبنفس ما خرج من عنده أصابه وجع كاد يموت منه، فأمره برده فرجع وسرح المشارف، وتضرع له فعفاه الله من فوره.

■ ومنها أيضا يقول أبي راس الناصري: إني زمن قراءتي للطلبة بموضعه سرقت لي نسخة (قرآن) جيدة فأخبرته فقال لي: تأتي عن قريب فوجدتها في حانوت بأم عسكر".

لم يكتف الناصري بهذا، بل رثاه بعد موته بقصيدة طويلة لمآثره الكثيرة، ومزاياه الكبيرة اقتطفنا منها هذه الأبيات[28]:

لقد كان للاسلام كهفا وملجأ * تراه في أقل الشؤون يبادر

له الباع في كل العلوم بأسرها * سريع الجواب عنها ليس بضائر.

شارك المشرفي على عادة علماء البلاد في حرب الإسبان بوهران، والتحرير الأول لها عام 1119ه-1708م، بقيادة الباي مصطفى بوشلاغم[29]، وقد بين تلميذه أبو راس ذلك في معرض الحديث عن الظروف التي استرجع فيها الإسبان وهران سنة 1144ه، بعد أن بقيت تحت يد المسلمين45 سنة . قال: لقد أخبرني شيخنا الأكمل وأستاذنا الأمثل خاتمة أهل التحقيق، وعمدة أهل التوفيق الشيخ سيدي قادة بن عبد الله المشرفي شرف الله في الجنان مكانه، وكان حاضرا لتلك الواقعة أن الكفرة لما تكامل عسكرهم في البر وبقي جل مددهم في البحر، لم يعملوا صفا للقتال و لم يطلبوا مجالدة الرجال، وإنما زحفوا للبلد بجميع الرجالة والفرسان، وهم كهيئة الرحي في الدوران، بارودهم كرعد متصل، ورصاصهم كمطر منهطل لا يستطيع أحد قربهم، ولا يكر شجاع نحوهم وان الباي

---

[27]- أشرة المشارف: تنتسب إلى مشرف بكسر الراء وفتحها، ابن عبد الرحمن بن مسعود، الذي قدم من بومصمغون، وتولىالقضاء بغريس لبعض أمراء بني زيان، ويتصل نسبهم بالشرفاء في فقيق بقصر وادي ربع، وجدهم العلى هو مشرف ابن غريب الذي ينتهي نسبه إلى إدريس الأكبر، ولعبت هذه الأسرة دورا كبيرا وهاما في حياة المنطقة جهادا وثقافة، وقال صاحب القول الأعم منها و لم تتعد الرئاسة فيما علمناه دار الشيخ المشرفي وأولاده، فإنهم الذين كانوا معتبرين عند الملوك الأتراك كانت لهم أيام الأتراك وأيام ابن عمنا الأمير... حسب الأغا بن عودة المزاري نفس المرجع، ص99-100.

[28]- محمد أبو راس، المصدر السابق، ص55-56.

[29]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، نفس المرجع، ص231- 232.

مصطفى بوشلاغم باي وهران وفاتحها مع بكداش باشا سنة 1119ه- سقط في ذلك اليوم عن فرسه لشدة تحريضه على الجهاد وكثرة عدوه[30]، وظل الشيخ المشرفي يحظى بتقدير طلبته وإجلال عامة الناس إلى أن وافته المنية بمسقط رأسه يوم الخميس 10 رمضان 1192هـ- 02 أكتوبر 1778م[31]، تاركا مصنفات أشهرها: رسالة في التنديد والتشهير بالقبائل التي كانت متعاون مع الإسبان المحتلين لوهران سماها بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر، وعدده تلك القبائل وهي: كريتشل وشافع وحميان وغمرة وقيزة وأولاد عبد الله وأولاد علي والونازرة[32]، واستعرض فيها العناصر التالية[33]:

- ذكر الإسبان ومواطنهم وأصلهم
- تحدث عن القبائل الموالية للإسبان، فذكر قبائل بني عامر وأصلهم ونسبهم وموطنهم وأعمالهم اتجاه ضواحي مدينة وهران طيلة استيلاء الإسبان على تلك المدينة.
- الحكم الشرعي لمن وقف من بني عامر بجانب الإسبان، وبقي متعاونا معهم أوتاب توبة نصوحة وندم على ما فرط منه.

يبدو أن المشرفي أراد من وراء هذه الرسالة، إبلاغ الجزائريين بضرورة المشاركة في الجهاد من أجل تحرير وهران من النصارى والاستعداد لذلك.

أما عن باقي مؤلفاته[34]فاهمها:

ـ رسالة محمد بن علي الخروبي المعروفة بالدرة الشريفةعلى أصول الطريقة".

---

[30]- المهدي بو عبدلي، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني: الأصالة، العدد 8- الجزائر، مطبعة البعث 1972- ص289- 290.

[31]- الآغا عودة المزاري: المصدر السابق، ص100.

[32]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص231-232.

[33]- عبد القادر المشرفي، المصدر السابق، ص6.

[34]- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين بيروت، دار الغرب الاسلامي، 1999- ص412- 413.

_نظما بعنوان عقد الجمان الملتقط من قصد قاموس الحقيقة الوسط: وكان هذا الشرح محل تقدير أبي راس الناصري، ومحمد بن مالك، كما علق عليه ابنه محمد الطاهر المشرفي.

_ مجموعة رسائل إخوانية جمعت الاهتمام بالفقه، والأدب من ضمنها رسالة موجهة للشيخ الحبيب الفيلالي توجد ضمن أوراق الخزانة العامة بالرباط (تحت رقم 258).

وقد ذكر الأستاذ عبد اللهالركيبي في كتابه تطور النشر الجزائري أن للمشرفي رحلة توجد ضمن مخطوطات زاوية الهامل.

أبو راس الناصري المعسكري (1150ه-1737م/ 1238ه-1823م):

هو العلامة محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن احمد بن الناصر الجليلي المعسكري الجزائري، لقب بالحافظ لغزارة علمه، كما كنى بأبو راس لكبر رأسه[35].

ويبدو أن ثمة اختلاف بخصوص تحديد سنة ميلاده فهناك، من يحددها سنة 1165ه[36] ومنهم من يحددذلك سنة 1150ه[37]، في حين تذكر سليمة بن عمر أن أبو راس نفسه تحدث عن مولده فقال: ولقد ولدت بعد المغرب ليلة الأحد، مستهل رجب الفرد وذلك سنة تسع وأربعين ومائة وألف"[38].

أما عن مكان ولادته، فقد كان بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري وبالضبط في مكان يقع بين جبل كرسوط وهونت[39].

نشأ أبو راس نشأة فقيرة جدا، اذ إشتغل أبوه في تعليم القرآن الكريم، ثمانتقل مع عائلته إلى متيجة أين فقد أمه ثم انتقل مع أبيه إلى مجاجة، وبعد فترة توفي والده فكفله أخوه الأكبر الذي حمله معه إلى المغرب[40].

ولقد أكدت ذلك سليمة عمر، بحيث تذكر بان أبو راس نفسه أشار إلى ذلك في قوله:" ثم بقيت بعد أمي في بيت أبي وأنا وأخي العارف الماهر السيد عبد القادر رحمه الله، فأتانا اخونا الكبر الماجد السيد عمر فانقلب بنا إلى المغرب، أما أخي فيمشي أما أنا فحملني على عاتقه لصغري"[41].

أما عن حياته العلمية فلقد بدأ تعليمه في الكتاب بمتيجة، ثم بمجاجة، وحفظ القرآن الكريم عندما كان مقيما بالمغرب، ولما شب عاد إلى بلده بشيء من العلم، وفي هذه الأثناء كانت مدينة مازونة

---

[35]- محمد أبو راس، الحلل السندسية فسي شان وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق سليمة بن عمر، دار صنين للطباعة والنشر، 2002- ص32.

[36]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2* ص377.

[37]- خير الدين الزركلي، : الأعلام، ج6- ص242.

[38]- محمد أبو راس، المصدر السابق، ص31.

[39]- هونت: تتبع الان ولاية سعيدة، بلدية سيدي بوكبر، حسب زين العابدين بن حنيفة، نفس المرجع، ص24.

[40]- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص460.

[41]- محمد أبو راس، الحلل السندسية في شان وهران والجزرة الأندلسية، المصدر السابق، ص35.

حافلة بالعلماء، لاسيما منهم حملة الشريعة، أهل الفقهوعلوم الدين.فقصدها أبو راس، ودرس بها الفقه المالكي بمختصر خليل، : وأتقنه حفظا وفهما[42]، وكان مرافقه في مازونة الشيخ محمد ابن قندوز[43].

وبعد إنهاء دراسته عاد إلى مدينة معسكر، سمع بالشيخ المشرفي، فاتصلبه وتتلمذ على يده وتأثر به كثيرا ولازمه مدة من الزمن.ولما شعر بالاستقلال العلمي، انتقل إلى البادية، وتزوج هناك، وبدأ بنشر علمه الذي حصل عليه، كما تولى القضاء وقد دام على هذه الحال سنتين ثم عاد إلى معسكر، لأنه أحس بضعف معلوماته في الريف، واستقر بمعسكر ستة وثلاثين سنة[44]. يعزز ذلك محمد غانم حين يذكر أنه أي أبو راس بعدما رجع إلى معسكر، شمر عن ساعديه للتدريس مدة ست وثلاثين سنة، فكان يورد درسه على التحقيق والتدقيق ويرشحه بتتمة أو لطيفة مهمة أو تنبيه وجيه أو تكميل وتذييل، إلى أن صارت حضرته في العلم تذكر في الآفاق وتناظر دروس مصر والشام والعراق[45]، وخلال هذه الفترة اشتهر بسعة اطلاعه، وكثرة تأليفه. ونظرا للدرجة التي بلغها، رشحه شيخه المشرفي ليكون خليفة له في التدريس، ولقد كان يبلغ عدد طلبته في التدريس 780 مستمعا[46]. وهذا ما يؤكد على قدرته وتضلعه في العلم.

ويبدو ان اهم ما يميز حياته العلمية كثرة شيوخه، فلقد أفرد بابا خاصا بهم في مؤلفه فتح الاله ومنته سماه في عدة أشياخي، : عرض فيه أسماء الشيوخ الذين اخذ عنهم ومن الذين ذكرهم[47]: الشيخ محمد الأسعد، : محمد بن عبد القادر القاضي، محمد بن عوالي، عبدالقادر بن محمد بن سليمان السماحي، ابو العباس احمد بن أبي محلى، احمد بن عمار محمد بن جعدون، محمد بن عبد

---

[42]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص570.

[43] –Molay Belhamissi ،opcit ،P 50.

[44]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2– ص460.

[45]- محمد غانم، أبو راس المعسكري : مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري، مجلة الحضارة الاسلامية، العدد : 12، السنة: 2005، ص : 180

[46]– ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي، المرجع السابق، ص460.

[47]– محمد أبو راس: فتح الاله ومنته، المصدر السابق، ص46–52.

الرحمن التلمساني، محمد بن قاسم المحجوب، محمد بيرم، الإمام مرتضى وغيرهم من الشيوخ الذين ساعدوه على شق حياته التعليمية.[48]

من الواضح أن هؤلاء الشيوخ، التقى بهم خلال رحلاته التي قام بها، فلقد تنقل أبو راس كثيرا سواء داخل بلاده الجزائر مثل زيارته للقيطنة، ومازونة ومستغانم والجزائر العاصمة، وفي الآن نفسه تنقل كثيرا خارج الجزائر فزار المغرب، وذهب إلى المشرق، فزار الحجاز والشام ومصر كما اتصل بعلماء تونس[49]، هذا وقد أخرج الناصري الكثير من فطاحل العلماء كالشيخ سيدي عبد القادر هزيل[50].وأبو حامد المشرفي.[51] وبن عبد الله سقاط المشرفي[52]. وسيدي محمد الخضير المهاجي.

يبدو ان الناصري قد نال احترام وتقدير من السلطة العثمانية، فلقد كانت صلته وطيدة بالبايات لاسيما الباي محمد الكبير، الذي خصه أبو راس بالقصائد، والتأليف، كما بنى بعض البايات لأبي راس قبة ومكتبة[53].شارك أبو راس كغيره من العلماء في الجهاد ضد الاسبان لفتح وهران سنة

---

[48]- حمدادو بن عمر، أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية : 1737 – 1823، مذكرة ماجستير، جامعة وهران: 2003 – 2002

[49]– محمد أبو راس الحلل السندسية...، المصدر السابق، ص41.

[50]– بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والدب (تلمسان: مطبعة ابن خلدون 1961)- ص13.

[51]– أبو حامد المشرفي، معاصر الأمير عبد القادر، ولد بغريس في قرية الكرط، وتثقف بها على علماء عصره حتى أصبح كاتبا وشاعرا وناقدان، بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر ووهران سافر إلى فاس ووثق صلته بسلاطين المغرب الأقصى خاصة الحسن الأول، ألف عدة كتب ودواوين شعرية أحصى له د أبو القاسم سعد الله ما يقرب 28 مخطوطة شعرا ونثرا بين طويلة وقصيرة. منها كتاب ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، وكتاب ذخيرة الأواخر والأول فيما ينظم من أخبار الدول وغيرها، توفي بفاس عام 1311-1893م: حسب الآغا بن عودة المزاري، نفس المرجع، ص101.

[52]– محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي، حفيد الشيخ عبد القادر المشرفي، كان إماما في الفقه والحديث، : وتولى القضاء للأتراك وكان ضمن الموقعين على وثيقة المبايعة لأمير عبد القادر، توفي مسموما بمكناس ودفن بها، حسب نفسه، ص100-101.

[53]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2- ص379.

1206- 1795م[54]، ونظم لذلك قصيدة سماها نفيسة الجمان في فتح ثغر وهران، على يد المنصور بالله الباي سيدي محمد بت عثمان مطلعها[55]:

طيب الرياح على كل الأفالق جوسي * وبشر البكم مع الجن والأنس

بالمغرب الأقصى وأقاصي مشرقنا * والجو والضر والأشجار والودس

طوامي إلا بحر وأهل جزائرها * بفتح وهران دار الشرك والومس

على الرغم من أن ثقافة أبو راس، كانت ثقافة عامة غير متخصصة، وثقافة محلية تعتمد على المجهود الشخصي أكثر من شيء أخر، يعززها ذكاء حاد، وذاكرة قوية، وطموح بعيد المدى، إلا أنه تمكن من ترك مجموعة كبيرة من التأليف في مختلف العلوم والفنون تضاهي في عددها تأليف أكبر علماء عصره كالسيوطي، ويذكر يحي بوعزيز أن بوراس نفسه يؤكد تلك الحقيقة بقوله: إن التشبث بمن سلف سنة لا بدعة، وأن الملاذ بهم أصل الشيء وفرعه، وكان من سلف كالسيوطي وغيره، عدد ما انعم الله به عليه من التأليف والتعاليق والتصانيف، فاقتيدت بهم في وضع ذلك وسلكت ما لهم من تلك المسالك..."[56].

إختلفت الأقوال، حول عدد تأليفه فمنهممننسب له نحو خمسون كتابا[57]، والبعض الآخر نسب إليه حوالي مائة وأربعين مصنفا[58]. وآخرون نسبوا إليه مائة وسبعة وثلاثين كتابا[59]، وفي هذا السياق يذكر حمدادو: على ما يبدو أن أبا راس قد خلف كتبا كثيرة في مجال التاريخ وغيره بعضها موجود وبعضها مفقود، حيث ذكر أن مجموع تآليفه بلغت نحو الخمسين كتابا في التفسير والتاريخ والأدب والتراجم والرحلات.[60] بينما ذهب يحي بوعزيز إلى أن مؤلفاته قد بلغت ما يزيد عن

---

[54]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص571.

[55]- بلهاشمي بن بكار، المصدر السابق، ص13.

[56]- يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، نفس المرجع، ص236.

[57]- خير الدين الزركلي، نفس المرجع، ص242.

[58]- عبد الرحمن الجيلالي:، نفس المرجع، ص577.

[59]- أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ج2- ص380.

[60]- حمدادو بن عمر : أبو راس الناصر، المرجع السابق، ص 86.

الستين كتابا، كما نسب إليه أزيد من ثلاثين ومائة مصنف في مختلف الأغراض بين كبي كبير وصغير وبين تأليف وشرح وتعليق وتلخيص، منها ما نشر ومنها ما زال محفوظا ومنها ما أعتبر في حكم المفقود.[61]

يذكر أبوالقاسم سعد الله أن الناصري أشار في رحلته إلى ثلاثة وستين كتابا بين صغير وكبير، وقسمها إلى 13 قسما مبتدئا بالقرآن الكريم ومنتهيا بالشعر[62] ومن أشهر تأليفه[63]:

- عجائب الأسفار
- الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية
- الدرة الأنيقة
- إسماع الأصم
- الحلل السندسية
- رحلته المسماة فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته.

[61]- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا المرجع السابق، ص 164.

[62]– أبو القاسم سعد الله، نفس المرجع، ج2– ص380.

[63]– نفسه.

وغيرها من التأليف التي ضاع معظمها، ويشير سعد الله كذلكبأنه هناك كتب منسوبة إليه و لم يطلع عليها وهي: كتاب في أخبار ملوك الترك والروم، وآخر في ملوك فرنسا، وآخر في أنساب الجن[64].

ظل أبو راس طيلة حياته التي اتصفت بالتقشف والحرمان، يشتغل بالتدريس والتأليف، حتى وافته المنية عن سن يناهز 91 سنة، وكان ذلكم يوم الأربعاء 15 شعبان 1238ه- 27 أبريل 1823م.

دفن بمسقط رأسه بمعسكر في مكان يسمى عقبة باب علي[65].

من خلال ما استعرضناه يبدو أن القطاع الغربي الجزائري برز فيه عدد من العلماء، الذين لا تزال بعض أثارهم باقية لحد اليوم، ساهموا مساهمة فعالة في إحياء التراث العربي الإسلامي، وتنشيط الحركة الثقافية وإحيائها . فما هي علاقة هؤولاء العلماء بالسلطة العثمانية ؟ وما كانت حالتهم مع بداية الإحتلال الفرنسي ؟

الشيخ العربي المشرفي : 1805 – 1895 م :

هو العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي، وقد وجد إلتباس كبير حول إسمه الكامل وكنيته حينما يرد بصيغ متعددة، منها العربي بن عبد القادر بن علي، والعربي بن علي، وأبو محمد العربي بن علي المشرفي، والعربي المشرفي[66] ولد في قرية الكرط بضواحي مدينة الكرط، هذه القرية التي تعد بلاد الشخصيات المشرفة (المشارف) . وقد ذهب لحي بوعزيز إلى أنه ولد بغريس[67] وإذا إعتبرنا قرية الكرط هذه جزءا من سهل غريس، فيبدوا أن بوعزيز لم يجانب الصواب . أما عن

[64]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2– ص380.

[65]– الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص349.

[66]عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895م حياته وآثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران 2006–2007 ص 57.

[67] يحي بو عزيز، اعلام الفكر والثقافة، المرجع السابق، ص 232.

تاريخ ولادته فيضعه عبد الحق شرف ما بين نهاية سنة 1804 وبداية سنة 1805م إ سنادا إلى أنه توفي سنة 1895م عن عمر يناهز التسعين[68].

ينتسب العربي المشرفي إلى أسرة المشارف التي إضطلع أفرادها بمهام علمية ودينية في منطقة غريس، سواء في الفترة العثمانية[69]، أو مع بداية الإحتلال الفرنسي، إذ نسجل وجود الشيخ عبد الله سقاط ضمن أعضاء الجهاز الشوري لأمير عبد القادر . وفي هذا السياق يذكر سعد الله أن المشرفي نشأ في بيئة عائلية مجبولة على ترسيخ مبادئ التربية المتأصلة في أوساط الزوايا والشرفاء، وتلقين أبناءها علوم عصرها خصوصا وأنها كانت تمتلك مكتبة خاصة[70]

في هذا المناخ العلمي، ترعرع المشرفي وتعلم، فأخذ أصول التربية الإسلامية وتلقى تكوينا فقهيا وأدبيا على غرار علماء عصره، ابتداءا من بيت عائلته عن طريق والده عبد القادر بن علي المشرفي الذي اشتهر بغزارة العلم الشرعي، كما التحق العربي المشرفي بكتاب قرية الكرط حسبما تقتضيه التربية الدينية لأبناء المنطقة، أما شيوخه الذين تتلمذ عليهم في هذه المرحلة، فيذكرهم عبد الحق شرف كالتالي[71] :

- سيدي عبد الله بن ديدة الذي أخذ منه أحكام القراءة في الرسم والضبط
- سيدي محمد بن عبد الرحمن
- العربي بن عدلة

وبعد تنقله إلى معسكر أخذ عن مجموعة من شيوخها[72]

---

[68] عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص 57.

[69] ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5 المرجع السابق، ص 391.

[70] يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة ص 232

[71] عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص، ص 63-69

[72] يراجع العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، مخطوط بخزانة محمودي البشير البرج ولاية معسكر، وكذلك الرد على أبي راس الناصري المعسكري، مخطوط بمكتبة بوكعبر بلقرد، معسكر

- محمد بن عبد الله سقاط المشرفي الذي كان من كبار المحدثين والمسندين أخذ عنه المشرفي النحو والفقه، وعلم العروض ...
- الطيب بن عبد الرحمن الذي أخذ عنه النحو
- أحمد بن التهامي أخذ عنه المشرفي في الفقه
- مصطفى بن احمد التهامي المتخصص في النحو
- محمد بوسيف العامري التراري الذي قرأ عليه مختصر خليل
- بن عب بن المصطفى
- الطاهر المشرفي
- عبد القادر بن مصطفى بن الأحمر
- السنوسي بن عبد القادر
- ثم انتقل العربي المشرفي إلى مستغانم ليتلمذ على علمائها ومشايخها وهم :
- محمد بن صابر
- محمد بن عامر البرجي
- محمد بن عاشر
- عبد القادر بن القندوز
- خليل الفرندي
- عبد القادر المستغانمي
- ابن صابر المستغانمي – محمد عامر البرجي-

إظطر العربي المشرفي بعد ذلك للهجرة إلى المغرب، وبخاصة بعد هزيمة الأمير عبد القادر في معركة عين طاقين سنة 1843م[73] وما شهدته هذه الفترة من أهوال وتغير الأحوال . يعزز هذه الفكرة سعد الله قائلا إن المشرفي كان قد هاجر على وقع المحن والشدائد[74] . ويبدو أن سياسة فرنسا الرامية للقضاء على مقاومة الأمير وتضييق الخناق عليه خاصة، وللسيطرة على البلاد والعباد عامة . وما نتج عنها من أثاروإنعكاسات دفعت المشرفي وكثيرا من الأفراد والعائلات إلى الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام .

أما عن وجهة هجرته إلى المغرب فنعتقد أنه راجع الأول هو إرتباط جل الأسر والعائلات في بايلك الغرب بالمغرب اجتماعيا وثقافيا مع الإشارة إلى ان المغرب كان يعد لحد 1843 قاعدة لدعم المقاومة المسلحة بقيادة الأمير عبد القادر[75] .

الثاني كان المغرب بالنسبة للمشرفي وآخرين أقرب بلد إسلامي قد يلجأون إليه هروبا من فتنة الإستعمار الفرنسي .

وصل المشرفي إلى وجدة ومنها توجه إلى فاس أين أستقبل بحفاوة من قبل بعض عائلاتها إلا أن تغير طبيعة العلاقة مابين السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام والأمير عبد القادر بعد سنة 1844 . جعل المغرب يصدر أمرا بالقبض على كل المقيمين بفاس من الحشم وبني عامر واللذين كان العربي المشرفي من بينهم وقد تم إطلاق سراح بعضهم في الأخير وإستثنى المشرفي من هذا القرار بسبب إتهامه بتحرير رسالة للأمير عبد القادر إعتبرت مسا بأمن من المغرب الداخلي[76] .

---

[73] كانت هذه المعركة في 15 ماي 1843 من نواحي تيارت .

[74] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، الجزائر = المؤسسة الوطنية للكتاب 1983، ص : 204

[75] بونقاب مختار، صورة الأمير عبد القادر من خلال الكتابات المغربية، محاضرة ألقيت في الملتقى الدولي " الامير عبد القادر : رجل عابر للزمن" تلمسان 2012، تحت طبع في المجلة العربية للدراسات التاريخية، جامعة سيدي بالعباس.

[76] عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص : 81 .

بعد الرسائل التي كتبها المشرفي للسلطان المغربي ونظرا لإنهاء مقاومة الأمير عبد القادر أطلق عبد الرحمن بن هشام سراح العربي المشرفي وسمح له بالإتجاه للحجاز لأداء فريضة الحج وذلك سنة 1849 .

إستقر المشرفي بفاس لكنه عين كمدرس من الطبقة الثانية لأنه كان من الغرباء فلقي العوز والتهميش مما دفعت إلى إمتهان حرفة نسخ الكتب بهدف الإسترزاق كما لم يمنعه ذلك من الكتابة والتأليف في مختلف العلوم والفنون : جمعها عبد الحق شرف . أهمها [77]

- في التاريخ
- في الأنساب والمناقب
- في الرحلات
- في ردود أدبية وفقهية

كما خلق بعد وفاته مجموعة من التلاميذ أبرزهم :

- محمد بن محمد بن المصطفى المشرفي، كان أديبا كما تولى القضاء
- علي بن الحاج موسى الجزائري، عالم محدث وقاضي
- عبد القادر بن البشير، عالم
- أبو العباس السيد أحمد، قاضي

كان المشرفي فقيها، وعالما وأديبا، إمتاز بقوة علمه وكثرة كتاباته وتنوعها فألف في التاريخ والرحلات، والأنساب، والطب، والأدب، والفقه . فكان بحق مؤرخا بارعا، وأديبا شاعرا .

إمتازت معظم كتاباته بالمزاج الحاد والأسلوب الجارح كإنعكاس لما عاناه من تهميش وضيق في العيش ترك لنا المشرفي مجموعة من التآليف ضاع بعضها ولاتزال بعض جوانب حياته

[77] عبد الحق شرف، المرجع السابق، ص، ص : 110، 161.

سواء في الجزائر أو المغرب تسودها الضبابية لطبيعة الفترة التي عاش فيها، وما يميزها من أحداث حساسة .

أثمرت جهود العلماء والفقهاء الثقافية في تطور الحياة العلمية والفكرية بصفة عامة، إذ أعدوا رجالا وصفوا في المصادر التاريخية العربية بالطلبة، الذين كانوا وراء تحرير وهران ومثلوا جيشا عربيا من المثقفين قواده العلماء.

كما سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر، لاسيما القطاع الغربي منها خلال العهد العثماني، ولقد تعاون كل من العلماء والمتصوفة على خدمة العلم وتطويره، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل الآتي: ما كان مصير تلك الجهود الثقافية والعلمية؟ هل استمرت أم أنها ضاعت في خضم المشاكل السياسية العويصة التي عرفها البايلك الغربي خاصة والجزائر العثمانية العامة؟.

ولمعرفة ذلك كان لابد من رفع الستار عن حقيقة ومكانة العلماء والمتصوفة لدى السلطة العثمانية، وكذلك إلى أي مدى استطاع العلماء التوافق مع السلطة العثمانية من جهة والمتصوفة من جهة ثانية.

2-علاقة العلماء بالحكام:

العلماءهم الفئة المثقفة والمتعلمة، وقد كان لها من السمعة والهيبة ما جعلها محل احترام وتقدير من قبل العامة، وتمثل دورها في احتلال مناصب هامة وحساسة في آن واحد كالتعليم والإفتاء والإمامة والقضاء.

وحسب ما يذكره أبو قاسم سعد الله أنهم كانوا يمثلون الرأي العام، فقد كانوا على صلة وطيدة بالناس في الدروس، ومجالس، الفتوى، والقضاء، والزوايا، وخطب الجمعة، ونحو ذلك، ومن جهة أخرى كان الناس يثقون فيهم أكثر مما كانوا يثقون في رجال السياسة والحرب[78].

ولهذه المكانة التي كانت للعلماء، كان العثمانيون يقدرونهم ويخشونهم ويتقربون منهم ومنحوهم الهدايا إرضاء لهم، وفي نفس الوقت كان العلماء في حاجة إلى رجال الدولة طمعا في المال والوظيفة أو تأييد ضد منافس.

وعلى هذا فإذا أردنا تحديد العلاقة التي كانت تجمع الحكام بالعلماء، فإنه يمكننا أن نصنفها بأنها لم تكن دائما مستقرة، وفي اتجاه واحد بل قد نجد انسجام العلماء والحكام وتقاربهم أحيانا كما نجد صراعات وخلافات بينهما أحيانا أخرى.

ويبدو وأن باياتبايلك الغرب الجزائريين لم ينحرفوا عن خط السياسة العثمانية اتجاه العلماء والفقهاء والأدباء، القائمة على الاحترام والتزام بين الطرفين الحاكم من جهة والعالم والفقيه من جهة أخرى، إذ أكبر عمل يستطيع العالم القيام به تنحو الحاكم تقديم النصيحة والمشورة في إطار الشريعة الإسلامية.

لكن على الرغم من الوظائف التي حاز عليها العلماء والفقهاء، إذ أن وضعهم قد ساء ويشير أبو قاسم سعد الله أن سبب ذلك راجع إلى التنافس الذي كان بينهم سواء تنافس فردي أو عائلي،

[78]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1- ص409.

والأكثر من ذلك كانوا يورثون وظائفهم إلى أبنائهم وأتباعهم[79] الأمر الذي أدى إلى انحطاط المستوى الثقافي وتدهوره.

لهذا حاول بعض البايات تدارك الأمر وإصلاحه أمثال الباي محمد الكبير، الذي سعى إلى تقريبهم من مجلسه بقصره، والأحسان إليهم وتكريمهم كلما حانت المناسبة[80]، كما أن العلماء هم بدورهم تقربوا من الباي وبادلوه نفس الاحترام والتقدير، إذ نجد أن معظمهم قد خلدوا تاريخه ومآثره بكتاباتهم أمثال الشيخ احمد بن سحنون الراشدي صاحب الثغر الجماني الذي أشاد بمنشآت الباي التعليمية واهتماماته بالثقافة والمثقفين فيقول في ذلك:".... أما حبه للعلم وإحسانه إلى العلماء قد شاع منه ما يغني عن الأخبار..."[81] ونجد أيضا العالم محمد ابن هطال التلمساني، الذي ألف كتابا سماه رحلة الباي محمد الكبير". وفيه يعتز بالباي لحرصه على الثقافة والمثقفين أيضا فقال:"... لقد كان يعتني بالثقافة والمثقفين، لذا بنى المدارس للطلبة، ووفر لهم المؤن، وهيأ لهم الوسائل التي تساعدهم على المضي في طلب العلم..."[82].

ويبدو أن بعض العلماء مارسوا وظائف حكومية في إطار ما يسمى بديوان الباي أمثال الشيخ ابن زرفة الدحاوي، الذي كان كاتبا لدى الباي محمد الكبير ومساعدا لرئيس الرباط رباط وهران خلال الحصار الثاني عليها عام 1206هـ- 1792م[83]. كما كان أحمد بن هطال التلمساني

---

[79]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1- ص402- 409.

[80]- بلبراوات بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري 1779- 1797- أطروحة ماجستير جامعة وهران، 2001- 2002-ص286.

[81]- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص146.

[82]- أحمد بن هطال التلمساني، هو أبو العباس الحاج احمد بن محمد بن علي بن احمد بن هطال التلمساني، كان كاتبا ومستشارا للباي محمد الكبير ومبعوثا له في المهمات الخارجية، وظل يشغل نفس المنصب في عهد الباي محمد بن عثمان ولما توفي هذا الأخير أصبح ابن هطال كاتبا للباي مصطفى بن عبد الله العجمي، استشهد ابن هطال في معركة وقعت بين الأتراك وابن الشريف الدرقاوي وذلك في أوائل ربيع الول سنة 1219ه، حسب أحمد بن هطال التلمساني، نفس المرجع، ص12-19.

[83]- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص63.

كاتبا أيضا للباي محمد الكبير ومبعوثا له في المهمات الخارجية[84]، وكذلك حسين خوجة الذي كان في ديوان لإنشاء للباي[85]. ومن هنا يتضح لنا مدى المكانة التي اكتسبها العلماء، وذلك لسمعتهم الطيبة وأخلاقهم الحسنة، والظاهر أن الباي محمد الكبير:، عمل على تقريب العلماء منه لدرجة كبيرة فكان يجالسهم بل حتى يشاورهم في أمور السياسة وغيرها، وهذا ما يستنبط من قول الأستاذ بلبروات بأنه عثر على نص لأبي راس الناصري في رحلته يؤكد فيه على مجالس الباي للناصري، جاء فيه ما يلي:" وكنت مرة قصدت وهران وافدا كل حضرة، السيد محمد الباي ابن عثمان أخلص الله جهاده، فانجر الكلام إلى أن قلت: الأمر الفلاني ....، فقال لي :... السيد محمد بن حسن، وكان رحمه الله ذا حد في النحو واللغة وسائر العلوم، ولاسيما الأدب، فقال لي: كل شيء، بكسر الهمزة، والباي رحمة الله ينظر إلينا"[86].

وقد كان الباي محمد الكبير يشجع على التأليف، ويجزل العطاء للعلماء والأدباء وجميع المؤلفين، ومن ذلك أنه كلف كاتبه ابن زرفة الدحاوي بتسجيل حوادث فتح وهران، فسجلها وجمعها في كتاب سماه الرحلة القمرية في السيرة المحمدية" وأتمه في نفس السنة 1206هـ-1791م-1792م[87] كما امر ابن سحنون الراشدي بتلخيص لهالأغاني في كتاب واحد وأتى به على ذلك بـــ100 دينار ذهب، كما منحه أيضا خمسين دينار ذهبا لأنه جمع له كتابا في علم الطب، بالإضافة إلى جوائز أخرى عندما قدم له ابن سحنون كتابه في الأدب" عقود المحاسن" وكتابه شرح العقيقة"[88].

---

[84]- احمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص13.

[85]- الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص98.

[86]- بلبروات، المرجع السابق، ص256.

[87]- الآغا بين عودة مزاري، المصدر السابق، ص63.

[88]- احمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791- سيرته حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب 1986- ص141.

وأثاب أيضا الشعراء أمثال ابن علال الذي منحه خمسين محبوبا ذهبيا في قصيدة يتحدث فيها إثر غزوة غزاها[89].

هذا وقد اعتمد الباي محمد الكبير على علماء وفقهاء البايلك في قيادة الطلبة المرابطين في تحرير وهران من الإسبان.لكن يبدوا وان الباي محمد الكبير، لم يكن وحده الذي ولى اهتماما بالعلماء والفقهاء وبالثقافة والمثقفين، بل كان هناك أيضا بايات أخرون عملوا على نفس السياسة أمثال الباي مصطفى بوشلاغم، الذي جند العلماء في حربه ضد الإسبان[90] والباي حسن باشا الذي اهتم ببناء المساجدالتي كانت دورا للتعليم والتثقيف بعد تحريره وهران كبناءه المسجد المعروف بمسجد حسن باشا، وفي ذلك يقول أبو القاسم الزياني: ثم أمهلم إلى تطهير بقعة، كانت تقرب دار الخلافة مجمعا للأشرار، وتباع بها الخمر للكفار، فاشتراها وما حولها بمال معتبر، وصيرها مسجدا جامعا للإسلام، ومعبد الأمل والخير والدين والعلماء والأعلام.[91] كما نجد أن الكثير من العلماء كانوا يرثون بعض البايات الذين كانت لهم مآثر طيبة ومكانة حسنة، من ذلك الرثاء الذي كتبه أبو راس الناصري في الباي بوكابوس، باي وهران[92]. وللإشارة فقط فإنه لم يكن جميع العلماء يحزون بنفس المكانة والتقدير، بل كان هناك بعض العلماء والفقهاء الذين لم يسعفهم الحظ لنيل ذلك الاحترام، وهذا راجع إما لطبيعة العلماء أنفسهم من جهة، أو لطبيعة الحكام من جهة أخرى.

وعلى العموم فلقد كانت هنالك اضطرابات متواصلة في العلاقة التي تجمع الطرفين معا، ففي مدينة تلمسان مثلا نجد معظم علمائها فروا إلى المغرب في عدة موجات بدايتها عند دخول العثمانيين وربما هذا راجع إلى سوء معاملة الأتراك لهم، وآخرها عند ظهور ثورة درقاوة.

---

[89]– احمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 141.

[90]– أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1– ص420.

[91]– مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص187– 188.

[92]– الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص337.

وكان من أشهر العلماء الذين هاجروا إلى المغرب محمد بن مرزوق الخطيب، ومحمد بن شقرون الوجيجي، وغيرهم من العلماء[93].

هذا وقد لقي بعض علماء تلمسان، مضايقات من حكام المدينة على الرغم من مكانتهم ومستواهم التعليمي.

ولقد تعرض أيضا علماء وهران إلى نفس المضايقات فلقد أقبل حسن باشا على حجز الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر، بعد عودتهما من الحج عام 1243هـ، ولم يسمح لهما بالسير إلا بعد مداخلات وتوسلات[94].

في ظل ما استعرضناه يتبين لنا أن بعض بايات الغرب الجزائريين قد استثمروا في المجال الثقافي وعظموا أهل العلم والفقه والأدب، بغية كسب تأييدهم العلماء والفقهاء والمتصوفة واستغلال قدراتهم وإرساء الدعامة الشعبية وتثبيت أركان حكمهم ببايلك الغرب، ومن ثمة بعث الحيوية في مشروعهم النهضوي، كما وفقوا إلى حد بعيد في إحاطة أنفسهم بهالة من الشعراء يثنون عليهم ويمدحونهم لنجاح سعيهم.

لكن من جهة الأخرى نرى أن البعض الآخر من البايات، أهملوا الجانب الثقافي وأساؤوا في معاملتهم للعلماء، ربما خوفا من أن ينقص العلماء من شأنهم، وذلك بكسبهم العامة والتأثير عليهم.

3-علاقة المتصوفة بالحكام:

إلى جانب العلماء ظهرت بالجزائر فئة من رجال الدين والزوايا الذين انتهجوا التصوف سبيلا لهم في معرفة الله عز وجل، وهم المتصوفة الذين كانت لهم من السمعة ما يفوق سمعة الحكام أحيانا نظرا لاتساع نفوذهم وسلطتهم الروحية على عامة الناس[95]. وجد التصوف في بلاد الجزائر أرضا

---

[93]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص424- 425.

[94]- نفسه، ص420- 421.

[95]- **التصوف:** تعددت التعاريف بشات التصوف وحسب عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته وأصلها العكوف على العبادة الانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة". حسب ابن خلدون المقدمة تونس، الدار التونسية، للنشر، 1984- ط1- ص584.

خصبة للنشاط والحركة، وانتشرت الزوايا والأضرحة والرباطات[96] التي تعد أماكن مفضلة للمتصوفة بشكل كبير، وذلك حتى يتمكنوا من أداء مهامهم الدينية والروحانية، كما تعددت الطرق الصوفية التي أسسها روادهم والتي كانت تتمايز عن بعضها البعض باختلاف أورادها وأذكارها وأدعيتها وطريقة ابتهالاتها إلى الله، وقد توصل المؤرخون إلى تصنيف الزوايا والطرق الصوفية إلى صنفين[97]:

تصوف سلبي: وفيه يتحول الإنسان المتصوف من العلم إلى الخرافة، ومن الولاية إلى الشعوذة، وتولد عن ذلك انتشار الفوضى الدينية وكثرة الخرفات، وحلول السحر محل العلم، وكان جمع المال، وتوفير الطعام، ومخالطة الناس، أهم أغراض هذا النوع من المتصوفة.

تصوف إيجابي: مهمته خدمة الصالح العام، كنشر التعليم والإنفاق على الفقراء والمساكين، ووعظ الناس وإرشادهم إلى أمور دينهم، وتعليم الصبيان.وكانت زوايا هذا الصنف تقوم بخدمات تربوية ثقافية اجتماعية جد هامة راقية وبالتالي كانت بمثابة امتداد لمؤسسة المسجد والمدرسة. لكن يبدو أن هذا النوع من المتصوفة، لم يكتفوا بأداء المهام الاجتماعية الدينية فحسب، بل ساهموا أيضا في محاربة العدو والقضاء على الفتن والاضطرابات لاستتاب الأمن كمحاربتهم للإسبان[98] ولهذا لما صار الترك ريادة البلاد الجزائرية اضطروا إلى اتخاذ سياسة صوفية وذلك لما وجدوه من مساعدة وعون من رجال التصوف[99].

والملاحظ أن التصوف ليس بالظاهرة الجديدة على الحكم العثماني، لأنهم كانوا في تكوينهم الديني والنفسي والحربي من أتباع الطرق الصوفية، فالطريقة البكداشية[100] كانت منذ ظهورهم

---

[96]– **الرباط:** هو مركز يخدم الدين والمجتمع، يتميز بأنه قريب من مواقع العداء، وأن تأسيسه يهدف بالدرجة الأولى إلى الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم أيضا، حسب جاكر لحسن، نفس المرجع، ص52.

[97]– بلبروات: المرجع السابق، ص259.

[98]– أبو القاسم سعد الله، ج1– المرجع السابق، ص420.

[99]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص255.

[100]– **البكداشية:** فرقة صوفية تركية، تنسب إلى السيد محمد ابن إبراهيم الشهير بالحاج بكتاش، شرعفي الدعوة لطريقته التي هي خليط من الطرق التي تقدمتها: القادرية واليسويةوالحيدرية وهي الطرق التي سايرت البيئة التركية، : وكثر أتباع البكتاشية

تقودهم وتؤثر فيهم وتحميهم وتدفع بهم إلى الجهاد والمغانم، وتبارك أعمالهم فكانوا يدينون لرجالها بالولاء ويتبركون بهم، وينظرون إليهم نظرة المريد لشيخه والسيد لسيده[101].

وبالتالي لما دخل العثمانيون الجزائر، تقربوا من المرابطين وحاولوا إقامة علاقات طيبة معهم، ليس بدافع ديني بقدر ما هو خدمة لمصالحهم وهذا ما سعى إليه بايات الغرب الجزائري الذين أسسوا علاقات حسنة مع الطرق الصوفية ورجالها، ونخص بالذكر الطريقتين الشاذلية والقادرية، اللتان كانتا مهيمنتان على الفضاء الصوفي لاسيما في القطاع الغربي.

كما كانت هناك علاقات حسنة تربط بين السلطة العثمانية والأولياء، كالعلاقة التي كانت تربطها بالشيخ محمد بن المغوفل احد صلحاء مدينة شلف، ويبدو أن السلطة العثمانية اتبعت معه نفس الطريقة التي اتبعها مع المليابي، ويشير أبو قاسم سعد الله بأن السلطة العثمانية استشارت الشيخ ابن المغوفل في خططها من اجل الاستيلاء على تلمسان كما طالبت منه أن يرافقها في حملتها، إلا أنه رفض واكتفى بإرسال ولديه علامة على الرضى والتأييد[102].

هذا وقد عمل الباي محمد الكبير على إحياء تراث الولي الصالح محمد بن عودة وذلك ببناء مشهدا له حيث يذكر ابن سحنون الراشدي في شانه ما يلي:وبنى مشهد الولي الصالح، الذي اشتهرت ولايته في البلاد حتى امته الزوار من كل واد، ذي الكرامات المتصلة على ممر الحيان، والبركات الذي شهر بها العيانوالفضائل المشهودة، السيد محمد بن عودة نفعنا الله به وجعلنا من المتعلقين بسببه، بناءا عجيبا زين به الضريح بهاء وقاد له الزوار قهرا[103].

وفي مدينة وهران قام الباي محمد الكبير بناء مجامع سيدي الهواري، وذلك لمكانه هذا الشيخ الصوفي والدور الذي لعبته زاويته، والتي كانت كعبة العلم والقرآن في مدينة وهران[104]. ويبدو أن

وساعد على انتشارها سهولة الأسلوب التي تحدث به شيوخها إلى الأتراك، بالإضافة إلى ما كان في أشعراها من لذة روحية والبعد عن الجدل العنيف.. حسب محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، 1995- المجلد الأول ص388.

[101]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1- ص459-460.

[102]- نفسه، ص466.

[103]- ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص132.

[104]- بلبراوت، المرجع السابق، ص219.

هذه العلاقة ظلت قائمة حتى نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م. واستمر العثمانيون في استخدام الأولياء والمرابطين كواسطة بينهم وبين القبائل الشبه المستقلة، بل بين كافة الأهالي كما وجدوا فيهم العون في حربهم ضد الإسبان، ومن ثم كان لشيخ الطريقة مكانته الاجتماعية والسياسية التي أوجدها لهه النظام القائم في البلاد.

ولقد حرص أولئك المتصوفين بدورهم على استمرار تلك العلاقة وذلك النظام لمدة تفوق القرنين والنصف، لكن في آخر المطاف لم تجد السلطة العثمانية بدا من نقض عهدها إزاء مشايخ الطرق بحيث فرضت عليها الوضعية الاقتصادية الصعبة للبلاد أن تهمشهم، وان تجعلهم في مرتبة العامة إلا أن رجال التصوف والطريقية رفضوا ذلك وتمردوا ضد السلطة، كما حرضوا الأهالي ضدها الأمر الذي سبب لها المشاكل في عدة جهات من الوطن[105]. ففي منطقة الغرب ثار عليها صاحبا الطرقتين الدرقاويةوالتيجانية، محاولان الإطاحة بالحكم العثماني مستغلان الأوضاع الاقتصادية المتدهورة وفساد جهاز الحكم العثماني.

ما يمكن استخلاصه أن بعض بايات الغرب، أدركوا أهمية الروح الصوفية على عقول العامة والخاصة ومدى تأثيرهم بالطريقتين الصوفيتين: الشاذلية والقادرية لذا حاولوا التحالف مع رجال التصوف ورواد الطرق الصوفية، فعملوا على الظفر بقاعدتهم الشعبية والعناية بهم عن طريق إقامة لهم الأضرحة والزوايا، لكن من جهة أخرى نرى أنهم تخوفوا من بعض الطرق وروادها، وذلك لتهديد مكانتهم السياسية فسعوا إلى كسر شوكتهم والتخلص منهم.

4-علاقة العلماء بالمتصوفة:

كان معظم العلماء يمتازون بالثبات على المبادئ والنزاهة، لذا نجدهم قد وقفوا موقفا معارضا ومعاديا لرجال التصوف، بعد أن حاولوا التخفيف من تأثير طرقهم بتقديم النصح والإرشاد والحكمة والموعظة لهم.

[105]- عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830- 1962، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995- ص25.

ولقد حدثت عدة خلافات بين العلماء والمتصوفة في بايلك الغرب، كالخلاف الذي جرى بين احمد بن مرزوق وقاسم العقباني في مدينة تلمسان، حيث خصص أحمد بن مرزوق رسالة للرد على المتصوفة سماها: النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكمال الناقص"[106].

كما أن الشيخ الجيلالي[107] هو أيضا بدوره وقف ضد الصوفية، واعتبرها منافية للسلفية، وهذا ما يتضح في الرسالة التي بعثها إلى زميله في الدراسة بفاس احمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية يحذره وينصحه فيها ضد الخروج عن السلفية، وذلك عندنا سمع به يزعم أنه قد تم الفتح له بطريقته التيجانية، ما لم يفتح لأحد قبله من عهد الصحابة[108].

والذي زاد في اتساع هوة الخلاف هو تلك الثورات الطرقية التي ثارت على السلطة العثمانية، كالثورة الدرقاوية التي عاصرها الكثير من العلماء خاصة الشيخ أبي راس الناصري فعلى الرغم من صلته الوطيدة بالسلطة العثمانية، إلا أنه لم ينج من أثار تلك الثورة، حيث يذكر عبد الرحمن الجيلاليأنه اتهم بمشاركته إلى جانب الدرقاويين ضد السلطة العثمانية، مما تسبب في عزله من منصبه، وعلى أثر هذه التهمة ألف كتابه المعروف بدرء الشقاوة في حروب درقاوة"[109].

---

[106]– المهدي بو عبدلي، نفس المرجع، ص173.

[107]– محمد بن عبد الله الجيلالي، هو محمد بن عبد الله بن موفق بوجلال، أحد أحفاد الولي الصالح سيدي محمد بوجلال، ولد في معسكر، ويعد من أبرز علماء الربع الأخير من ق18– والربع الأول من ق19– تلقى العلوم في فاس وذهب إلى الحج حيث التقى بعلماء المغرب والمشرق، عينه الباي محمد مديرا على المدرسة المحمدية ورئيسا للرباط أيام الفتح الثاني لوهران سنة 1792 والواقع أن الجيلالي كان يتطلع دوما على ما هو افضل من مستواه ويحاول تطويره، بدليل اللقاءات والمناقشات التي كان يجريها مع العلماء نذكر من ذلك مثلا: رحلته إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى واتصاله بعلمائها الكبار، ويبدو أن الباي محمد الكبير كان يريد التخلص من الشيخ الجيلالي عند تعينه لعه رئيسا للرباط كما تخلص من الطاهر بن حواء، حسب جاكر لحسن، المرجع السابق، ص52–53.

[108]– نفسه، ص54.

[109]– عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص571.

ويذكر ابن سحنون الراشدي، أن أبيراس الناصري كان من الناقمين على الثورة، [110] لأنه رأى في الطريقة الدرقاوية ظلما وفسادا، وأن الثورة لم تقم على إصلاح ديني اجتماعي، بقدر ما كانت تهدف إلى تحطيم السلطة العثمانية .

في حين نجد أن بعض العلماء الآخرون تقربوا من رجال التصوف، بل حتى أنهم درسوا وأخذوا عنهم مثلا: الشيخ عبد القادر المشرفي الذي عينه الشيخ مصطفى الغريسي ــ وهو من اتباع الطريقة الدرقاوية ومؤسس زاويتها بالقيطنة، ــ مدرسا بمعهده[111]. وذلك لما بلغهالمشرفي من مكانة علمية مرموقة هذا من جهة، ومن جهة أخرى للعلاقة الطيبة التي كانت تربطهما.

كما نوه الشيخ أبو راس الناصري بالشيخ محمد الهواري في رحلته[112].

وحسب ما يذكر زين العابدين بن حنفية أن الشيخ الناصري كانت لديه أو تظهر عليه بعض ملامح التصوف، وهذا ما تؤكده أقوال الشيخ الناصري فمثلا: وجوب طاعة المريد للشيخ طاعة تامة، بحيث لا يصح له أن يراجعه في شيء كيفما كان، بل يسلمه نفسه يتصرف فيها كيف يشاء[113]. وذلك هو أساس العلاقة بين الشيخ والمريد في عملية التربية الصوفية .

في نفس السياق يذكر بن حنفية أيضا أن أبي راس اهتم بالشيخ يوسف المليانى وتلاميذه، إذ خص لهم الجزء الأخير من كتابه الحاوي بالحديث عنهم[114].

بالرغم من الخلاف الذي كان قائم بين المجموعتين السلفية من جهة، والمتصوفة من جهة أخرى، إلا أنه لم تحدث المقاطعة بينهم، فلقد ظلوا يتبادلون الاحترام ويتعاونون على خدمة الدين والعلم.

---

[110]– احمد بن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص46-47.

[111]– ناصر الدين سعيدوني، للغرب من التراث التاريخي والجغرافي الإسلامي، المرجع السابق، ص:460.

[112]– صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص:814.

[113]– أبي عبد القادر زين العابدين بن حنيفة، المرجع السابق، ص:90.

[114]– نفسه، ص:152.

خاتمة

خاتمة:

- إن دراسة موضوع الحياة الثقافية في بايلك الغرب الجزائري منذ أواخر العهد العثماني لغاية بداية الاحتلال الفرنسي، بما شهدته هذه الفترة من تغييرات وتحولات، نظرا لإرتباط الحياة الثقافية بالأوضاع السياسية السائدة آنذاك من ناحيةوبالأوضاع الاجتماعية بل وحتى الاقتصاديةمن ناحية ثانية جعلنا نتوصل إلى مجموعة من النتائج كانت كالتالي:

- شهدت حواضر الغرب الجزائري خلال بداية المرحلة المدروسة انتشارا كبيرا للمراكز الثقافية لا سيما الكتاتيب القرآنية والمساجد، والتي كانت موجودة في كامل ربوع المنطقة، إضافة إلى توفر المكتبات التي ساهمت بدورها في دفع عجلة الحركة الثقافية والنشاط العلمي، إذا كانت بمثابة معاهد عامرة بنفائس المخطوطات وأمهات الكتب التي استفاد منها العديد من الطلبة، وبالتالي فإن مظاهر الحركة الثقافية كانت واضحة في بايلك الغرب خلال العهد العثماني.

- شهد بايلك الغرب خلال أواخر العهد العثماني وبخاصة خلال فترة الباي محمد ابن عثمان الكبير حركة انبعاث ثقافي كبير في ظل إرادة سياسية، إذا كانت له أيادي بيضاء في تشجيع الثقافة وتنشيطها إلى جانب الاهتمام بالعلماء والفقهاء فقد كان يطلب باختصار الكتب المطلوبة ونسخ المخطوطات النادرة النفيسة، وبعث التأليف في شتى العلوم، مع تكريم القائمين على ذلك. كما حظي علماء بايلك الغرب بتلك العناية من قبل الباياتوالحكام الذين عملوا على تقريبهم من مجالسهم والإحسان إليهم وتكريمهم كلما حانت المناسبة.

- أنجب بايلك الغرب جيل من العلماء الذين أدمجوا في الجهاز الإداري وسلك التعليم إضافة إلى مناصب القضاء والإفتاء، وأسهموا كل حسب طاقته في إثراء الرصيد المكتبي بمؤلفاتهم وكتاباتهم بخصوص العديد من الأحداث والوقائع التي سجلوها، سواء داخل الإيالة أو خارجها، ولا تزال كتب ومخطوطات بعض هؤلاء في المعاهد والجامعات تعد من أهم مصادر كتابة التاريخ.

- امتازت حركة التعليم بسيادة العلوم الشرعية وماله علاقة بهاكاللغة والآداب والعلوم الإنسانية، وهي سمة سادت الإيالة ككل مما يوحي بانحطاط العلوم العقلية خلال الفترة المدروسة، فبالرغم من

تطرق بعض هؤلاء العلماء في مجالسهم لبعض العلوم العقلية، كالحساب وعلم الفلك إلا أن ذلك اقتصر على مدى ارتباطها بالعلوم الدينية .

- إن رحلات العلماء سواء العلمية أو الحجازية، واحتكاكهم بنظرائهم في البلاد العربية الأخرى مثل حافزا مهما لحركة التأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون. كما أن دورهم لم يقتصر على الجانب الثقافي التعليمي فحسب، بل تعداه إلى الجانب السياسي والحربي كمشاركتهم في فتح وهران مثلا سنة 1792م، لإدراكهم بدورهم في الدفاع عن بيضة الإسلام وحماية الثغور الإسلامية عن طريق جهاد المسيحيين.

- تسجل الفترة المدروسة شيوع ظاهرة التصوف وكثرة الطرق الصوفية، والتي بالرغم من أدوارها الاجتماعية والتعليمية والدينية كتحفيظ كتاب الله تعالى، وتعليم الكتابة والقراءة، وإطعام الطعام، وحل الخلافات الاجتماعية .... إلا أن بعضها، أو بعض رجالها قد عمل على نشر بعض البدع والخرافات وأمور الشعوذة مستغلين سذاجة البعض، كما لا يفوتنا أن نشير هنا إلى أدوارها السياسية سواء مع أواخر العهد العثماني كثورة درقاوة، والثورة التجانية ضد الحكم العثماني بالجزائر أو مع بداية الاحتلال الفرنسي أين اتخذ شيوخ الزوايا والمرابطين مواقف مختلفة اتجاه فرنسا تراوحت ما بين الثورة ضدها والإذعان لها والتعمل معها.

- عرف بايلك الغرب مع أواخر العهد العثماني بروز عدة حواضر علمية ودينية كتلمسان، مازونة، معسكر، وهران....والتي عرفت بدورها نشاطا علميا وثقافيا ساوى أو فاق ما كان موجودا في الزيتونة أو القرويين أحيانا، كما عرفت علماء ذاع صيتهم في العالم الإسلامي وسبقتهم سمعتهم إلى هناك، إلا أن بايلك الغرب خصوصا والجزائر عموما لم يعرف جامعة كالقرويين أو الزيتونة أو الأزهر، إذ في الوقت الذي شاع فيه التعليم وتطور فيه العلم وانتشرت فيه مؤسساته، وفي الفترة التي كانت فيها الجزائر تسعى لإقامة معهد علمي كبير شاء القدر أن يظهر الاحتلال الفرنسي ليوقف عجلة التطور الثقافي وينشر محلها الجهل والأمية مما يحول دون تنفيذ المشروع.

- شهد بايلك الغرب والإيالة الجزائرية عامة سوء الأحوال الإجتماعية وتأزم إقتصادي سواء أواخر العهد العثماني، لكثرة الأوبئة، والمجاعات، والزلازل...أو مع بداية الاحتلال وذلك نتاج السياسة الإستعمارية الجائرة.

- إن دراستنا هاته هي محاولة للرد على المدرسةالاستعمارية التي تروج – ولحد الآن – إشاعة أن فرنسا عملت على تثقيف الشعب الجزائري وتمدينه، والحقيقة حسب ما اطلعنا عليه من مصادر ومراجع أن نسبة الأمية في أوساط الجزائريين في العهد العثماني كانت أقل وبكثير عما أصبحت عليه خلال العهد الفرنسي، كما أن عدد المراكز والمؤسسات الثقافية خلال العهد العثماني كان أكبر وبكثير عنه خلال فترة الاحتلال الفرنسي مما يدفعنا لتكذيب هذا الادعاء.

وبالتالي يمكننا القول أنموضوع الحياة الثقافية في بايلك الغرب في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من المواضيع المتشعبةوالحساسة في آن واحد باعتبارها ترتبط بالآداب والفنون والعلوم والدين .... لكننا حاولنا فيماتوفر لنا من جهد التركيز على مظاهر الحياة الثقافية البحتة كالمؤسسات الثقافية، أشكالها ووظائفها، الطرق الصوفية: الحضور والأثر، العلماء: التأثير والتأثر.على أن تبقى بعض عناصر هذه الدراسة مفتوحةأمام بحوث أخرى.

الملاحق

- المخطوطات
- الصور
- الخرائط والرسومات
- الوثائق

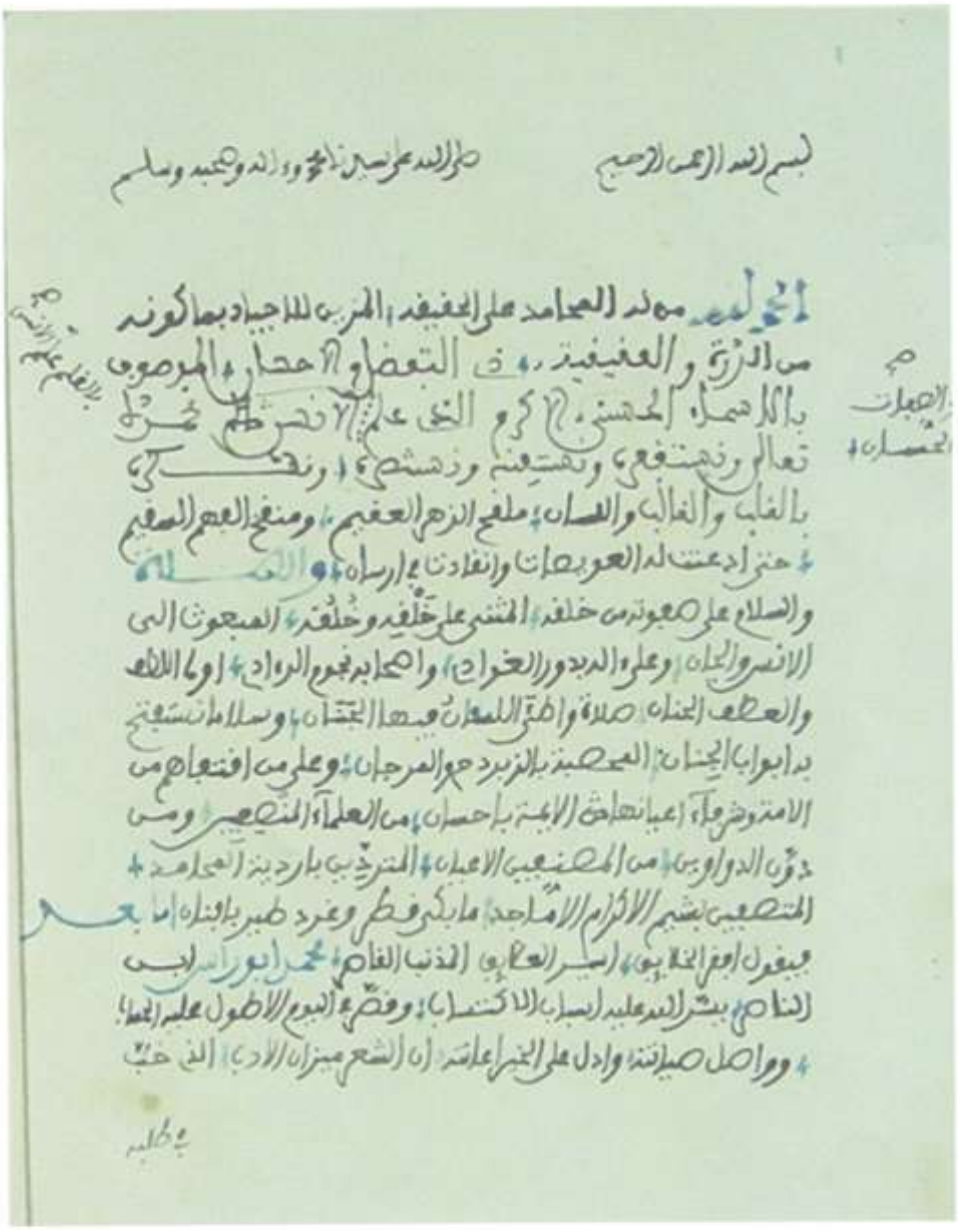

صورة لوجه الورقة الأولى من مخطوط الدرة الأنيقة في شرح العقيقة لصاحبه أبوراس الناصر (نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة) تحت رقم: 3195.

صورة لآخر ورقة من مخطوط الدرة الأنيقة في شرح العقيقة لصاحبه أبوراس الناصر (نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة) تحت رقم: 3195.

. صورة لوجه الورقة الأولى من مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لصاحبه أبوراس الناصر (نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة) تحت رقم: 3327.

صورة لآخر ورقة من مخطوط عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لصاحبه أبوراس الناصر (نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، الحامة) تحت رقم: 3327.

صورة لوجه الورقة الأولى من مخطوط شرح حاشية شمس الدين التتائي لصاحبه الشيخ مصطفى الرماصي (نسخة خزانة الشيخ محمودي البشير، البرج–معسكر).

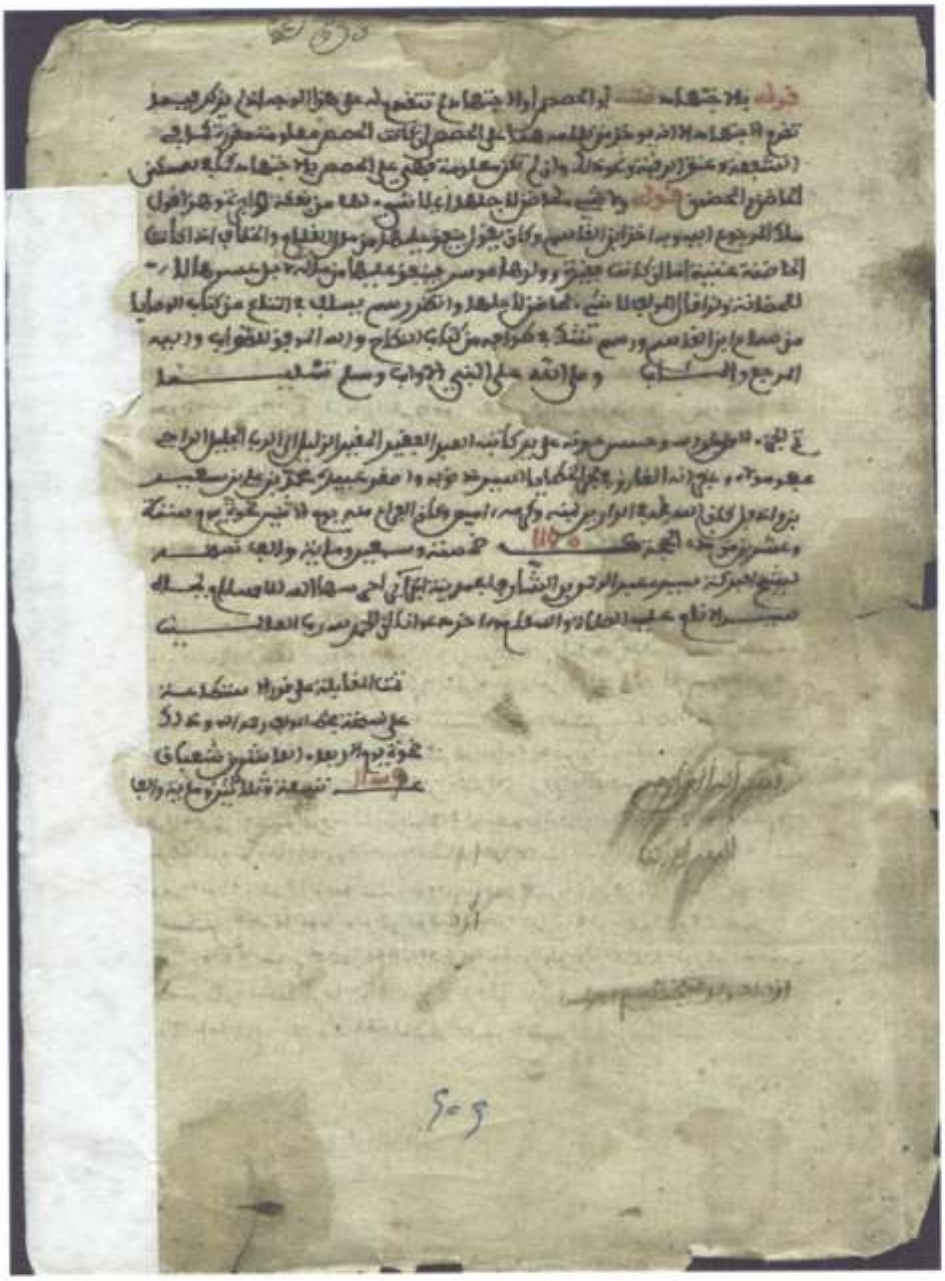

ملحق صورة لآخر ورقة من مخطوط شرح حاشية شمس الدين التتائي لصاحبه الشيخ مصطفى الرماصي (نسخة خزانة الشيخ محمودي البشير، البرج-معسكر).

سيدي الحاج محمد الهبري

شيخ الطريقة الهبرية الدرقاوية

سيدي محمد بن الحبيب
شيخ الطريقة الحبيبية الدرقاوية

- خ. من و فتح محمد مكحلي - إستعدت المعلومات: ناصر الدين سعيدوني - دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر - ج 2. 1988. ص ص 127، 128

مناطق انتشار الدرقاوية بالغرب الجزائري

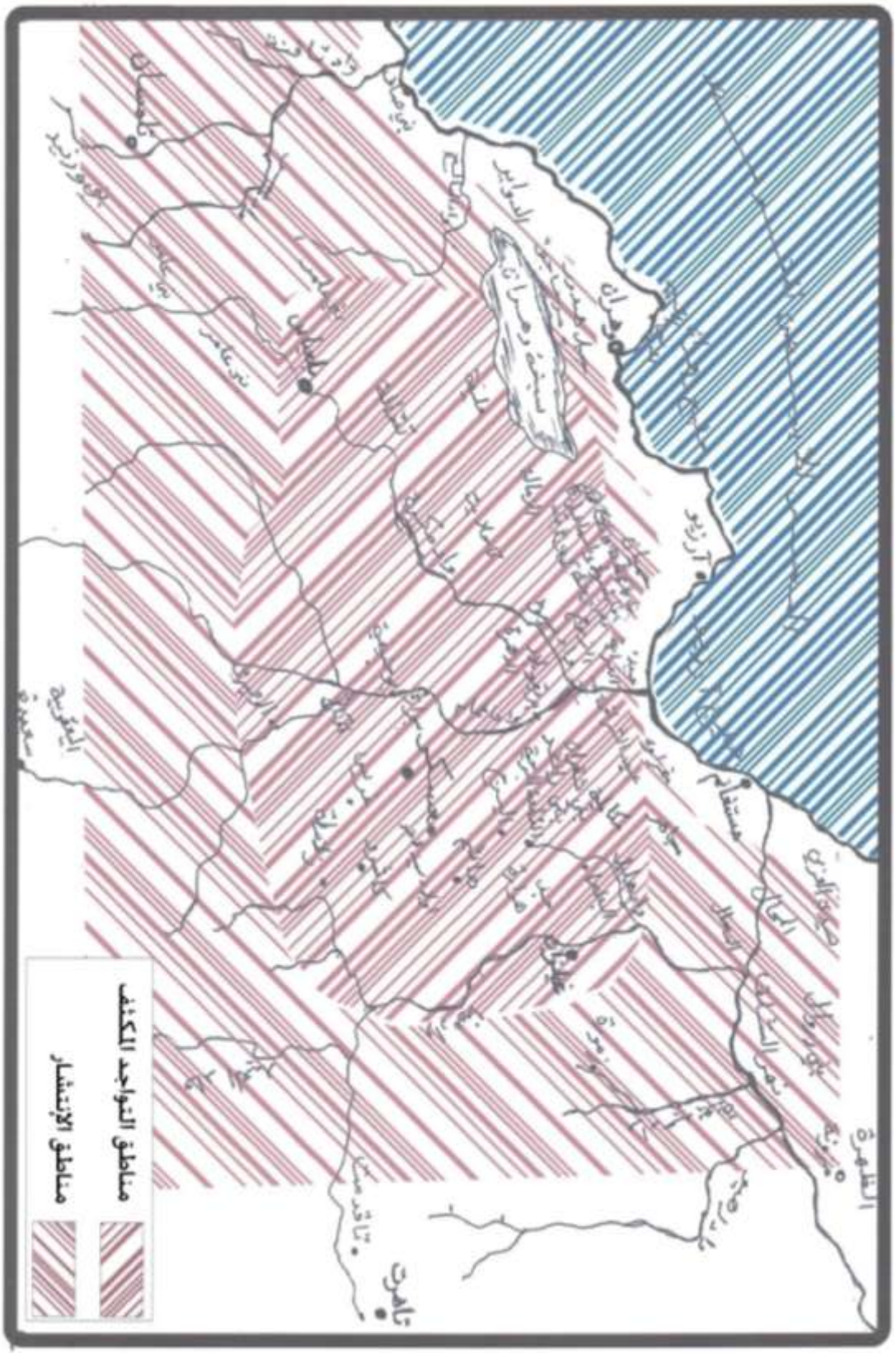

الخريطة الجغرافيه لبلدية وادي الأبطال
مكان حدوث معركة فرطاسة
ولاية غيليزان
الشمال
ولاية تيارت
معسكر
الغرب
وادي الأبطال
سيدي بن عبد الجبار
حامي اوجرنة
أولاد دبالي
الرفافالية
عين فراح
بني عطى
قعادين
الجنوب
ولاية معسكر

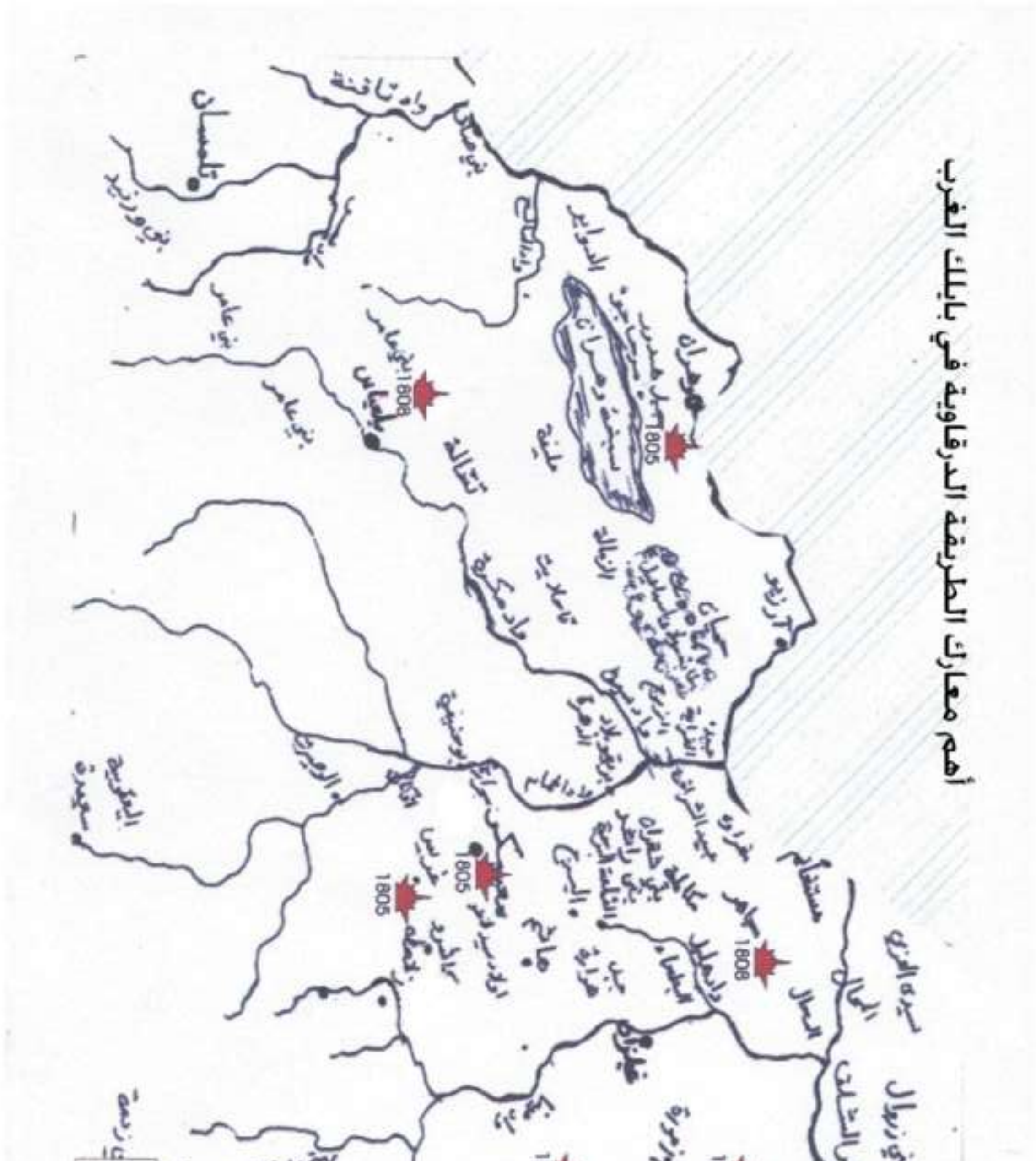
أهم معارك الطريقة الدرقاوية في بايلك الغرب
معركة
تلمسان
مستغانم
1805
1808
1807

خريطة توزيع مناطق الطاعون في الجزائر

لوحة تذكارية بمناسبة تدشين مدرسة مازونة الفقهية.

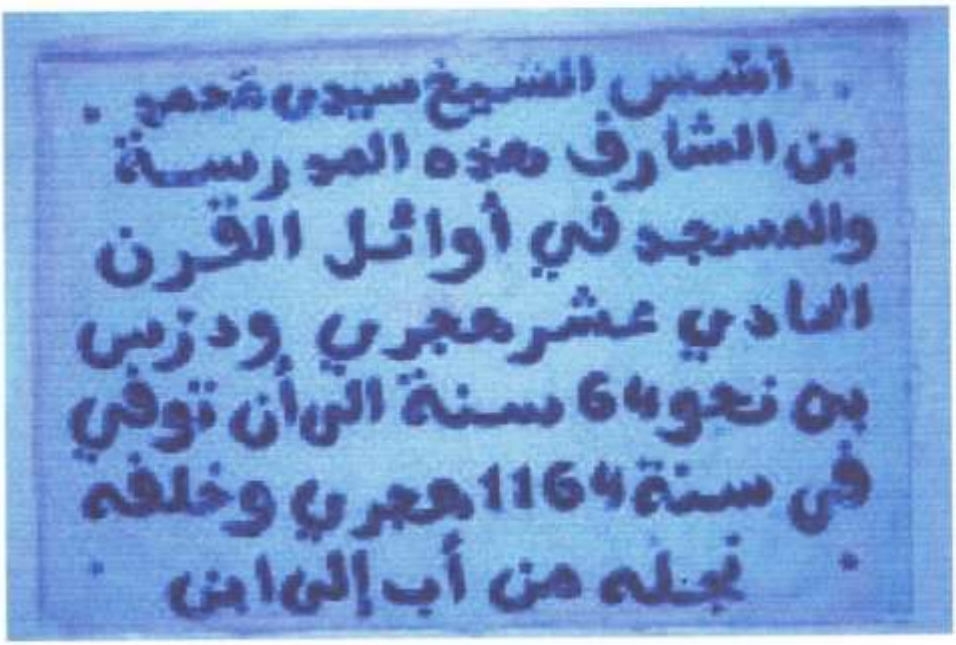

عن ماجستير بوجلال قدور

فناء مدرسة مازونة الفقهية بعد ترميم حديث.

عن ماجستير بوجلال قدور

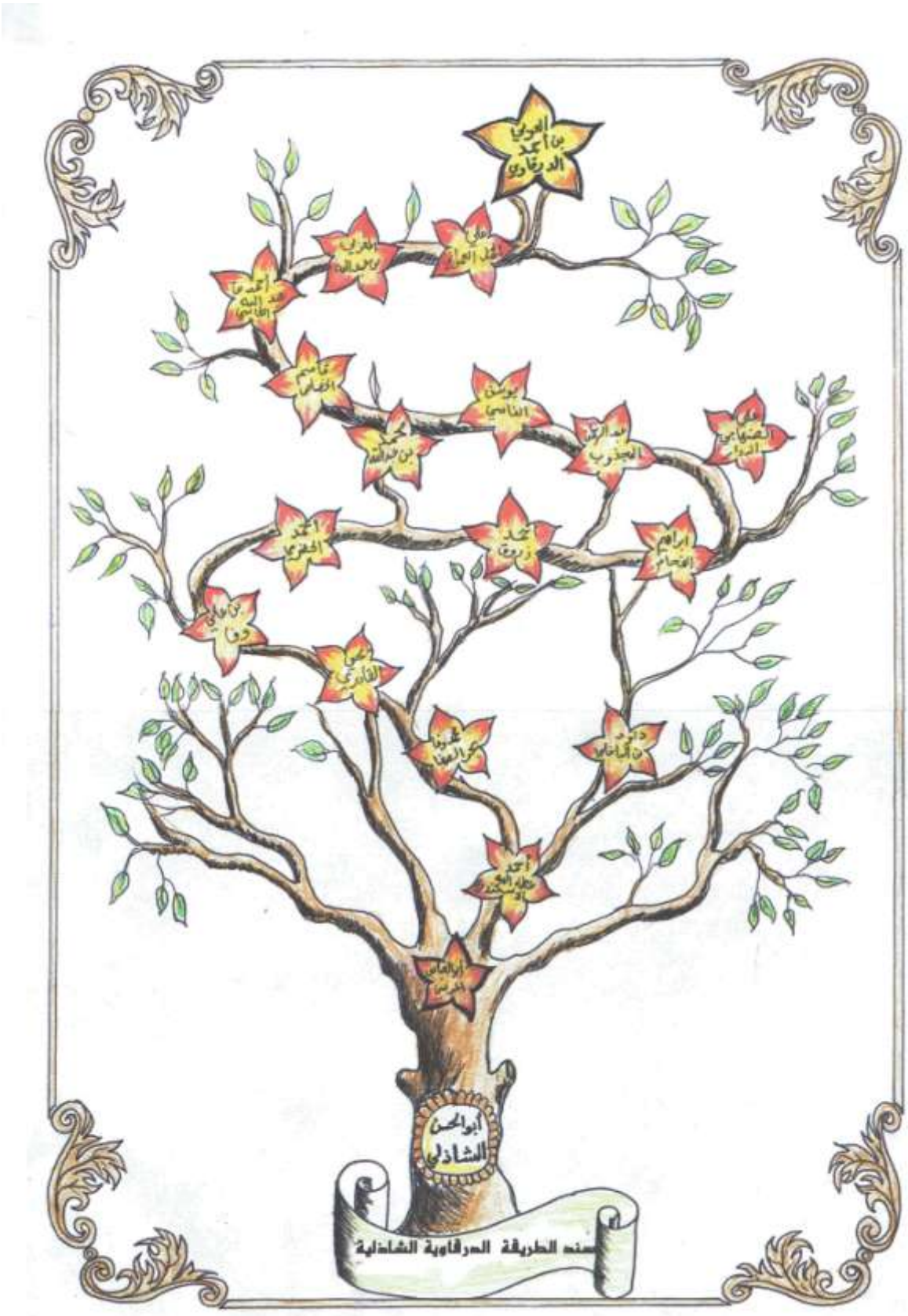
العربي
بن أحمد
الدرقاوي
أبو الحسن
الشاذلي
سند الطريقة الدرقاوية الشاذلية

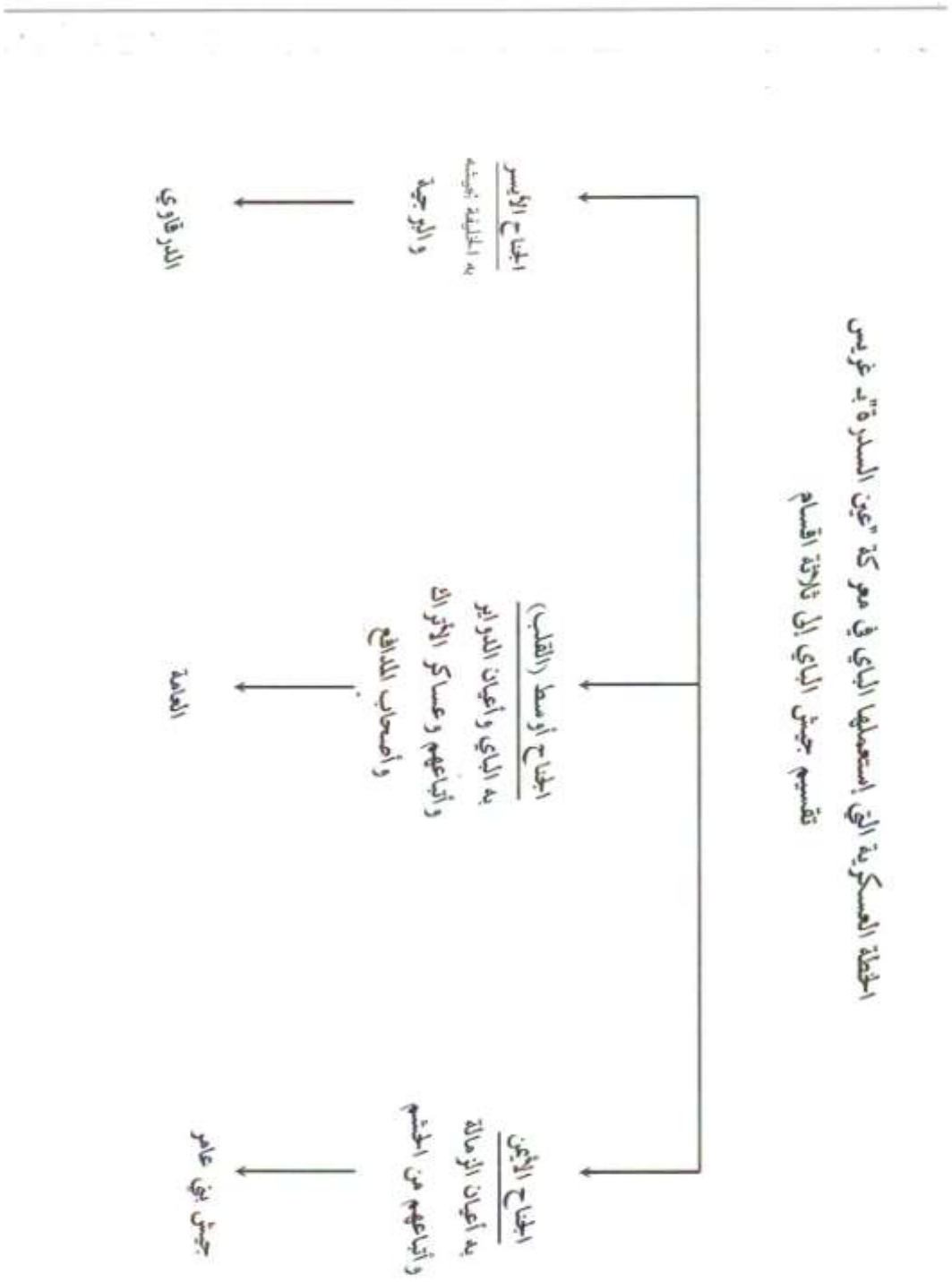
الخطة العسكرية التي إستعملها الباي في معركة "عين المدرة" بـ غريس
تقسيم جيش الباي إلى ثلاثة أقسام
الجناح الأيمن
به أعيان الزمالة
وأتباعهم من الخشم
جيش بني عامر
الجناح أو سط (القلب)
به الباي وأعيان الدوايو
وأتباعهم وعساكر الأوراك
وأصحاب المدافع
العامة
الجناح الأيسر
به الخليفة بايشه
والوجية
الدرقاوي

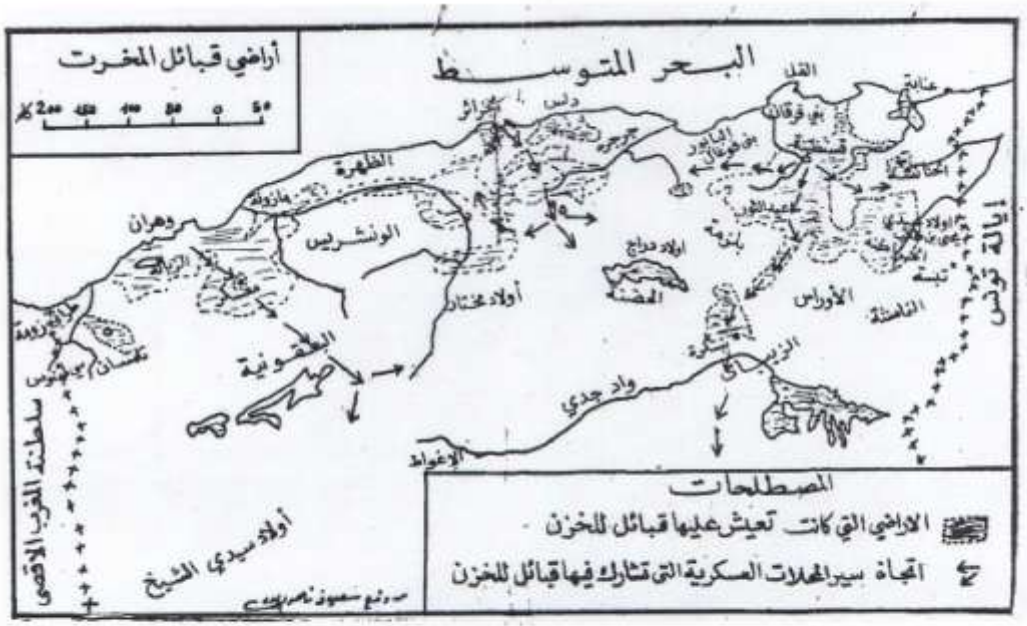

ملحق رقم 03: خريطة توضح توزيع أراضي قبائل المخزن بالجزائر العثمانية عن ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر: العهد العثماني.

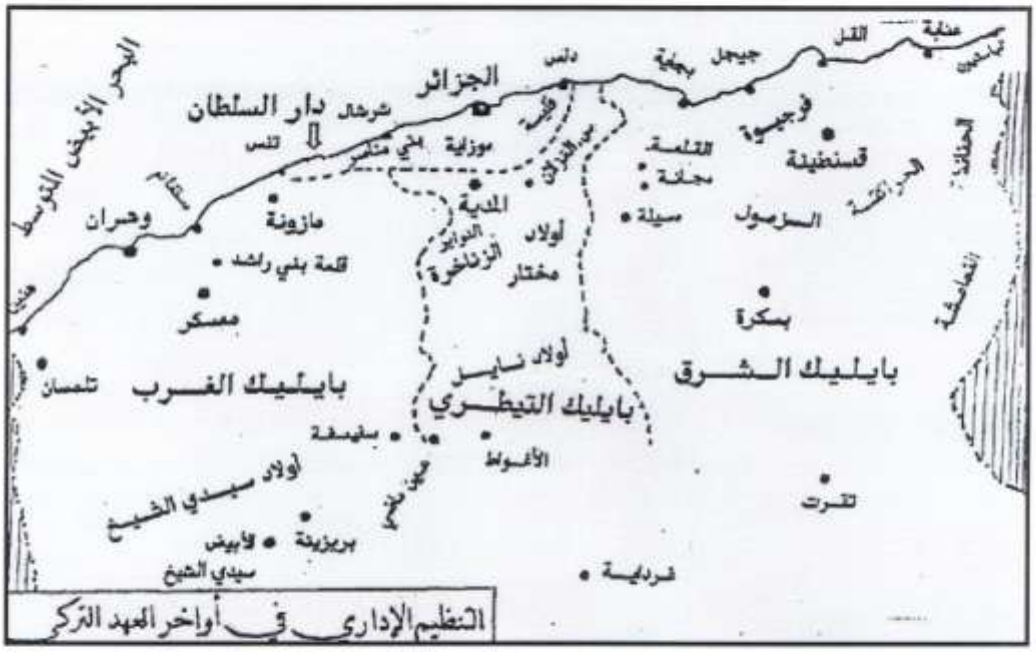

ملحق رقم 01: خريطة توضح التنظيم الإداري بالجزائر مع أواخر العهد العثماني عن:
صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830.

اللطيفية

ألا يالطيـــف يالطيـــف لك اللطـــف ... فأنت اللطـــف منـــك يشملنا اللطف
لطيـــف لطيـــف إنـــي متـــــوسل ... بلطفك فألطف بي وقـــد نـــزل اللطف
بلطفـــك عدنا يالطيـــف وها نحـــن ... دخلنا في وسط اللطف وانسدل اللطف
نجـــونا بلطـــف الله ذي اللطف إنـــه ... لطيـــف لطيـــف لطفـــه دائمـــا لطف
ألا يـــاحفيظ يـــاحفيظ لك الحفـــظ ... فـــأنت الحفيظ منـــك يشملنا الحفـــظ
حفيـــظ حفيـــظ إنـــي متـــــوسل ... بحفظك فاحفظنا وقـــد نـــزل الحفـــظ
بحـــفظك عـــدنا ياحفيظ وها نحـــن ... دخلنا في وسط الحفظ وانسدل الحفـــظ
نجـــونا بحفـــظ الله ذي الحفـــظ إنه ... حفيظ حفيـــظ حفظـــه دائما حفـــظ
بجـــاه إمـــــام المـــــرسلين محمـــد ... فلـــولاه عـــين الحفـــظ مـــانزل الحفظ
عليـــه صـــلاة الله مـــاقـــال منشد ... ألا يـــاحفيـــظ يـــاحفيظ لك الحفـــظ

الصلاة المشيشية

« اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتفت الحقائق وتـــنزلت علوم سيدنا آدم عليه السلام فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقه وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما فيه الموسوط صلاة تليق بك منك إليه كمـا هو أهله اللهم إنه سر الجامع الدال بك عليك وحجابك الأعظم القائم لك بـــين يديـــك اللهم ألحقني بنسبه و حققني بحسبه وعرني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرم بهـا من موارد الفضل واحملني على سبيله إلى حضرتك حملا محفوفا بنصرتك واقذف بي علـــى الباطل فادمغه وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد واغرقني في عين بحـــر الوحدة حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحد ولا أحس إلا بها واجعل الحجاب الأعظم حيـــاة روحي وروحه سر حقيقتي وحقيقته وجامع عوالمي بتحقيق الحق الأول، يـــا أول يـــاآخر ياظاهر يا باطن اسمع ندائي بما سمعت به، نداء عبدك سيدنا زكريا عليه السلام وانصـــرني بك لك وأيدني بك لك واجمع بيني وبينك وحل بيني وبين غيرك، الله الله الله "ثلاثـــا" إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معادن ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنـــا رشدا "ثلاثا"

الشاعر الشعبي الشيخ بوعلام بن الطيب السجراري يصف معركة فرطاسة
التي انتصرت فيها الطريقة الدرقاوية بقيادة " ابن الشرين " على الأتراك ،

كي قصة الأجواد مع أتراك النوبة * يوم أن فزعهم ابن الشريـــن أوجاوا
ذوك أتراك الكرسي دهر فاتوا رهبة * قالوا الأجواد علـــى حرمنا نزكـــاوا
انعقدوا غاشي الأحرار عقـــد امحبة * في فرطاسة شاو انهـــار واتلاقـــاو
بالسيف أو نار المشط اودق الحربة * ملهية أو منا عيطـــا اعقيـــد افنـــاوا
ذاك امقعشم ذاك يهوم بالحر بابه * وافرايس الأتراك أعلى الطريق ابقاوا
أنغلبوا الأتراك أو سلموا في الضربة * أهـــل البيـــضا كـــامـــل أتعـــراوا
دار الذيب العولة من لحم الأتراك * لمعسكر روح ذاك الشريف الحسنـــي
قصة خلاهـــا تـــنعاد في الأتراك * فيهـــا دار الخلقـــوات قلبـــه هانـــي
خبره عنـــد الدنيا ذا يعيـــد لذاك * صاق الوهراني بطنابير ترعد هونـــي
وابنود ترفرف اعـــزاوا في الأتراك * دخلـــوها بلبـــاس اجديـــد غير الفانـــي
والخيـــل اتصادي هـــذا يـــرد الذاك * نحو الجزائـــر رسلوا برية مطبوعـــه
خط الخوجة احديـــث كـــان أو صار * الباشـــا مبهـــوت صادقتـــه خلقـــة
خاف على الخزنة يسعاوها الأحرار * آمر بيرانـــه للجيـــش واحـــد الساعـــة

عن كتاب: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني
تأليف: ابن سحنون الراشيدي
ص، ص: 40، 41

مراتب الصوفية

القطب: لغة القائم تدور عليه الرحي و قطب القوم هو سيدهم. أما اصطلاحا: فهو الواحد موضع الله تعالى من العالم في كل زمان. وهو المعلم الذي تدور حوله حركة البحث عن الحقيقة. وهو الجامع بين الأحوال والمقامات. كما قد يقصد به كل من انفرد بمقام معين في زمانه، ويسمى كذلك غوثا. مرتبة عالية لا يعرفها الا صاحبها.

الأئمة: لا يفوقون في كل زمان اثنين. أحدهم يخلف القطب في حالة وفاته.

الأوتاد: هم أربعة في كل زمان يحفظ بهم الله عز وجل الجهات الأربع (المشرق، المغرب، الشمال، الجنوب) وولاية كل منهم في جهة معينة.

الأبدال: عددهم سبعة يحفظ بهم الله تعالى الأقاليم السبعة، لكل منهم ولاية في اقليم معين ومحدد.

وسميو بالأبدال بحيث يمكن لأحدهم أن يسافر عن موضع ويترك شخصا أخرا أو جسدا على صورته ولا ينتبه أحدا لفقدانه.

النقباء: عددهم اثنى عشر نقيبا ي كل زمان على عدد بروج الفلك. كل منهم عالم بخاصية برج معين لهم معرفة بباطن النفوس وهنالك من يجعل عددهم ثلاثمائة.

النجباء: عددهم ثمانية وهناك من جعلهم أربعون مهمتهم الإنشغال بحمل أثقال الخلق.

الشيوخ: هو الرؤساء والزعماء لطريقة صوفية ما. مهمتهم تربية الفقراء والمريدين، ويتشرط في الشيخ المربي أن يكون حيا، بمثابة المعلم الذي يقتدي به.

الخلفية: هو نائب الشيخ ومساعده، قد يخلف الشيخ في حالة وفاة هذا الأخير لا يشترط أن يكون من سلالة صاحب الطريقة وغالبا ما يقترحه المقدمين.

المقدم: هو من يعنيه الشيخ للاشراف على مجموعة من المريدين، ويمكن للشيخ تعيين أكثر من مقدم وذلك حسب عدد المريدين. والمقدم هو المدير ومسيرها مهمته التنسيق بين قاعدة الطريقة وقمتها.

الاخوان: وهم التلاميذ والمريدين أو الاتباع عليهم اسم الفقراء الذين يجتمعون في الزوايا لقراءة أوراد وأذكار الطريقة.

الوكيل: وهو المريد الموكل للقيام بمهمته معينة.

الشاوش: وهو خادم أهل الله الحاجب حاليا.

السالك: وهو تابع الطرق الصوفي

المحب: وهو المتعاطف مع طريقة صوفية ما يحبها ويحب أصحابها رغم عدم انتمائه اليها رسميا.

أتباع الدرقاوية في الجزائر

مناطق الشواجد	المجموع							السنة	المراجع
		عدد الشواش	عدد الشواش	عدد الإخوان	عدد المقدمين	عدد الشيوخ	عدد الطلبة	عدد الزوايا	
وهران – تلمسان – سعيدة معسكر – مستغانم ثم بدرجة أقل : اجو اثر – عين الصفراء سيدي بلعباس	9567	02	1118	8232	72	09	134	10	1987 *Dé pont Et coppolani*
الإقليم الوهراني	10252	عدد اتباع و مريدي الشاذلية الدرقاوية : 10252 اخواني						1984	*Rinn*
تيارت – وهران – معنية عين الصفراء	33328	مريد و اتباع = الدرقاوية ، العلاوية 6025 27303						1930	*El Korsso*
في الإقليم الغربي	حوالي 12 الف								*André P.J*

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد واله

« سناد الطريقة الهبرية الدرقاوية الشاذلية »

الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بمحبته واختص أرواحهم بشهود عظمته وهيأ اسرارهم لحمل عبء معرفته فقلوبهم في روضات جنات معرفته يحبرون وارواحهم في رياض ملكوته يتنزهون واسرارهم في بحار جبروته يسبحون فاستخرجت أفكارهم يواقيت العلوم ونطقت ألسنتهم بجواهر الحكم ونتايج الفهوم فسبحان من اصطفاهم لحضرته واختصهم بمحبته فهم بين سالك ومجذوب ومحب ومحبوب أفناهم في محبة ذاته وابقاهم بشهود اثار صفاته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد منبع العلوم والانواروممدن المعارف والاسرار ورضى الله تعالى عن اصحابه الابرار واهل بيته الاطهار ومن اقتفى اثارهم بالتفكر والاعتبار وحفظ الله الطائفة الهبرية من الأكدار والاغيار

نور القلوب وري روح الوارد ✳ هبرية تدني الوصول لعابد
تزهو بسلسلة لهاذ هبية من شاهد للمصطفى عن شاهد

وبعد، فمن الراجي عفو ربه الكريم محمد بن قايد كان الله له الى السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته تعمكم وتغبيكم فيه عنكم حتى لاتشهدوا سواه.
ثم بعد فقد أذنا كم في اوراد طريقتنا الهبرية الدرقاوية الشاذلية بأجمعها وذكر لااله الاالله في كل وقت وحين من غير حصر ولاعدد حتى تمتزج بلحمكم ودمكم وعروقكم وروحكم وسركم فان من واضب عليها غيبته عن وجوده وسمع خطاب ربه. واجزناكم اجازة عامة في تلقين ماذكرناه لمن اجتباه ربه بعنايته وجعله من اهل وده ومحبته وقربه وخصوصيته كما اذن لنا قدوة السالكين وقطب الواصلين اتميد بصرنا ونور بصيرتنا وصفاء سريرتنا الشريف العزوي الادريسي الحسني شيخنا وسنادنا سيدي محمد الهبري وهو عن والده قطب الاحوال وبحر العرفان الشيخ الكامل سيدي محمد ابن سيدي احمد العزوي عن الشيخ المربي الكامل ابي عزه المهاجي الحسني عن قطب الدائرة ومظهر التجليات الشريف الحسني سيدي مولاي العربي بن احمد الدرقاوي رضي اله تعالى عنهم أجمعين.

وايضا اخذ عن اتميد بصره ونور بصيرته العارف بالله تعالى المستغرق في ذات مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ سيدي محمد بن قدور الوكيلي الشريف الحسني الكركري وهو عن شيخه مظهر الحق الشريف الحسني محمد بن عبد القادر الباشا عن قطب الدائرة سيدي مولاي العربي الدرقاوي المذكور وهو عن شيخه الكامل الواصل سيدي علي بن عبدالرحمن العمراني الشريف الحسني عن شيخه كعبة السر سيدي العربي بن عبد الله عن شيخه امام السالكين سيدي احمد بن عبد الله عن شيخه ومربيه سيدي قاسم الخصاصي عن سيدي بحر الجود محمد بن عبد الله عن سيدي عبد الرحمان الفاسي عن سيدي يوسف الفاسي عن سيدي عبدالرحمان المجذوب عن سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار عن سيدي ابراهيم انحام الزرهوني عن سيدي احمد زروق عن سيدي احمد بن عقبة الحضرمي عن سيدي يحيى القادري عن سيدي علي وفا عن والده سيدي محمد بحر الصفا عن سيدي داوودالباخلي عن تاج العارفين سيدي احمد بن عطاء الله عن سيدي ابي العباس المرسي عن سيدي ابي الحسن الشاذلي عن سيدي عبدالسلام بن مشيش عن سيدي عبدالرحمان المديني عن سيدي تقي الدين القفيري عن فخر الدين عن نورالدين ابي الحسن عن تاج الدين عن شمس الدين الغزويني عن سيدي ابراهيم البصري عن سيدي احمد المروانى عن سيدي سعيد عن سيدي سعد عن فتح السعود عن سيدي سعيد الغزواني عن سيدي ابي محمد جابر عن سيدي ابي الحارث المحاسبي عن سيدي السر السقطي عن امام الطريقة سيدي ابي القاسم الجنيد عن سيدي مفلس السقطي عن سيدي معروف الكرخي عن سيدي داوود الطائي ابن محفوظ المعروف بابن فيروز الكرخي عن سيدي حبيب العجمي عن سيدي الحسن البصري عن سيدنا ومولانا الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه عن عين الرحمة ومظهر العلوم والحكمة رسول هذه الامة المباركه سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته.

واوصي المجاز ونفسي بتقوى الله العظيم واتباع سنة نبيه الكريم في الاقوال والافعال والله يوفقنا واياكم لمافيه رضاه ويعيننا جميعا على طاعته وتقواه امين.

امام جامع سيدي مرزوق

المصدر	الفروع	الزوايا	الطلبة	الشيوخ	المقدمين	الإخوان	الخونات	ملاحظـة
L.Rinn 1882		29			268	14,574		مجموع الإتباع في الجزائر : 14،842
دييون و كوبلاني 1897		33	521	4	301	21.056	2،695	المجمـوع: 24،578
سعد الله 1882 1897		29 33			268 558	14،574 24،578		نقلا عنL.Rinn
عبد الباقي مفتاح 1882 1897		29 33			268 558	14،574 25،578		نفس إحصائيات L.Rinn لكن +ألف من الإخوان في المجموع 1897
أحمـد مريوش	4	33	521	4	301	21،056	منهم 2،596	نقلا عن إحصائيات 1897
عبد العزيز شهيبـي		33			558	24،578	منهم 2،695	نقلا عن سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي

القادريـــة في الجزائر بالأرقـــــــــام

البيبليوغرافية

القرآن الكريم

المصادر والمراجع باللّغة العربية:

أ. المصادر:

- **ابن الجوزية**، تلبيس إبليس، تحقيق محمد بن الحسن ومسعد عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998.
- **ابن الحبيب محمد**، ديوان بغية المريدين السائرين وتحفة السالكين العازفين، ترتيب لأبو حفص عمر، الدرا الطباعة الحديثة.
- **ابن القاضي أبو العباس احمد بن محمد المكناسي**: درّة الحجال في أسماء الرجال، ج1، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور (دار التراث مع دار النصر 1970).
- **ابن بطوطة**: رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (بيروت: بيروت للطباعة والنشر 1980).
- **ابن تيمية**، الفرقان بين اولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الكريم، الرياض : دار الفضيلة للنشر والتوزيع، 1999.
- **ابن حمادوش عبد الرزّاق**: رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال. تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله (الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1983).
- **ابن خلدون عبد الرّحمن**: تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، (بيروت: دار الكتب العلمية 1992).
- **ابن رشد**: فتاوى ابن رشد، تقديم وتحقيق وجمع وتعليق: المختار بن الطاهر التليلي، السفر: 01، (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1987).

- **ابن فرحون إبراهيم بن علي**: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ج1، تحقيق: علي عمر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 2003).
- **ابن مريم، محمد**، البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، الجزائر : مطبعة الثعالبة، 1908.
- **أبو عبد الله محمد الدرقاوي**، بشور الهدية في مذهب الصوفية، المعروف برسائل مولاي العربي الدرقاوي، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 2004.
- **الأزمي أحمد** : الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ج1، المحمدية، المغرب : مطبعة فضالة، 2000
- **الأمغاري محمد بن الحبيب** : ديوان بغية المريدين السائرين وتحفة االسالكين العارفين . المغرب : دار الرشاد الحدبثة .2007 .
- **بوكاري احمد**، الاحياء والتجديد، الصوفي في المغرب، 1790-1912، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، 2006.
- **التادلي أبو يعقوب يوسف بن الزيات**: التشوف إلى رجال التصوف واخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية 1984).
- **التجاني، محمد السيد**، غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيدي أحمد التيجاني، الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 2004.
- **التلمساني أحمد الهطال**: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكبير (القاهرة: عالم الكتب 1969).
- **التنبكتي أحمد بابا**: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج1، تحقيق علي عمر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 2004).
- ------: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة (طرابلس: منشورات دار الكاتب 2000).

- **التيشيتي، عبيدة**، ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة، 2009.
- **الجزائري محمد بن عبد القادر**، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، الجزائ: منشورات ثالة، 2007.
- **الجزائري محمد بن ميمون:** التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1972).
- **خوجة حسين:** ذيل بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: الطاهر المعموري (ليبيا- تونس: الدار العربية للكتاب 1975).
- **خوجة حمدان بن عثمان:** المرآة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1975).
- **الدحاوي بن زرفة:** الرحلة القمرية: تاريخ تحري مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن الثامن عشر ميلادي، تحقيق: مختار حساني (الجزائر:جامعة الجزائر- مخبر المخطوطات 2003).
- **الراشدي أحمد بن سحنون:** الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي (الجزائر: مطبعة البعث 1973).
- **الرصاع أبو عبد الله الأنصاري:** فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق: محمد العنابي (تونس: المكتبة العتيقة 1967).
- **الزياني محمد بن يوسف:** دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران. تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1978).
- **السخاوي شمس الدين:** الضوء اللامع لهل القرن التاسع، ج7، (القاهرة: مكتبة القدسي للطباعة والنشر 1934).

- **السراج محمد بن محمد الندلسي الوزير**: الحلل السندسية في الخبار التونسية، مج1، تقديم وتحقيق: محمد الهيلة (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1984).
- **سكيرج الحاج أحمد**، كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، بيروت، المكتبة الشعبية، 2002.
- **السنوسي محمد بن علي الخطابي**: الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية (بيروت مطابع دار الكتاب اللّبناني 1968).
- **السيوطي جلال الدين**: بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، ج1، تحقيق: أبو الفضل محمد إبراهيم (طبع بمطبعة عيسى البابلي الحلبي وشركاه 1964).
- ------: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج1، وضع حواشيه: خليل المنصور (بيثروت دار الكتب العلمية- منشورات علي بيضون 1997).
- **الشارف القاضي حشلاف**: سلسلة الأصول في شجرة ابناء الرّسول (تونس: المطبعة التونسية 1929).
- **الشريف الحاج أحمد: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**: نقيب أشراف الجزائر، تحقيق وتقديم: أحمد توفيق المدني (الجزائر: الشلركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980).
- **الشقراني أحمد بن عبد الرحمن**، القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، بيورت: دار الغرب الاسلامي، 1991.
- **علي حرازم ابن العربي برادة**، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007.
- **الغزالي احمد**، مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن، القادرية البوتشيشية، نموذجا، الرباط: دار أبي الرقراق، للطباعة والنشر، 2005.
- **الفاسي الحسن بن محمد الوزان ليون الإفريقي**: وصف إفريقيا ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1983).

- **القرافي بدر الدين محمد بن يحي بن عمر:** توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية 2004).
- **المحبي محمد أمين:** خلاصة الأثر في أعيان لاقرن الحادي عشر، ج1، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي د ت).
- **محمد العربي العمري التجاني،** بغية المستفيد لشرح منية المريد، ضبطه وصححه: عبد الوارث محمد علي، القاهرة : 2007.
- **المرادي محمد خليل:** سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. ج4، ضبط وتصحيح: محمد عبد القادر شاهين (بيروت: منشورات محمد بيضون- دار الكتب العلمية 1997).
- **المزاري الآغا بن عودة:** طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وغسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، ج2، تحقيق: يحيى بوعزيز (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1990).
- **المشرفي عبد القادر:** بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة 1972).
- **المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد:** كتاب الجغرافيا. حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1982).
- **مفتاح عبد الباقي،** أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه، بيروت : دار الكتب العلمية، 2009
- **المقري أحمد بن محمد التلمساني:** أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ج3، (الرباط: نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي 1978).
- **المكودي، محمد بن عبد الله التازي،** سلوك الطرقة الدرقاوية والرد على منكريها المسمات الارشاد والتبيان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، الدرا البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 2007.

- **الناصر أبو راس:** عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر، ج1، تقديم وتحقيق المخطوط من طرف: محمد غالم (وهران: منشورات مركز البحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية 2005).
- ------: فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته: حياة أبي راس الذاتية والعلمية، حققه وضبطه وعلق عليه: محمد بن عبد الكريم الجزائري (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1990).
- ------، الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق سليمة بن عمر، دار صنين للطباعة والنشر، 2002.
- **الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي:** المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج6، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1981).
- **الوهراني مسلم بن عبد القادر:** تاريخ بايات وهران المتأخر، او خاتمة أنيس الغريب والمسافر. تحقيق وتقديم: رابح بونار (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974).

ج- المراجع:

- **ابن عاشور محمد الفاضل:** التفسير ورجاله (تونس: 1968).
- **أحميدة عميراوي:** الجزائر في أدبيات الرحالة والأسر (الجزائر: دار الهدى 2003).
- **إمام محمد كمال الدين:** الفقه الإسلامي: قواعد الفقه ونطرياته العامة (الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة 2004).
- **إيرفينج واشنطون:** سقوط غرناطة: آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، ترجمه وعلّق حواشيه: إسماعيل العربي (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتابق 1998).

- بالحميسي مولاي: مازونة مقصد الدارسين وقلعة الخليليين (الجزائر: منشورات المجلس العلمي 2005).
- **بالحميسي مولاي**، مازونة مقصد الدراسين وقلعت الخليلين، الجزائر، منشورات المجلس العلمي لإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية 2005.
- ------، معلم القرآن في التاريخ والفقه والأدب الجزائر، د.د.ن، 2007.
- **بركات مصطفى**: الألقاب والوظائف العثمانية (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع 2000).
- **بشير ضيف الشيخ**: فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث، ج3، (الجزائر: 2002).
- **بلغيث محمد الأمين**: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي (الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع 2006).
- **بن أبي بكر بشير ضيف**: مذكرة في مصطلح علم الحديث (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1991).
- **بن إسماعيلي محمد**: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979).
- ------: مشايخ خالدون وعلماء عاملون (الجزائر: مطبعة الكاهنة الدويرة 1998).
- ------: معلم القرآن في التاريخ والفقه والأدب (الجزائر: منشورات المجلس العلمي 2007).
- **بن بكار الهاشمي**: كتاب مجموع النسب والحسب في الفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب (تلمسان: مطبعة ابن خلدون 1961).
- **بن حنفية أبي عبد القادر عابدين**: أبو راس الناصري المعسكري: حياته وتصوفه من كتابه الحاوي (الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع 2004).

- **بن داهة عدة: معسكر** عبر التاريخ (الجزائر: دار الخلدونية 2005).
- **بن رمضان شاوش الحاج محمد:** باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1995).
- **بن عبد الكرييم محمد:** المقري وكتابه نفح الطيب (بيروت: منشورات دار الحياة د ت).
- **بن عبد الله العربي** : الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز .تحقيق :مخلوفي ميلود المحفوضي .منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف .2011 .
- **بن عمر حمدادو، العربي بوعمامة:** الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وآثاره في الغكر والتصوف (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع 2004).
- **بوحوش عمار:** التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1997).
- **بوعزيز يحيى:** أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، ج2، (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1995).
- ------: الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1999).
- ------: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500- 1830 (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1980).
- ------: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، (الجزائر: داؤ الهدى للطباعة والنشر والتوزيع 2004).
- **بوعياد محمود:** جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1982).
- **بوغوفالة ودان:** الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية: دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13هـ/19م (الجزائر: مكتبة الرشاط للطباعة والنشر والتوزيع 2004).
- **تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الجزائر** : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

- **الجزائري محمد بن عبد القادر**: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تعليق: ممدوح حقي (بيروت: دار اليقظة العربية 1964).
- **جغلول عبد القادر**: تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسيولوجية (الجزائر: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع 1981).
- **جيلالي جلول**: معسكر رجال وتاريخ (الجزائر: منشورات دار الأديب 2006).
- **الحفناوي أبو القاسم محمد**: تعريف الخلف برجال السلف، ج1، ج2 (الجزائر: دار موفم للنشر 1991).
- **حمودة محمود عباس**: الوثائق العثمانية (القاهر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع 1999).
- **الخطيب محمد عجاج**: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر (مؤسسة الرسالة 2000).
- **دينيزن أ. ف**: الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع 1999).
- **الزبيري محمد العربي**: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981).
- **السحمراني أسعد**: التصوف منشؤه ومصطلحاته (بيروت: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع 1987).
- **سعد الله أبو القاسم**: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1 (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1989).
- ------: تاريخ الجزائر الثقافي: من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16- 20)، ج1، ج2، (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981).
- **سعيدوني ناصر الدين**: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (1800- 1830) (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1979).

- ------: دراسات \اندلسية: مزاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر (بيروت دار الغرب الإسلامي 2003).
- ------: دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية: الفترة الحديثة (بيروت: دار الغرب الإسلامي 2001).
- ------: دراسات في الملكية العقارية (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1986).
- ------: دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر: العهد العثماني (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1984).
- ------: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1999).
- ------، البوعبدلي المهدلي، الجزائر في التاريخ، العهد العثماني (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1984).
- **السنوسي الشيخ مصطفى**: كتاب المقتبسات النيرة في ذكر دور الزوايا ورجالاتها العلمية عبر العصور والأيام (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع 2002).
- **شريط عبد الله والميلي محمد مبارك**: مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي والاجتماعي (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1985).
- **الصلابي علي محمد**: الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط (القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية 2001).
- **الضيقة حسن**: الدولة العثمانية: الثقافة، المجتمع والسلطة (بيروت: دار المنتخب العربي 1997).
- **الطاهر جنان**: مازونة عاصمة الظهرة: ثغر حربي ومركز إشعاع حضاري (الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع 2005).

- **الطاهر فيلالي مختار: نشأة** المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني (الجزائر: دار الفن القرافيكي للطباعة والنشر د ت).
- **عباد صالح:** الجزائر خلال الحكم التركي: 1514- 1830 (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر 2005).
- **العسلي بسام:** الجزائر والحملات الصليبية (1547- 1791) (بيروت: دار النفائس 1986).
- **عمار هلال،** الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، الجزائر: م.و.ف.م 1988.
- **فركوس صالح:** المختصر في تاريخ الجزائر: من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق م- 1962) (الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع 2002).
- **فون مالستان هاينريش:** ثلاث سنوات في شمالي غربي إفريقيا، ج1، ترجمة: أبو العيد دودو (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1976).
- **قداش محفوظ:** الجزائر في العصور القديمة (الجزائر: المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع 1993).
- **الكعاك عثمان:** موجز تاريخ الجزائر العام من العصر الحجري غلى الاحتلال الفرنسي (تونس: مطبعة العرب 1925).
- **لحسن جاكر:** نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مدينة معسكر 1931- 1956 (الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع 2003).
- **مخلوف محمد بن محمد:** شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (بيروت: دار الكتاب العربي د ت).
- **المدني أحمد توفيق:** حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492- 1792 (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1976).

- **المدني أحمد توفيق:** محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766- 1791) (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب 1986).
- **مريوش أحمد وآخرون،** الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، الجزائر : منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية والثورة، مطابع القصبة للنشر والتوزيع، 2007.
- **المستغانمي عبد القادر بن عيسى:** مستغانم وأحوازها عبر العصور: تاريخيا وثقافيا وفنيا (الجزائر: المطبعة العلاوية بمستغانم 1996).
- **مفلاح محمد:** أعلام من منطقة غليزان: تراجم منذ القدم إلى غاية القرن التاسع عشر ميلادي (الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر 2006).
- **الموسوي مصطفى عباس:** العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية (العراق: منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1982).
- **نسيب محمد:** زوايا العلم والقرآن بالجزائر (الجزائر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د ت).
- **نور الدين عبد القادر:** صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من اقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي (الجزائر: نشر كليّة الآداب الجزائرية 1965).
- **هلال عمار:** العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين (3- 14هـ) (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية 1995).
- **يحي بو عزيز،** مدينة وهران، الجزائر : منشورات الثاقفة والسياحة، 1985.
- ------، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، منشورات ANEP، 2004.
- **يحي جلال:** المغرب الكبير: العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3 (بيروت\: دار النهضة العربية 1981).
- ------:العالم العربي الحديث: المدخل (القاهرة: المكتبة التاريخية 1968).

د- الدراسات والمجلات:

- **أخبار معسكر**: نشرية ولائية تصدر عن ولاية معسكر، العدد: 08، 2002.
- **بالحميسي مولاي**: "دور مدرسة مازونة في الحركة العلمية والثقافية من القرن 15 إلى منتصف القرن 20م"، محاضرة ألقاها بمناسبة ملتقى أعلام الفكر بمستغانم (الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدينية 1417هـ/ 1996م).
- **بلغيث محمد الأمين**: "مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع الهجري- الخامس عشر الميلادي"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية: تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، العدد: الأول، 1425هـ/ 2004م.
- **بن عتو بلبروات**: "فتح وهران والمرسى الكبير في الكتابات التاريخية لعام 1792م"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، 1426هـ/ 2005.
- **بن عمر حمدادو**: "الجزائر الحديثة من خلال الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني لابن سحنون الراشدي"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، ربيع الثاني 1426هـ/ جوان 2005.
- ------: "مخطوطات خزانة الشيخ البشير محمودي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد: الأول، ربيع الثاني 1424هـ/ جوان 2003.
- ------:"تراث الشيخ عبد الرّحمن الأخضري من خلال بعض خزائن المخطوطات والمكتبات"، المجلة الجزائرية للمخطوطات: تصدر عن محبر المخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا جامعة وهران- الجزائر، العدد: الثاني والثالث، 2004- 2005.
- **بن قادة الصادق**: "الشيخ بن حواء المستغانمي ومنظومته سبيكة العقيان مكانتها في إنتاج المناقب الجهوية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد: الثاني والثالث 2004- 2005م.

- **بوبشيش صالح**: "المدارس الفقهية في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية: تصدر عن مخبر بحث الشريعة، جامعة الجزائر، العدد: الأول، 1425هـ/2004م.
- **بوداود عبيد**: "مصنفات النوازل الفقهية وكتابة تاريخ المغرب الوسيط"، مجلة المواقف: مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي، معسكر، العدد: الأول، جانفي/ ديسمبر 2007.
- **بوزوادة حبيب**: "الخطاب الصوفي واحتجاب المعنى"، مجلة قراءات: دورية لغوية محكة تصدر عن قسم اللّغة العربية بالمركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، العدد: الأول، 2008.
- **البوعبدلي المهدي**: "أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، مجلة الأصالة، العدد 08، ربيع الثاني –جمادى الأولى 1392هـ/ ماي- جوان 1972م.
- ------: "الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي" مجلة الأصالة، العدد: 83- 84، 1980.
- ------: "الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى"، الأصالة، العدد: 13، 1973.
- **البوعبدلي المهدي**: "المراكز الثقافية وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ"، مجلة الأصالة، العدد، 11، 1972.
- ------: "اهتمام علماء الجزائر بعلم الحديث قديما وحديثا"، كتاب الأصالة: ملتقى السنة النبوية الشريفة: محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي السادس عشر المنعقد بتلمسان، ج4، 1982.
- **يحي بوعزيز**: "الدور الديني والسياسي للطرق الصوفية بالجزائر"، مجلة الحضارة الإسلامية: تصدر عن المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية، العدد: 02، 1996.

- ------: "تاريخ مدينة معسكر الثقافي وجهاد الأمير عبد القادر"، ملتقى الفكر الإسلامي: 1987، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005.
- ------: "دور العلماء والرباطات في تحرير مدينة وهران من أيدي الإسبان"، مجلة دراسات مغاربية، العدد: 01، أكتوبر، 1988.
- **بوعياد محمود:** "العلم والثقافة بالمغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد: 01، 2002.
- **بوغفالة ودان:** "أبو راس الناصري والآخر: نظرة الفقيه إلى نابليون من خلال كتاباته"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، 1426هـ- 2005م.
- **بويجرة محمد بشير:** "التسامي والعبقرية عند أبي راس: قراءة في فتح الإله وفق المنهج النفسي"، مجلة قراءات: دورية لغوية أدبية محكمة يصدرها قسم اللّغة العربية، المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي بمعسكر، العدد: الأول، 2008.
- **الجيلالي الزاوي وعبد الكريم المشرفي:** "نافذة على بعض علماء معسكر: رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمرو التراري المشرفي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات: تصدر عن مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية بشمال إفريقيا جامعة وهران- الجزائر، العدد: الثاني والثالث، 2004-2005.
- **الحربي مبارك جزاء:** "نماذج جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية". مقال مستقل.
- **الحمدي أحمد:** أهمية مخطوط لقطة العجلان في شرف سيدي عبد القادر بن زيان في تاريخ الجزائر الحديثة"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، 1426هـ/ 2005.
- **الخداري محمد،** درقاوة والمخزن في عهد المولى سليمان، مجلة أمل، العددين 22-23، السنة 2001.

- **سعد الله أبو القاسم:** "أربع رسائل من بشاوات الجزائر وعلماء عنابة"، مجلة الثقافة، العدد: 51، 1978.
- **سعدي شخوم:** "مظاهر النشاط الثقافي في كتابات عبد الرّحمن الأخضري"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، 1426هـ/2005.
- **سعيدوني ناصر الدين:** ثلاث رسائل تتعلق بأوضاع الجزائر قبل الاحتلال"، مجلة التاريخ، العدد: 07، 1979.
- **سلطاني الجيلالي:** "فتح وهران من خلال كتاب التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، ربيع الثاني 1426هـ/ جوان 2005م.
- ------: "قراءة في أرجوزة الحلفاوي في فتح وهران من خلال مخطوط شرح الجامعي للأرجوزة"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد: الثاني والثالث، 2004- 2005.
- **سي يوسف محمد:** "نظام التعليم في بلاد زواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني"، ملتقى الحياة الفكرية في الولايات العثمانية، تقديم: عبد الجليل التميمي (تونس: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات 1990).
- **الصغير عبد المجيد،** حول الطرقية والعلاقات الجازائرية المغربية إبان الفترة العثمانية، دار النيابة، العدد 5، السنة 1985.
- **الطاهر محمد:** "مازونة مهد العلم والحضارة" مجلة غليزان أحداث العدد: 07، ماي 1995.
- **عبد الحفيظ غرس الله:** "الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية: مقاربة سوسيوتاريخية"، مجلة المواقف: مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، تصدر عن منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، العدد: الأول، جانفي- ديسمبر 2007.
- **عبد القادر هني:** "التعريف بمازونة"، نص محاضرة ألقيت بمناسبة انعقاد اجتماع إطارات الولاية المنعقد بمازونة يوم: 31 أكتوبر 1983.
- **عميراوي حميدة:** "معاهدة الدوابر والزمالة"، الثقافة، العدد: 88، 1985.

- **غالم محمد**: "أبو راس المعسكري: مسار عالم جزائري وإنتاجه الفكري"، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد: 12، 1426هـ- 2005م.
- **فركوس صالح**: "**الباي** حمد الكبير وبعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري"، الثقافة، العدد: 71، سبتمبر- أكتوبر 1982.
- **فكاير عبد القادر**: "دور العلماء والرباطات في مواجهة العدوان الإسباني على الجزائر"، مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، تصدر عن منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، عدد خاص بفعالية الملتقى الدولي الأول حول: الظاهرة الدينية: قراءات جديدة من منظور العلوم الاجتماعية والانسانية أيام 14 و15 و16 أفريل 2008.
- **فيلالي كمال**: "هجرة علماء غريس وتلمسان إلى فاس في العهد العثماني"، مجلة المواقف: مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، تصدر عن منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، عدد خاص بفعالية الملتقى الدولي الأول حول: الظاهرة الدينية: قراءات جديدة من منظور العلوم الاجتماعية والانسانية أيام 14 و15 و16 أفريل 2008 بالمركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر.
- **لعرج عبد العزيز**: "المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها"، مجلة دراسات انسانية: تصدر عن كلية العلوم الانسانية جامعة الجزائر، العدد: 01، 2001.
- **لوسرة محمد**: "معسكر تاريخ وأمجاد"، مجلة قراءات: دورية لغوية أدبية محكمة يصدرها قسم اللّغة العربية بالمركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، العدد: الأول، 2008.
- **مجاني بوبة**: "تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الولد لأبي العباس أحمد بن علي بن حسن بن الخطيب المعروف بابن القنفذ القسنطيني المتوفى 810هـ/1407م"، مجلة سيرتا، العدد: 11، قسنطينة، 1998.

- **مجموعة أساتذة:** "الحياة الروحية في الإسلام: معسكر رجال وتاريخ"، في أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الواحد والعشرين، ج1 (معسكر: وزارة الشؤون الدينية خلال: 216 أوت- 01 سبتمبر 1987).
- **محمد أرزازي:** " الأبعاد السوسيولوجية والرمزية للممارسة الصوفية في الجزائر"، مجلة المواقف: مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، تصدر عن منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، عدد خاص بفعالية الملتقى الدولي الأول حول: الظاهرة الدينية: قراءات جديدة من منظور العلوم الاجتماعية والانسانية أيام 14 و15 و16 أفريل 2008.
- **محمد بوركبة:** "جوانب من مخطوط قلعة بني راشد للشيخ أبي عمر بن عثمان القلعي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد: الأول، جوان 2003.
- **محمد غالم:** "الشيخ والثورة الفرنسية: نظرة عالم جزائري معاصر لثورة 1789" (وهران: مطبوعات ملركز الأبحاث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، نوفمبر 1995).
- **مسعود العيد:** "العلاقات الثقافية بين الجزائر والمشرق في العهد العثماني"، مجلة سيرتا، السنة الأولى، العدد: 01 ماي 1979.
- **مسعود العيد:** "المرابطون والطرق الصوفية بالجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد: 10، رمضان 1408هـ/ أبريل 1988.
- **مسعود العيد:** حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة سيرتا، العدد: 03، رجب 1400هـ/ ماي 1980.
- **معروف بلحاج ودحماني صابرينة،** المساد العثمانية بالغرب الجزائري، دراسة تنميطية، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، تونس، العدد 43، سنة 2011.
- **مهيرس مبروك:** "المساجد العثمانية في وهران ومعسكر"، عرض وتقديم: قويدر بشار، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ- جامعة الجزائر، العدد: 01، 1986.

- **نعيمة زيدان:** "**سيرورة** المدرسة الجزائرية"، مجلة المواقف: مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، تصدر عن منشورات المركز الجامعي مصطفى إسطمبولي معسكر، العدد: الأول، جانفي- ديسمبر 2007.
- **هلال عمار:** "العلماء الجزائريون في فاس"، مجلة الدراسات التاريخية: مجلة علمية تصدر عن معهد التاريخ بالجزائر، العدد: 09.
- **هلايلي حنيفي:** "عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر". مقال مستقل.
- **الهواري يوسي:** "الشيخ محمد بن علي السنوسي وكتابة إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد: الثاني والثالث، 2004- 2005م.

هـــ- الموسوعة والمعاجم:

- **ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم:** لسان العرب المحيط، تقديم: عبد الله الفيلالي، تركيب: يوسف الخياط (بيروت: دار الجيل- در لسان العرب 1988) ج13 (ن- ه).
- **بن سودة عبد السلام:** إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع عشر ضمن موسوعة أعلام المغرب، ج8، تنسيق وتحقيق: محمد حجي (بيروت: دار الغرب الإسلامي 1996).
- **الحوتي سعد أبو سيف:** الموسوعة العلمية في أنساب القبائل العربية (الإسكندرية: دار أبو العزم للنشر والتوزيع 2002).
- **الزركلي خير الدين:** الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ج4 (بيروت: دار العلم للملايين 1989).
- **الشرقاوي حسن:** معجم ألفاظ الصوفية (القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع 1992).
- **الشيخ أبو عمران وآخرون:** معجم مشاهير المغاربة (الجزائر: جامعة الجزائر 1995).

- **مصطفى شاكر**: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجاله، ج3 (بيروت: دار العلم للملايين 1993).
- **نويهض عادل**: معجم أعلام الجزائر (بيروت: مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر 1980).

الرسائل الجامعية:

- **بلبروات بن عتو**: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري (1779- 1797)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (وهران: جامعة وهران 2001- 2002).
- **بوجلال قدور** :العلم والعلماء في بايلك الغرب : معسكر ومازونة انموذجا، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث .جامعة معسكر .2008. 2009 .
- **بوكفة يوسف**: مدرسة مازونة الفقهية: النهضة والسقوط، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، (الجزائر: كلية العلوم الاجتماعية بجامعة وهران 2002- 2003).
- **بونقاب مختار**: تاريخ الطيقة الدرقاوية في الجزائر، أطروحة ماجستير، (وهران: جامعة وهران 2002- 2003).
- **حمدادو بن عمر**: أبو راس الناصر المعسكري وكتاباته التاريخية 1155- 1238هـ/ 1737- 1823م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (وهران: جامعة وهران 2002- 2003).
- **رقية شارف**: الكتابات التاريخية الجزائرية في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة: نهاية القرن 18م بداية القرن 19م: دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر: جامعة الجزائر 1999- 2000).

- **زهرة شرقي**: الدرر المكنونة في نوازل مازونة للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى المغيلي المازوني (تـــ: 883هـــ)، دراسة وتحقيق: مسائل البيوع، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص أصول الفقه، (الجزائر: جامعة الجزائر 2004- 2005).
- **الشيخ لعرج**، نشاط الطريقة التجانية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، رسالة ماجيسر، جامعة معسكر، 2008-2009.
- **الصادق دهاش**: تراجم لمشاهير علماء الجزائر في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر: جامعة الجزائر 1993- 1994).
- **الطالب عبد الرحمن**، الطرق التربوية المتبعة في الكتاتيب القرآنية بندرومة، دبلوم الدراسات المعمقة، جمعة وهران، 1977.
- **طالبي عطا الله**: علاقة الحكام الأتراك برجال الدين والعلماء في الجزائر: 1656- 1830، بحث في منهجية الدراسات المعمقة (الجزائر: معهد العلوم الاجتماعية- دائرة الدراسات التاريخية 1980).
- **عبد الحق شرف**: العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي ت 1895م: حياته وآثاره، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (وهران: جامعة وهران –قسم الحضارة الإسلامية 2006- 2007).
- **قرمان عبد القادر**، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني: دراسة أثرة، عمرانية ومعمارية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 2015/2014م.
- **كمال بن صحراوي**، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر أواخر العهد العثماني، رسالة ماجيسر، جامعة معسكر، 2007-2008
- ------: أوضاع الريف في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني، دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2013- 2014،

- **لزغم فوزية:** الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية 924- 1245هـ/ 1518-1830م، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (وهران: جامعة وهران 2005-2006).
- **مبروك مهيرس:** المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة لعلم الآثار (الجزائر: جامعة الجزائر 1981- 1982).
- **محمد بن جبور:** صورة الجزائر والجزائريين من خلال الكتابات الفرنسية في القرنيين: 17 و18م. رسالة ماجستير في تاريخ العلاقات الدولية (وهران: جامعة وهران 2002- 2003).
- **مكحلي محمد،** ثورات رجال الزوايا والطرقية في الجزائر خلال العهد العثماني، 1707-1827، اطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بالعباس 2003-2004.
- **ميلود سرير:** فتاوى النوازل: دراسة نظرية وتطبيقية (الأحوال الشخصية بين ابن تيمية والونشريسي نموذجا)، أطروحة دكتوراه دولة في الفقه الإسلامي وأصوله (الجزائر: جامعة الجزائر 2003- 2004).
- **نور الدين غرداوي:** جوانب من الحياة الاقتصادية والفكرية بالمغرب الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14- 15م) من خلال الدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط (الجزائر: جامعة الجزائر 2005- 2006).
- **الواليش فتيحة:** الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر : 1993-1994.

المراجع باللّغة الأجنبية:

الأرشيف :

c.a.o.m 16 h 35.

c.a.o.m 2u 23 .

c.a.o.m. 2u 08

- 1 association culturel de l'organisation national des Moudjahidin. Sidi Bel Abbés). 0 RINN, L : Marabouts et Khouan (Alger : Adolphe Jourdan 1884).
- **ANDRE,** P.J: contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, (Alger : la maison des livres 1956). 368p.
- Benachenhou Abdellatif: Formation du sous développement en Algérie (Alger : S.N.E.D 1978).
- **BENTOUMES, CHEIK KHALED :** le soufisme cœur de l'islam, (pares : édition la table ronde 1996). 276p.
- CAT, E : petite histoire de L'Algérie, 17 avan 1830, (Alger: Adolphe Jourdan 1889).
- **CHITOUR CHEMS EDDINE,** l'education et la culture de l'algerie des origines à nos jours. Alger : ENAG, 1999.
- **DEPONT, OCTAVE ET COPPOLANI,** X4 **FIER :** /es confréries religieusesmusulmanes, (Alger : Adolphe jourdan 1897). 568p.
- des ulémas musulmanes Algériennes en Oranie 1931-1945. 1 hèse de doctorat, université de paris 7, 1989, 509p.
- Djilali Sari : Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale : Nédroma ; Mazouna ; Kalâa (Alger : S.N.E.D 1978).
- EL **KORSE, MOHAMED :** politique et religion en Algerie le cas de l'association.

- **Esterhazy, Walsin**, de la domination turque dans l'ancienne regence d'alger, paris : librarie de charles gosselin , 1840
- GAÏD, **MOULAUD :** chronique des Beys de constant/ne, (Algerie : office des publications universitaire).
- **Henri** Leon fey : Histoire d'Oran : La domination espagnole (Alger : Editions Dar El-Gharb 2002).
- **Louis** Rinn : Marabouts et Khouans : Etude sur l'islam en Algérie (Alger : 1884).
- **Laugier de Tassy** ،Histoire du Royaume Dalger ,Amesterdam, Henri du sautet ،, 1725.
- Merad Boudia : La Formation Sociale algérienne précoloniale (Alger : O.P.0 1981).
- **MERAD,** ALI : le réformisme musulman en Algérie de : 1925 à 1940, (Algerie . Édition el HIKMA 1999). 404p.
- **Moulay Belhamissi** : Histoire de Mazouna : des origines à nos jours (Alger : S.N.E.D 1982).
- ----------,Histoire de Mostaganem : Des origines à nos jours (Alger : Imprimerie El-Wiame 2004).
- **NADIR AHMED**, les ordres religieuses et la conquete françaisse 1830-1851, Revue algerienne des sciences juridiques et politiques 4eme trimestre, 1972.
- **NEHARI, TAYEB ET TABET.** M : Histoire d'Algérie. Sidi Bel Abbès (d'après Revue Municipale de Sidi belabbes : l'attaque du campmilitaire français en 1845, 26 Mais 1845
- **Pierre Boyer** : La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française (Paris : Hachette 1963).
- **Shaw Thomas :** Voyage dans la régence d'Alger ; traduit de l'Englais par : J.Mac.Carthy (Paris : Marlin 1830).

- ----------, l'Algérie un siècle avant l'occupation française, traduit par : J.Mac.Carthy (Paris : Editions Imprimerie de Carthage 1968).

ب- المجلات

- **Bousquet** : Promenade sociologique : Une medersa de chue Mazouna, in : Revue Africaine, 1947.
- **Delpech.A**, l'Histoire de derkaoua, in R.A, N° 18, Anneé 1874.
- Gorguos : Notice sur le bey d'Oran : Mohamed El-Kebir, in : R.A, T:01,1856.
- **Marcel Bodin** : l'Agrément du lecteur : Notice historique sur les arabes soumis aux espagnols pendant leur occupation d'Oran par si Abdelkader El-Mecherfi, in : R.A.T : 65, 1924.
- **Raoul :** Notice historique sur El-Bordj depuis la dernière période de l'occupation turque jusqu'à nos jours, in : B.S.G.A.O, T:XX, 1900.

فهرس المحتويات

كلمة شكر	
الإهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الجزائر أواخر العهد العثماني: بايلك الغرب	
1-الإطار الجغرافي والتاريخي لبايلك الغرب:	09
2- الحياة الاقتصادية.	33
3- الحياة الاجتماعية:	45
الفصل الثاني: المؤسسات الدينية والثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18م -19م	
1-المساجد	58
2-الكتاتيب القرنية	70
3- الزوايا	74
4-المدارس العلمية	77
5-المكتبات	83
6-التعليم	87
الفصل الثالث: الطرق الصوفية في بايلك الغرب خلال القرنين 18م-19م	
1 _ الطريقة القادرية :	94
2- الطريقة الدرقاوية	104
3- الطريقة التيجانية	118
4- طرق صوفية أخرى	127
الفصل الرابع: أعلام بايلك الغرب	
1-أهم أعلام بايلك الغرب :	132
2-علاقة العلماء بالحكام:	151
3-علاقة المتصوفة بالحكام:	155
4- علاقة العلماء بالمتصوفة	158
الخاتمة	162
الملاحق	165
البيبليوغرافية	194